

# المدخل إلى علوم القرآن وأصول التفسير

د. حسام سكايف

أستاذ التفسير وعلوم القرآن  
في جامعة غازي عنتاب - كلية العلوم الإسلامية



# المدخل إلى علوم القرآن وأصول التفسير

د. حسام بسكاف

أستاذ التفسير وعلوم القرآن في

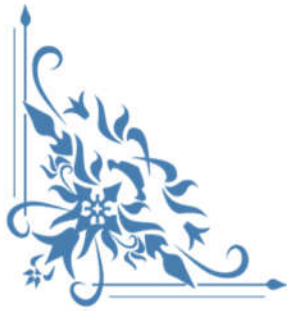
جامعة غازي عنتاب - كلية العلوم الإسلامية

١٤٤٣ هـ - ٢٠٢٢ م





# المقدمة





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### المقدمة

الحمد لله الذي أنزل الكتاب على عبده الكتاب بالحق، تبياناً وهداية لعبادة، حمداً يوافي نعمه، ويدفع نقمه، ويكافئ مزيده، يليق بجلال الله وعظمته، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أدى الأمانة وبلغ الرسالة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، وبعد:

فإن أجل العلوم ما كان متصلاً بكتاب الله، وكلامه، وذكره، ولهذا كانت مباحث القرآن وعلومه وتفسيره أجل العلوم، وأرفعها قدراً، وأكثرها بحثاً.

ولذلك جدّ العلماء في طلب علومه، وفهم مراده، من خلال معرفة أدوات العمل به، تقريباً سبراً لغوره، وتحقيقاً لمراد الله في تدبره، فجاءت المصنفات فيه وافية، وعلومه كافية.

ولما كانت المصنفات فيه واسعة، وعلومه مستفيضة، والهمم خافتة، استعنت الله في وضع هذا المدخل الموجز في بيان أهم ما يجب على طالب العلم معرفته من هذا العلم، مما لا ينبغي جهله منه. وسميته:

## المدخل إلى

### علوم القرآن وأصول التفسير

فجاءت مباحثه موجزة، خالية من الاستطرادات الطويلة التي تذهب بالفكرة، وتبعد عن الغاية التي من أجلها وضع هذا المدخل، لكنها لا تخل بالفكرة ولا تضعفها، كافية وافية لطالب العلم في المراحل الأولى من تحصيله العلمي، ثم عندما يتمكن من معارفه ينتقل إلى مصادر العلم الأصلية، فهي أوسع وأشمل.

وسيرى القارئ أنني وثقت المعلومة من مصادرها المعتمدة، وخرجت الأحاديث المستشهد بها، وفق المناهج المعتمدة في البحث العلمي في علوم الشريعة الإسلامية.

وهكذا جاءت فصوله ومباحثه على الشكل الآتي:

### **الفصل الأول: القرآن الكريم نزوله وجمعه وأهم مباحثه.**

المبحث الأول: تعريف القرآن الكريم.

المبحث الثاني: الوحي مفهومه وكيفيته.

المبحث الثالث: نزول القرآن والأحرف السبعة.

المبحث الرابع: أسباب النزول.

المبحث الخامس: جمع القرآن وحفظه وترتيبه.

المبحث السادس: مباحث أصولية ولغوية مشتركة مع علوم القرآن.

### **الفصل الثاني: علم التفسير وأصوله:**

المبحث الأول: التفسير والتأويل.

المبحث الثاني: أقسام التفسير وأنواعه.

المبحث الثالث: أصول التفسير.

المبحث الرابع: تاريخ التفسير ونشأته ومراحله.

### **الفصل الثالث: ضوابط العمل في التفسير عند المفسرين:**

المبحث الأول: المعرفة التامة بعلوم القرآن.

المبحث الثاني: مراعاة تفسير السنة للنصوص القرآنية.

المبحث الثالث: الإلمام التام بلغة العرب.

المبحث الرابع: معرفة مقاصد الشريعة ومقاصد القرآن.

المبحث الخامس: معرفة مناهج المفسرين المعاصرة.



## الفصل الرابع: قواعد التفسير والترجيح:

المبحث الأول: قواعد التفسير.

المبحث الثاني: قواعد الترجيح.

المبحث الثالث: القواعد المتعلقة بالقراءات وتطبيقاتها.

المبحث الرابع: القواعد المتعلقة بالنص القرآني وتطبيقاتها.

المبحث الخامس: القواعد المتعلقة بالسنة النبوية والآثار وتطبيقاتها.

المبحث السادس: القواعد المتعلقة باللغة وتطبيقاتها.

المبحث السابع: القواعد المتعلقة بأصول الفقه وتطبيقاتها.

## الفصل الخامس: اختلاف المفسرين وأسبابه:

المبحث الأول: مفهوم الاختلاف والخطأ في التفسير.

المبحث الثاني: الأصول التي يدور عليها التفسير.

المبحث الثالث: منشأ الخطأ في التفسير بالرأي.

المبحث الرابع: أسباب الاختلاف والخطأ عند المفسرين.

فأسأل الله العظيم، بسر كتابه وكلماته، أن يجعل عملنا مبروراً مقبولاً، ذخراً لأخرتنا ومعادنا، وصدقة جارية في صحائف أعمالنا، ونفعاً ومرجعاً لطلابنا، وإغناء لمكتباتنا.

هذا، وصل يا رب وسلم وعظم على سيد ولد آدم وقدوتنا وشفيعنا سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين

د. محمد حسام سكاف

إدلب / ١٥ / ٧ / ٢٠٢٢م



## الفصل الأول

القرآن الكريم نزوله وجمعه وأهم مباحثه

المبحث الأول: تعريف القرآن الكريم

المبحث الثاني: الوحي مفهومه وكيفية

المبحث الثالث: نزول القرآن والأحرف السبعة

المبحث الرابع: أسباب النزول

المبحث الخامس: جمع القرآن وحفظه وترتيبه

المبحث السادس: مباحث أصولية ولفظية مشتركة

مع علوم القرآن



## المبحث الأول

### تعريف القرآن الكريم

#### المعنى اللغوي للقرآن:

وجهان لعلماء القرآن في بيان معنى القرآن:

#### الأول: مشتق: من القرى وهو الجمع والضم:

قال في اللسان: قرءاً وقرءةً وقرآنًا، فهو مَقْرُوءٌ. وقرأت الشيء قرآنًا: جمعته وضممت بعضه إلى بعض، وهو مهموز.

ومعنى القرآن معنى الجمع، وسمي قرآنًا لأنه يجمع السور، فيضمها. وقوله تعالى: ﴿إِن عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٧]، أي جمعه وقرآته.

#### الثاني: غير مشتق وهو اسم علم عليه:

القران اسم، وليس بمهموز، ولم يؤخذ من قرأت، ولكنه اسم لكتاب الله مثل التوراة والإنجيل، ويهمز قرأت ولا يهمز القران، كما تقول: إذا قرأت القران. وقد تحذف الهمزة منه تخفيفاً، فيقال: قران، وقريت، وقار، ونحو ذلك من التصريف<sup>(١)</sup>.

**قال في البهتان:** وأما القرآن فقد اختلفوا فيه فقيل هو اسم غير مشتق من شيء بل هو اسم خاص بكلام الله وقيل مشتق من القرى وهو الجمع ومنه قريت الماء في الحوض أي جمعته.

وقال أبو عبيد: سمي القرآن قرآنًا لأنه جمع السور بعضها إلى بعض.

وقال الراغب: سمي قرآنًا لكونه جمع ثمرات الكتب المنزلة السابقة.

وقيل: لأنه جمع أنواع العلوم كلها بمعان كما قال تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

(١) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة: (ق ر أ).

وقال بعض المتأخرين: لا يكون القرآن وقراً مادته بمعنى جمع لقوله تعالى: ﴿إِنْ عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنُهُ﴾ [القيامة: ١٧]، فغاير بينهما وإنما مادته قرأ بمعنى أظهر وبين، والقارئ يظهر القرآن ويخرجه.

وقيل: سمي قرآنا لأن القراءة عنه والتلاوة منه، وقد قرئت بعضها عن بعض.

وقال القرطبي: القران بغير همز مأخوذ من القرائن، لأن الآيات منه يصدق بعضها بعضاً ويشابه بعضها بعضاً فهي حينئذ قرائن. قال الزجاج وهذا القول سهو، والصحيح أن ترك الهمز فيه من باب التخفيف ونقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها<sup>(١)</sup>.

### المعنى الاصطلاحي للقرآن:

تعددت المنقولات الاصطلاحية في تعريف القرآن الكريم، وهي في المجمل لا تخرج عن المعاني ذاتها المرادة للجميع.

ولذلك يمكن أن نعرف القرآن فنقول: هو كلام الله المنزل على النبي ﷺ المنقول عنه بالتواتر بواسطة الوحي جبريل المتعبد بتلاوته المعجز بلفظه ومعناه.

فالكلام يشمل جنس الألفاظ من المفرد والمركب. وخرج بالمنزل على النبي ﷺ ما لم ينزل أصلاً مثل كلامنا ومثل الحديث النبوي وما نزل على غير النبي ﷺ كالتوراة والإنجيل. وخرج بالمنقول تواتراً جميع ما سوى القرآن؛ من منسوخ التلاوة والقراءات غير المتواترة، وخرجت الأحاديث القدسية إذا تواترت بقولهم المتعبد بتلاوته<sup>(٢)</sup>.

### تسمية القرآن بالمصحف:

نقل السيوطي عن أبي المعالي أن الله سمى القرآن بخمسة وخمسين اسماً، منها: سماه كتاباً، ومبيناً، وقرآناً، وكريماً، وكلاماً، ونوراً، وهدى ورحمة، وفرقاناً، وشفاء، وموعظة، والعروة الوثقى،

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ح ١ ص ٢٧٧.

(٢) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، عبد العظيم الزرقاني، ح ١ ص ٢١.

وصدقاً، وعدلاً، وزبوراً، ونكراً، ومباركاً، وحبلاً، وصرافاً مستقيماً، وقصصاً، وغيرها من الأسماء<sup>(١)</sup>.

على أن بعضها أسماء والبعض الآخر صفات، وكل منها يشهد له نص من القرآن نفسه.

أما تسميته بالمصحف فقد قال ابن شهاب: لما جعوا القرآن فكتبوه في الورق قال أبو بكر: التمسوا له اسماً. فقال بعضهم: السفر. قال ابن مسعود: رأيت بالحبشة كتاباً يدعونه المصحف. فكان أبو بكر أول من جمع كتاب الله وسماه المصحف<sup>(٢)</sup>.

## المبحث الثاني

### الوحي

#### مفهومه وكيفيته:

لقد ثبت وبالنقل المتواتر، وبما يفيد العلم اليقيني والقطعي، وبما ينفي الشك مطلقاً، بإمكانية الوحي وثبوت ما جاء به. وبتلقي النبي ﷺ القرآن عنه.

ثم ولم يكن النبي محمد ﷺ، الوحيد الذي يتلقى الوحي، بل أوحى الله تعالى إلى الرسل قبله، كما جاء في حديث بدء الوحي: فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى<sup>(٣)</sup>.

قال تعالى: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا

(١) ينظر: الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ح ١ ص ١٨٢.

(٢) ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي، ح ٢ ص ٣٣١.

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟

داوود زبوراً (١٦٣) ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً ﴿ النساء: ١٦٣-١٦٤ ﴾.

### مفهوم الوحي:

أما الوحي في اللغة فيدل على معنيين، تندرج تحتها كل المعاني، وهما: الإعلام في الخفاء والسرعة.

قال ابن فارس: الواو والحاء والحرف المعتل: أصل يدل على إلقاء علم في إخفاء أو غيره إلى غيرك. فالوحي: الإشارة. والوحي: الكتاب والرسالة. وكل ما ألقىته إلى غيرك حتى علمه فهو وحي كيف كان.

وأوحى الله تعالى ووحى. والوحي: السريع، والوحي: الصوت<sup>(١)</sup>.

وقال في اللسان: الوحي: الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي وكل ما ألقىته إلى غيرك. يقال: وحيته إليه الكلام وأوحيت. ووحى وحيماً وأوحى أيضاً أي كتب<sup>(٢)</sup>.

إن: يمكن أن يأخذ مفهوم الوحي في اللغة لأكثر من معنى، استخدم القرآن الكريم كثيراً منها:

الأول: الإلهام الفطري للإنسان، ومنه ما أوحى به الله تعالى لأم موسى، وهو قوله تعالى: ﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه ﴾ [القصص: ٧].

الثاني: والإلهام الغريزي للحيوان، ومنه قوله تعالى: ﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذ من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون ﴾ [النحل: ٦٨].

الثالث: أمر الله ملائكته، ومنه قوله تعالى: إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا ﴿ [الأنفال: ١٢].

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة: ( و ح ي ).

(٢) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة: ( و ح ي ).



الرابع: وسوسة الشياطين لأوليائهم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١].

الخامس: الإشارة السريعة، ومنه قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١].

السادس: استخدام المصدر الثلاثي: (وحى)، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤].

### **الوحي بمعناه الشرعي الاصطلاحي:**

لا يخرج المعنى الاصطلاحي عن معناه اللغوي، وهو مرتبط به ارتباطاً وثيقاً، وهو أخص منه، لخصوص مصدره ومورده؛ فقد خص المصدر بالله سبحانه، وخص المورد بالأنبياء. فهو: إعلام الله أنبياءه بما يريد أن يبلغه إليهم من شرع أو كتاب بواسطة أو غير واسطة، ومنهم من أوحى الله إليه كتاباً، ومنهم ليس كذلك.

### **أقسام الوحي وكيفيةاته:**

يوحى الله لرسوله عليهم الصلاة والسلام بطريقتين:

**الأولى: بواسطة الملك.**

**الثانية: بغير واسطة.**

كما يوحى إليهم يقظة ومناماً. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يَرْسَلُ رَسُولًا فَيُوحِي بآذَنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١].

### **أولاً: الوحي بواسطة الملك:**

والموكل بذلك من الملائكة هو الأمين جبريل عليه الصلاة والسلام. وهو القسم الثالث من النص: ﴿أَوْ يَرْسَلُ رَسُولًا﴾ [الشورى: ٥١].

أما أهم مظاهر هذا الوحي، فهي:

١. أن يأتي جبريل في صورته الملكية التي خلقه الله عليها:

وهذه الحالة نادرة، كما جاء عن عائشة أن النبي ﷺ لم ير جبريل على حالته الملكية إلا مرتين: مرة في الأرض، وهو نازل من غار حراء، ومرة أخرى في السماء، ليلة المعراج، فعن مسروق، قال: كنت متكئاً عند عائشة، فقالت: يا أبا عائشة، ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية، قلت: ما هن؟ قالت: من زعم أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، قال: وكنت متكئاً فجلست، فقلت: يا أم المؤمنين، أنظريني، ولا تعجليني، ألم يقل الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣]، ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم: ١٣]؟ فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ، فقال: إنما هو جبريل، لم أراه على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطاً من السماء ساداً عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض، فقالت: أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يَرْسَلُ رَسولاً فَيُوحِي بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ...﴾ [الشورى: ٥١]<sup>(١)</sup>.

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه: بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصري، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرعبت منه، فرجعت فقلت: زملوني زملوني، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ [المدثر: ٢]<sup>(٢)</sup>.

٢. أن يأتي على صورته الملكية، وفي هذه الحالة لا يرى، ولكن يصحب مجيئه صوت كصلصلة الجرس، أو دوي كدوي النحل، فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، أن

(١) أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الإيمان، باب معنى قوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم: ١٣].

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟

الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول. قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليترعد عرقاً<sup>(١)</sup>.

٣. أن يأتي الملك بصورة رجل من البشر، يراه من حضر، ويسمعون قوله، ولا يعرفون هويته، ولكن النبي يعلم علم اليقين أنه جبريل، كما جاء في حديث الحارث بن هشام أنف الذكر، وحديث جبريل الطويل الذي سأله فيه عن الإسلام والإيمان والإحسان وعن الساعة وعلاماتها<sup>(٢)</sup>. وحديث أبي سلمة عن عائشة، ورؤيتها رجلاً على صورة دحية الكلبي، فظنته هو، حتى بين النبي لها أنه جبريل<sup>(٣)</sup>.

### ثانياً: الوحي بغير واسطة:

وهو المقصود من قوله تعالى: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب﴾ [الشورى: ٥١].

### ومن أهم مظاهر هذا الوحي:

١. تكليم الله نبيه بما يريد من وراء حجاب:

ويكون يقظة، كما حصل مع النبي ﷺ ليلة المعراج، وكما كلم الله موسى عليه الصلاة والسلام. أو مناماً، كما أوحى الله لإبراهيم عليه الصلاة والسلام في ذبح ولده. ومنه قوله ﷺ: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة.

(٣) أخرجه أحمد في المسند، مسند الصديقة عائشة، ح ٤١ ص ٩.

(٤) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟

٢. القذف في القلب أو الروح:

بأن يلقي الله أو الملك الموكل بالوحي في قلب نبيه ما يريد مع تيقنه أن ما ألقى إليه من قبل الله تعالى، ومنه بقول النبي ﷺ: إن روح القدس نفث في روعي لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب<sup>(١)</sup>.

## المبحث الثالث

### نزول القرآن والأحرف السبعة

نزل القرآن الكريم على النبي ﷺ ليكون هداية للناس، بل أنزله الله في أشرف الأيام والأوقات، مشعراً بشرف الأمة التي أنزل إليها.

وهكذا نزلت الرسالة على النبي ﷺ رويداً رويداً، حسب ما تقتضيه الوقائع والأحداث، حتى أتم الله نزوله قبيل وفاة النبي ﷺ بقليل. فالثابت عند المسلمين أن القرآن لم ينزل على نبينا محمد ﷺ جملة واحدة كما هو الحال بالنسبة للكتب السابقة.

وقبل الكلام عن تنزلات القرآن الكريم، لا بد من معرفة المكان الذي نزل منه، وإلى أي مكان نزل؟

ومن المعلوم أن القرآن الكريم كان موجوداً في اللوح المحفوظ، كما بينه تعالى في قوله: ﴿بل هو قرآن مجيد (٢١) في لوح محفوظ﴾ [البروج: ٢١-٢٢]. وهذا اللوح المحفوظ هو الكتاب المكنون الذي ذكره في قوله: ﴿إنه لقرآن كريم (٧٧) في كتاب مكنون (٧٨) لا يمسه إلا المطهرون (٧٩) تنزيل من رب العالمين﴾ [الواقعة: ٧٧-٨٠].

ويقسم العلماء تنزلات القرآن إلى قسمين أو تنزيلين:

(١) أخرجه الطبراني في الكبير، ح ٨ ص ١٦٦.

## القسم الأول: نزوله جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا:

لو تأملنا فيما نزل من القرآن في هذا الخصوص، وهي:

قوله تعالى: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾ [البقرة: ١٨٥]. وقوله: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ [القدر: ١]. وقوله: ﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾ [الدخان: ٣].

ولا يظن ظان أن ثمة تعارض ما فيما بين هذه الآيات الثلاث، فقد نزل القرآن الكريم في الليلة المباركة والتي هي ليلة القدر، والتي هي من شهر رمضان المبارك.

لكن العلماء يفسرون هذه الآيات بشكل مختلف على ثلاثة أقوال:

الأول: أنه نزول جملة واحدة إلى بيت العزة من السماء الدنيا، ثم نزل بعد ذلك منجماً على النبي محمد ﷺ في ثلاث وعشرين سنة حسب الوقائع والأحداث. وهو قول أكثر جمهور أهل العلم، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا، وكان بمواقع النجوم، وكان الله ينزله على رسوله ﷺ بعضه في إثر بعض<sup>(١)</sup>.

قال أبو جعفر: إنا أنزلنا هذا القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، وهي ليلة الحكم التي يقضي الله فيها قضاء السنة<sup>(٢)</sup>.

الثاني: ابتداء نزوله في ليلة القدر في شهر رمضان، وهي الليلة المباركة، ثم تتابع نزوله بعد ذلك حسب الوقائع والأحداث في قرابة ثلاث وعشرين سنة. وهو قول الشعبي.

الثالث: أن القرآن نزل إلى السماء الدنيا في عشرين ليلة قدر، أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين، ينزل الله في كل ليلة منها ما يقدر إنزاله في كل السنة، ثم ينزل به جبريل بعد ذلك على النبي ﷺ في جميع السنة. وهو قول مقاتل بين حيان.

**والظاهر والذي يدل عليه الدليل هو القول الأول.**

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک، کتاب التفسیر، ح ٢ ص ٢٤٢. قال الذهبي: صحيح على شرط الشيخين.

(٢) تفسير الطبري، ح ٢٤ ص ٥٣١.

## وأما حكمة نزوله جملة واحدة كما ذكر السيوطي وغيره:

١. تفخيم شأن القرآن، وشأن من نزل عليه، وشأن من سينزل إليهم، بإعلام سكان السماوات من الملائكة بأن هذا آخر الكتب المنزلة، على خاتم الرسل، لأشرف الأمم، وهي الأمة الإسلامية، وفي هذا تنويه بشأن المنزل، والمنزل عليه، والمنزل إليهم.

٢. تفضيل القرآن الكريم على غيره من الكتب السماوية؛ بأن جمع الله له النزولين: النزول جملة واحدة، والنزول مفرداً، وبذلك شارك الكتب السماوية في الأولى، وانفرد في الفضل عليها بالثانية، وهذا يعود بالتفضيل لنبينا محمد ﷺ على سائر إخوانه من الأنبياء ذوي الكتب المنزلة، وأن الله جمع له من الخصائص ما لغيره وزاد عليها<sup>(١)</sup>.

## القسم الثاني: نزوله منجماً من السماء الدنيا على النبي محمد ﷺ:

بعد ما نزل إلى بيت العزة من السماء الدنيا في التنزل الأول، بقي القرآن الكريم محفوظاً هناك، في صحف مطهرة، بأيدي السفرة الكرام البررة، حتى أذن الله تعالى في بدء التنزل الثاني منجماً على قلب النبي محمد ﷺ، حسب وقائع الأحداث، على مدى بعثة النبي ﷺ، في عهدها المكي والمدني، وقد اختلف العلماء في مدة هذا النزول؛ ف قيل: عشرون سنة، وقيل: ثلاث وعشرون سنة، وقيل: خمس وعشرون سنة، وأوسطها هو أقربها إلى الصواب. كما قال تعالى: ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين (١٩٢) نزل به الروح الأمين (١٩٣) على قلبك لتكون من المنذرين (١٩٤) بلسان عربي مبين﴾ [الشعراء: ١٩٥]. وقال تعالى: ﴿قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين﴾ [البقرة: ٩٧]. وقال تعالى: ﴿وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً﴾ [سورة الإسراء: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿وقال الذين

(١) ينظر: الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ح ١ ص ١٤٩. والمدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد أبو شهبه، ص ٥٤.

كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً (٣٢) ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً ﴿ [سورة الفرقان: ٣٢ - ٣٣].

أما من السنة فقد نزل الكثير مما يدل على أن القرآن نزل مفزقاً، ومن ذلك قول عائشة رضي الله عنها: إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل، فيها نكر الجنة والنار، حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل: لا تزنا، لقالوا: لا ندع الزنا أبداً، لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب: ﴿ بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ﴾ [القمر: ٤٦]، وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده. وجاء عن ابن مسعود: ابن مسعود، يقول في بني إسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء: إنهن من العتاق الأول، وهن من تلاذي<sup>(١)</sup>.

قال أبو جعفر: وقوله: ﴿ إنه لقول رسول كريم ﴾ [التكوير: ١٩]، يقول تعالى نكزه: إن هذا القرآن لتنزيل رسول كريم؛ يعني: جبريل، نزله على محمد بن عبد الله<sup>(٢)</sup>.

### ما الذي نزل به الأمين جبريل على النبي ﷺ؟

نزل جبريل على النبي ﷺ بنوعينة من الكلام، وكلاهما يسمى بالوحي، الأول هو القرآن الكريم، وهو الموحى به لفظاً ومعناً، وهو المعجز والمتعبد بتلاوته، والثاني هو السنة، وهو الموحى به معناً دون اللفظ، والذي لا يوصف بالإعجاز أو التعبد به كالقرآن.

ويحسن في هذا المقام أن نذكر ما نقله السيوطي عن إمام الحرمين، الجويني، قال: كلام الله المنزل قسمان:

قسم قال الله لجبريل: قل للنبي الذي أنت مرسل إليه: إن الله يقول: افعل كذا وكذا وأمر بكذا وكذا، ففهم جبريل ما قاله ربه، ثم نزل على ذلك النبي ﷺ وقال له ما قاله ربه، ولم

(١) حديث عائشة وابن مسعود أخرجهما البخاري في الصحيح، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن،

(٢) تفسير الطبري، ح ٢٤ ص ٢٥٧.

تكن العبارة تلك العبارة كما يقول الملك لمن يثق به: قل لفلان: يقول لك الملك: اجتهد في الخدمة واجمع جنك للقتال، فإن قال الرسول: يقول الملك لا تتهاون في خدمتي ولا تترك الجند تتفرق وحثهم على المقاتلة لا ينسب إلى كذب ولا تقصير في أداء الرسالة. وقسم آخر قال الله لجبريل: اقرأ على النبي ﷺ هذا الكتاب فنزل جبريل بكلمة من الله من غير تغيير كما يكتب الملك كتاباً ويسلمه إلى أمين، ويقول اقرأه على فلان فهو لا يغير منه كلمة ولا حرفاً.

قال السيوطي: قلت: القرآن هو القسم الثاني، والقسم الأول هو السنة كما ورد أن جبريل كان ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن. ومن هنا جاز رواية السنة بالمعنى لأن جبريل أداه بالمعنى ولم تجز القراءة بالمعنى لأن جبريل أداه باللفظ ولم يبيح له إيجاءه بالمعنى والسر في ذلك أن المقصود منه التعبد بلفظه والإعجاز به فلا يقدر أحد أن يأتي بلفظ يقوم مقامه. وأن تحت كل حرف منه معاني لا يحاط بها كثرة، فلا يقدر أحد أن يأتي ببله بما يشتمل عليه، والتخفيف على الأمة حيث جعل المنزل إليهم على قسمين: قسم يروونه بلفظه الموحى به وقسم يروونه بالمعنى ولو جعل كله مما يروى باللفظ لثق أو بالمعنى لم يؤمن التبديل والتحريف فتأمل<sup>(١)</sup>.

### حكمة نزول القرآن منجماً:

شاء الله تبارك وتعالى أن ينزل القرآن منجماً ومفريقياً، ولم يكن ذلك إلا محض حكمة الله تعالى، علمنا بعضها وجهلنا البعض الآخر، ومن أهم الحكم التي نعلمها:

١. تثبيت فؤاد النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿كذلك لنثبت به فؤادك﴾ [الفرقان: ٣٢]. فإن تكرار نزول الوحي فيه التثبيت والتسليّة والصبر.

٢. تيسير حفظه وفهمه على النبي ﷺ فقد كان حريصاً على ذلك غاية الحرص، حتى أنزل الله عليه: ﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه﴾ [طه: ١٤]، وقوله: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾ (١٦) إن علينا جمعه وقرآنه (١٧) فإذا قرأناه فاتبع

(١) الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ح ١ ص ١٥٩.



قرآنه (١٨) ثم إن علينا بيانه ﴿ [القيامة: ١٦ - ١٩]. فكان ذلك ضامناً لنبيه الحفظ والفهم وعدم التقلت.

٣. التدرج في تغيير العادات والسلوك الاجتماعي، فإن عاداتهم المستحكمة لن يتخلصوا منها في يوم وليلة، بل احتاجت العمل الدؤوب لسنين من حياة النبي ﷺ حتى غدوا خير أمة أخرجت للناس. كالتدرج في تحريم الخمر، والربا، وغيرها.

٤. تيسير حفظه وفهمه على الأمة، فقد أوجب الله على المسلمين حفظ ألفاظه، كما أوجب عليهم فهم معانيه.

٥. السير مع الحوادث والوقائع في رد الشبهات، والإجابة عن التساؤلات، وبيان الأحكام، ولذلك قال تعالى: ﴿ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً﴾ [الفرقان: ٣٣]. ومن ذلك ما نزل في حديث الإفك، والمجادلة، وسؤالهم عن الروح، وعن الأهله، وعن الخمر والميسر، وغير ذلك من الأمور.

٦. ظهور الحكمة البالغة في إعجاز القرآن الكريم، الذي نزل على فترة طويلة من السنين، ثم تراه متناسقاً متناسباً مسبوكاً كأنه نظم واحد نظم في ساعة واحدة، في غاية من الفصاحة والبلاغة وحسن التعبير، لم يعتره ما يعترى تأليف البشر؛ من أخطاء وسهو وتناقض، فدل بكل تأكيد من غير لبس أنه من عند الله، وصدق الله حيث قال: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ [النساء: ٨٢].

**أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن<sup>(١)</sup>:**

**أولاً: أول ما نزل من القرآن:**

اختلف العلماء في تحديد أول ما نزل من القرآن على النبي ﷺ على أقوال:

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ح ١ ص ٢١٠. والإتقان، السيوطي، ح ١ ص ٩١.

**القول الأول:** وهو أصحها، وهو قوله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك﴾ [العلق: ١]، لما روي عن عائشة قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حباب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني، فقال: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم﴾ [العلق: ٢]. فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ... (١).

**القول الثاني:** وهو قوله تعالى: ﴿يا أيها المدثر﴾ [المدثر: ١]. فعن سلمة بن عبد الرحمن قال: سألت جابر بن عبد الله أي القرآن أنزل قبل قال: ﴿يا أيها المدثر﴾ قلت: أو ﴿اقرأ باسم ربك﴾ قال: أحذتكم ما حدثنا به رسول الله ﷺ: إني جاورت بحراء فلما قضيت جوارى نزلت فاستبطنت الوادي فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وشمالي ثم نظرت إلى السماء فإذا هو يعني جبريل، فأخذتني رجفة فأتيت خديجة فأمرتهم فدثروني فأنزل الله: ﴿يا أيها المدثر قم فأأنر﴾ (٢).

### وأحسن ما يجاب عنه:

١. أن السؤال كان عن نزول سورة كاملة فبين أن سورة المدثر نزلت بكمالها قبل نزول تمام سورة اقرأ فإنها أول ما نزل منها صدرها.

٢. أن مراد جابر بالأولية مخصوصة بما بعد فترة الوحي لا أولية مطلقة، ولا سيما أن بعض روايات الصحيح عن جابر صرح فيها قول النبي ﷺ بذلك، فعن جابر بن عبد الله الأنصاري،

(١) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ.

وكان من أصحاب رسول الله ﷺ كان يحدث، قال: قال رسول الله ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي، قال في حديثه: فبينما أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء، فرفعت رأسي، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالساً على كرسي بين السماء والأرض، قال رسول الله ﷺ: فجننت منه فرقاً، فرجعت، فقلت: زملوني زملوني، فثنوني، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿يا أيها المدثر قم فأنذر ربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر﴾ [المدثر: ٢] (١).

٣. قال الكرمانى: أن جابراً استخرج ذلك باجتهاده وليس هو من روايته فيقدم عليه ما روته عائشة.

**القول الثالث:** هو سورة الفاتحة، كما نقل عن ابن عباس ومجاهد.

وأجاب البيهقي عن الأثر الذي ورد في ذلك، فقال: وإن كان محفوظاً يحتمل أن يكون خبراً عن نزولها بعدما نزلت عليه اقرأ والمدثر.

**القول الرابع:** هو قوله تعالى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، فقد أخرج ابن جرير وغيره من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: أول ما نزل جبريل على محمد قال: يا محمد استعذ، قل: أستعيذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم، ثم قال: قل: بسم الله الرحمن الرحيم، ثم قال: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ [العلق: ١]. قال عبد الله: وهي أول سورة أنزلها الله على محمد بلسان جبريل (٢).

ولم يعد هذا عند العلماء قولاً برأسه؛ فإنه من ضرورة نزول السورة نزول البسمة معها.

**أوائل مخصوصة:**

وهي أولى الآيات التي نزلت في بابها، ومن ذلك:

١. أول ما نزل في الأطعمة ما جاء في سورة الأنعام، قوله تعالى: ﴿قل لا أجد في ما أوحى إلي محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقاً أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور

(١) أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ.

(٢) تفسير الطبري، ح ١ ص ١١٣.

رحيم ﴿ [الأنعام: ١٤٥]. ثم نزلت آية النحل، قوله: ﴿ فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واشكروا نعمت الله إن كنتم إياه تعبدون إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم ﴾ [النحل: ١١٤]. ثم آية البقرة، قوله تعالى: ﴿ إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم ﴾ [البقرة: ١٧٣]. ثم آية المائدة، قوله تعالى: ﴿ حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما تكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم ﴾ [المائدة: ٣].

٢. أول ما نزل في الأشربة: أول آية نزلت في الخمر آية البقرة، قوله تعالى: ﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ﴾ [البقرة: ٢١٩]. ثم آية النساء، قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ﴾ [النساء: ٤٣]. ثم آية المائدة، قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ﴾ [المائدة: ٩٠].

٣. أول ما نزل في القتال: آية الحج قوله تعالى: ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ﴾ [الحج: ٣٩].

### ثانياً: آخر ما نزل من القرآن:

اختلف العلماء في تحديد آخر ما نزل من القرآن على النبي ﷺ، على أقوال:

**القول الأول:** آخر ما نزل آية الربا، فعن ابن عباس قال: آخر آية نزلت على النبي ﷺ آية الربا، وهي قوله تعالى: ﴿يَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ۲۷۸] (۱).

**القول الثاني:** آخر ما نزل من القرآن قوله تعالى: ﴿وَإَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ۲۸۱].

**القول الثالث:** آخر ما نزل آية الدين، لما روي عن سعيد بن المسيب: أنه بلغه أن أحدث القرآن عهدا بالعرش آية الدين. وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ [البقرة: ۲۸۲].

ولعل الأقوال الثلاثة السابقة قول واحد، فهي آيات متتالية ومتتابعة في ترتيب المصحف.

**القول الرابع:** آخر ما نزل آية الكلاله. فعن البراء بن عازب قال: آخر آية نزلت: ﴿بَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِكُمْ فِي الْكِلَالَةِ﴾ [النساء: ۱۷۶]. وحملت على أنها آخر ما نزل بالمواريث.

**القول الخامس:** آخر ما نزل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ۱۲۸] إلى آخر السورة. وحملت على أنها آخر ما نزل من سورة براءة.

**القول السادس:** آخر ما نزل سورة المائدة، وحملت على أنها آخر سورة نزلت في الحلال والحرام، فلم تتسخ فيها أحكام.

**القول السابع:** آخر ما نزل قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابْ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مَّنْ ذَكَرَ أَوْ أَنْتَىٰ بَعْضِكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ۱۹۵] إلى آخر السورة، وحملت على أنها آخر ما نزل بما يخص النساء، فنزل قوله: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء: ۳۲]، ونزلت: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ [الأحزاب: ۳۵]، ونزلت هذه الآية، فهي آخر الثلاثة نزولاً.

---

(۱) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَإَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾.

**القول الثامن:** آخر ما نزل قوله تعالى: ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً﴾ [النساء: ٩٣]، فعن مغيرة بن النعمان، قال: سمعت سعيد بن جبير، قال: آية اختلف فيها أهل الكوفة، فرحلت فيها إلى ابن عباس فسألته عنها، فقال: نزلت هذه الآية: ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم﴾ [النساء: ٩٣] هي آخر ما نزل، وما نسخها شيء<sup>(١)</sup>.

**القول التاسع:** آخر ما نزل سورة: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ [النصر: ١]، وحملت على أنها آخر سورة نزلت تشعر بقرب وفاة النبي ﷺ كما فهم بعض الصحابة، أو أنها آخر ما نزل من السور.

أما قوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ [المائدة: ٣]؛ فإنها نزلت بعرفة عام حجة الوداع، ويدل ظاهرها على إكمال الفرائض والأحكام.

ويجدر بالذكر أنه ليس فيما سبق من أقوال أي شيء مرفوع للنبي ﷺ، فهو إما اجتهاد من الصحابي، أو أنه أخبر عن آخر ما سمعه هو من النبي ﷺ قبل وفاته، وربما سمع غيره بعده شيء آخر.

### **المكي والمدني:**

أولى علماء القرآن الكريم الأهمية البالغة لعلم المكي والمدني، واعتنوا به اعتناء بالغاً، بل ورتب بعضهم مصاحف بترتيب النزول، فتتبعوا السور والآيات وصنفوها تصنيفاً دقيقاً، حيث شهد الصحابة النزول بكل تفاصيله، فهذا عبد الله بن مسعود يقول: والذي لا إله إلا هو ما في كتاب الله سورة إلا وأنا أعلم أين نزلت، ولا فيه آية إلا وأنا أعلم فيما أنزلت<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم﴾.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير، باب مناقب ابن مسعود، ح ٩٣ ص ٧٣.

لم يكتف العلماء بنقل ما نزل بمكة أو المدينة بهذا الشكل المجمل، بل كان النقل أدق بكثير، ففرقوا بين ما نزل ليلاً وما نزل نهاراً، وما نزل صيفاً وما نزل شتاءً، وما نزل في الحضر وما نزل في السفر.

ونقل السيوطي عن أبي القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري في كتاب التتبيه على فضل علوم القرآن، قال: من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته وترتيب ما نزل بمكة والمدينة، وما نزل بمكة وحكمه مني، وما نزل بالمدينة وحكمه مكي، وما نزل بمكة في أهل المدينة، وما نزل بالمدينة في أهل مكة، وما يشبه نزول المكي في المدني، وما يشبه نزول المدني في المكي، وما نزل بالجحفة، وما نزل ببيت المقدس، وما نزل بالطائف، وما نزل بالحديبية، وما نزل ليلاً، وما نزل نهاراً، وما نزل مشيعاً، وما نزل مفرداً، والآيات المدنيات في السور المكية، والآيات المكيات في السور المدنية وما حمل من مكة إلى المدينة، وما حمل من المدينة إلى مكة، وما حمل من المدينة إلى أرض الحبشة، وما نزل مجملاً، وما نزل مفسراً، وما اختلفوا فيه فقال بعضهم مدني وبعضهم مكي، فهذه خمسة وعشرون وجهاً من لم يعرفها ويميز بينها لم يحل له أن يتكلم في كتاب الله تعالى<sup>(١)</sup>.

### ضابط مصطلح المكي والمدني عند العلماء :

يرجع في معرفة المكي والمدني إلى حفظ الصحابة والتابعين، حيث لم يرد عن النبي ﷺ في ذلك قول.

قال القاضي أبو بكر الباقلاني في الانتصار: فأما المكي والمدني من القرآن فلا شبهة على عاقل في حفظ الصحابة والجمهور منهم إذا كانت حالهم وشأنهم في حفظ القرآن وإعظامه وقدره من نفوسهم ما وصفناه لما نزل منه بمكة ثم بالمدينة، والإحاطة بذلك والأسباب والأحوال التي نزل فيها ولأجلها<sup>(٢)</sup>.

(١) الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ح ١ ص ٣٦.

(٢) الانتصار للقرآن، أبو بكر الباقلاني المالكي، ح ١ ص ٢٤٧.

## للعلماء في المكي والمدني اصطلاحات ثلاثة:

**الأول: (باعتبار زمان النزول):** أن المكي ما نزل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعدها سواء نزل بمكة أم بالمدينة عام الفتح أو عام حجة الوداع أم بسفر من الأسفار.

**الثاني: (باعتبار مكان النزول):** أن المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة، والمدني ما نزل بالمدينة، وعلى هذا تثبت الوسطة فما نزل بالأسفار لا يطلق عليه مكي ولا مدني.

**الثالث: (باعتبار المخاطب):** أن المكي ما وقع خطاباً لأهل مكة، والمدني ما وقع خطاباً لأهل المدينة.

والأول هو الأشهر والأضبط في المراد من المكي والمدني، حيث تكون الهجرة هي الحد الفاصل بين المكي والمدني، فما نزل من القرآن قبل الهجرة فهو مكي، وإن نزل خارج مكة، وما نزل بعد الهجرة فهو مدني، وإن نزل خارج المدينة، حتى لو نزل في مكة ذاتها، ومن ذلك سورة النصر مدنية، وقد نزلت في مكة، وآية المائدة ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ [المائدة: ٥] مدنية كذلك، وقد نزلت في عرفات.

أما التقسيم المكاني فغير دقيق، فمن القرآن لم ينزل في مكة ولا في المدينة، حيث نزل في الأسفار والطرق.

وأما باعتبار الخطاب فأيضاً غير دقيق ولا يصلح، إذ من الآيات ما لم يرد فيها خطاب لأهل مكة أو المدينة، كآيات القصص والأخبار، أو الآيات التي تعم الناس جميعاً.

## خصائص المكي والمدني<sup>(١)</sup>:

### أولاً: خصائص المكي:

١. الدعوة إلى التوحيد، وإثبات الرسالة، وإثبات اليوم الآخر، والوعد والوعيد، وجدال المشركين بالبراهين العقلية والآيات الكونية.

(١) ينظر: المقدمات الأساسية في علوم القرآن، عبد الله يوسف الجديع العنزي، ص ٥٨.



٢. وضع القواعد العامة للتشريع في الحلال والحرام، والتركيز على تثبيت مكارم الأخلاق كالعدل والإحسان، وإبطال ما ينافيها من مساوئ الأخلاق كالظلم والفجور والأذى مما كان يفعله أهل الجاهلية.

٣. ذكر قصص الأنبياء والأمم السالفة للعبارة والقياس، وتثبيت النبي ﷺ والمؤمنين.

٤. قصر الفواصل بين الآي، مع قوة الوقع في الألفاظ والإيجاز في العبارة.

### ثانياً: خصائص المدني:

١. تفصيل العبادات والمعاملات والحدود وقانون الدولة الإسلامية وسائر شرائع الإسلام مما يتناسب التكليف به مع واقع التمكن للمجتمع المسلم.

٢. التركيز على دعوة أهل الكتاب وشرح أحوالهم وبيان ضلالهم، حيث كانوا يوجدون في مجتمع المدينة بعد الهجرة.

٣. الكشف عن حقيقة النفاق وشرح صفات المنافقين وأحوالهم، والنفاق لم يظهر في عهد النبي ﷺ حتى مكن الله لهذا الدين، فصار بعض الناس يستترون بالإسلام في الظاهر خوفاً من سلطان الحق وأهله، وهم يسرون له العداوة والكيد والتآمر.

٤. طول الآيات بما يتناسب مع الشرح والبيان لشرائع الإسلام.

### الضوابط القياسية التي يعرف بها المكي والمدني<sup>(١)</sup>:

لمعرفة المكي والمدني طريقتان: سماعي كما مر، عن شهد الوحي ونزوله، وهم الصحابة والتابعين الذين نقلوا عنهم، وضوابط قياسية منطبقة على الأغلب من المكي والمدني.

---

(١) ينظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد أبو شهبه، ص ٢٢٦.

### الضوابط القياسية للمكي:

١. كل سورة فيها (كلا) مكية، وقد وردت في القرآن ثلاثاً وثلاثين مرة في خمس عشر سورة كلها في النصف الأخير.
٢. كل سورة في أولها حروف المعجم فهي مكية سوى البقرة وآل عمران فإنهما مدينتان باتفاق، وفي الرعد خلاف.
٣. كل سورة فيها قصة آدم وإبليس فهي مكية سوى البقرة.
٤. كل سورة فيها سجدة مكية سوى الحج، عند من يقول إنها مدنية.
٥. كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الماضية مكية سوى البقرة وآل عمران.

### الضوابط القياسية للمدني:

١. كل سورة فيها ذكر الحدود والفرائض مدنية.
٢. كل سورة فيها ذكر المنافقين وأحوالهم مدنية سوى سورة العنكبوت فإنها مكية إلا إحدى عشرة آية من صدرها فإنها مدنية وهي التي ذكر فيها المنافقون.
٣. كل سورة فيها الإنز بالجهاد أو الأمر به وأحكامه والصلح والمعاهدات فهي مدنية، سوى سورة الحج عند من يرى أنها مكية.

### فوائد معرفة المكي والمدني:

١. فهم تسلسل نزول القرآن، والأحداث التي مرت بها السيرة النبوية، مما يساعد على فهم طريقة الخطاب في كل العصور، مما يجعله منهجاً قوياً في الدعوة إلى الله تعالى.
٢. تمييز ناسخ القرآن ومنسوخه، وهو من الأهمية بمكان يجعله علماً لا يستغنى عن معرفته لمفسر القرآن، بل ولفقيه والمفتي.

## الأحرف السبعة

### أولاً: نزول القرآن على سبعة أحرف:

يكاد يبلغ النقل عن النبي ﷺ حد تواتر، بما لا يدع مجالاً للشك بأن القرآن الكريم نزل على سبعة أحرف، فقد نقل السيوطي عن أبي عبيد القول بالتواتر، فنزول القرآن على سبعة أحرف من رواية جمع من الصحابة: أبي بن كعب وأنس وحذيفة بن اليمان وزيد بن أرقم وسمرة بن جندب وسليمان بن صرد وابن عباس وابن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وعمر بن الخطاب وعمرو بن أبي سلمة وعمرو بن العاص ومعاذ بن جبل وهشام بن حكيم وأبي بكرة وأبي جهم وأبي سعيد الخدري وأبي طلحة الأنصاري وأبي هريرة وأبي أيوب. فهؤلاء أحد وعشرون صحابياً. ومن ذلك:

١. عن عمر بن الخطاب، يقول: سمعت هشام بن حكيم بن حزام، يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها، وكان رسول الله ﷺ أقرئها، فكنت أن أعجل عليه، ثم أمهلته حتى انصرف، ثم لبيتته بردائه، فجنث به رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرئت بها، فقال رسول الله ﷺ: أرسله، اقرأ، فقرأ القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: هكذا أنزلت، ثم قال لي: اقرأ، فقرأت، فقال: هكذا أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقروا ما تيسر منه<sup>(١)</sup>.

٢. عن أبي بن كعب، أن النبي ﷺ كان عند أضاة بني غفار، فأتاه جبريل، فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف، قال: أسأل الله معافاته، ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم أتاه الثانية، فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرفين، قال: أسأل الله معافاته، ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم أتاه الثالثة، فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف. كما أخرجه مسلم في الصحيح، ومالك في الموطأ، والإمام أحمد في المسند، وأصحاب السنن، وغيرهم.

ثلاثة أحرف، قال: أسأل الله معافاته ومغفرته، فإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الرابعة، فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأیما حرف قرءوا علیه فقد أصابوا<sup>(١)</sup>.

### ثانياً: الاختلاف في معنى الأحرف السبعة عند العلماء:

وقع الاختلاف في معنى الأحرف السبعة عند العلماء، وقد نقل السيوطي في الإتيان على أنها نحواً من خمسة وثلاثين قولاً في ذلك، نكر منها ستة عشر قولاً، من أشهرها<sup>(٢)</sup>:

١. ذهب أكثر العلماء إلى أن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب في المعنى الواحد، على معنى أنه حيث تختلف لغات العرب في التعبير عن معنى من المعاني يأتي القرآن منزلاً بالفاظ على قدر هذه اللغات لهذا المعنى الواحد، وحيث لا يكون هناك اختلاف فإنه يأتي بلفظ واحد أو أكثر. واختلفوا في تحديد اللغات السبع. فقيل: هي لغات: قريش، وهذيل، وقيظ، وهوازن، وكنانة، وتميم، واليمن.

٢. وقال قوم: إن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب نزل عليها القرآن، على معنى أنه في جملته لا يخرج في كلماته عن سبع لغات هي أفصح لغاتهم، فأكثره بلغة قريش، ومنه ما هو بلغة هذيل، أو قيظ، أو هوازن، أو كنانة، أو تميم، أو اليمن، فهو يشتمل في مجموعه على اللغات السبع. ويرد هذا القول بأن لغات العرب أكثر من سبع، وبأن عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم كلاهما قرشي من لغة واحدة، وقبيلة واحدة، وقد اختلفت قراءتهما. ومحال أن ينكر عليه عمر لغته، فدل ذلك على أن المراد بالأحرف السبعة غير ما يقصدونه.

٣. أنه ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد بل المراد التيسير والتسهيل والسعة، ولفظ السبعة يطلق على إرادة الكثرة في الأحاد كما يطلق السبعون في العشرات والسبعمئة في المئتين ولا يراد العدد المعين. وهذا القول مردود بالأحاديث التي تثبت نزول القرآن على سبعة أحرف.

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، باب جامع ما جاء في القرآن، ح ١ ص ٤٨٤.

(٢) ينظر: الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ح ١ ص ١٦٤ وما بعدها.

٤. أنه من المشكل الذي لا يدري معناه؛ لأن الحرف يصدق لغة على حرف الهجاء وعلى الكلمة وعلى المعنى وعلى الجهة.

٥. أن المراد بها سبع قراءات، وتعقب بأنه لا يوجد في القرآن كلمة تقرأ على سبعة أوجه إلا القليل مثل قوله: ﴿وعبد الطاغوت﴾ [المائدة: ٦٠]، وقوله: ﴿فلا تقل لهما أف﴾ [الإسراء: ٢٣]. وبأن القرآن غير القراءات، فالقرآن: هو الوحي المنزل على محمد ﷺ للبيان والإعجاز، والقراءات: هي اختلاف في كيفية النطق بألفاظ الوحي، من تخفيف أو تثقيل أو مد أو نحو ذلك.

٦. لا يخرج عن سبعة أوجه: في الاختلاف. الأول: اختلاف الأسماء من أفراد وتثنية وجمع وتذكير وتأنيث. الثاني: اختلاف تصريف الأفعال من ماض ومضارع وأمر. الثالث: وجوه الإعراب. الرابع: النقص والزيادة. الخامس: التقديم والتأخير. السادس: الإبدال. السابع: اختلاف اللغات كالفتح والإمالة، والترقيق والتفخيم، والإدغام والإظهار ونحو ذلك. السابع: وقال بعضهم: المراد بها كيفية النطق بالتلاوة من إدغام وإظهار وتفخيم وترقيق وإمالة وإشباع ومد وقصر وتشديد وتخفيف وتليين وتحقيق.

٧. أن المراد سبعة أوجه من المعاني المتفقة بألفاظ مختلفة نحو أقبل وتعال وهلم وعجل وأسرع، وإلى هذا ذهب سفيان بن عيينة وابن جرير وابن وهب وخلاتق. ونسبه ابن عبد البر لأكثر العلماء ويدل له حديث أبي بكر: أن جبريل عليه السلام قال: يا محمد اقرأ القرآن على حرف، قال ميكائيل عليه السلام: استزده، فاستزاده، قال: فاقراً على حرفين، قال ميكائيل: استزده، فاستزاده حتى بلغ سبعة أحرف، قال: كل شاف كاف ما لم تختم آية عذاب برحمة، أو آية رحمة بعذاب نحو قولك تعال وأقبل، وهلم واذهب، وأسرع وأعجل<sup>(١)</sup>.

٨. أن المراد سبعة أصناف، والقائلون به اختلفوا في تعيين السبعة.

(١) أخرجه أحمد في المسند، مسند البصريين، ح ٣٤٧ ص ١٤٧.

ف قيل: أمر ونهي وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثلة.

وقيل: المراد بها المطلق والمقيد والعام والخاص والنص والمؤول والناسخ والمنسوخ والمجمل والمفسر والاستثناء وأقسامه.

وقيل: المراد بها الحذف والصلة والتقديم والتأخير والاستعارة والتكرار والكناية والحقيقة والمجاز والمجمل والمفسر والظاهر والغريب.

وقيل: المراد بها التذكير والتأنيث والشرط والجزاء والتصريف والإعراب والأقسام وجوابها والجمع والإفراد والتصغير والتعظيم واختلاف الأدوات.

وقيل: المراد بها سبعة أنواع من المعاملات الزهد والقناعة مع اليقين والجزم والخدمة مع الحياء والكرم والفتوة مع الفقر والمجاهدة والمراقبة مع الخوف والرجاء والتضرع والاستغفار مع الرضا والشكر والصبر مع المحاسبة والمحبة والشوق مع المشاهدة.

وقد رد العلماء هذا القول لاعتبارات عديدة، وأنها لا ترقى لمناهضة الأدلة كحديث أبي بكرة سابق الذكر.

### **القول المختار في الأحرف السبعة:**

قبل ضبط المعنى المختار للأحرف السبعة يجب بيان بعض الحقائق:

١. إن الأحرف السبعة تختلف في معانيها تارة وألفاظها تارة مع اتفاق المعنى، ليس فيها تضاد ولا تناف للمعنى ولا إحالة ولا فساد.

٢. إن جميع هذه السبعة أحرف قد كانت ظهرت واستفاضت عن رسول الله ﷺ، وضبطتها الأمة على اختلافها عنه، وتلقته منه ولم يكن شيء منها مشكوكاً فيه ولا مرتاباً به.

٣. إن القرآن لم ينزل بلغة قريش فقط دون سائر العرب؛ وإن كان معظمه نزل بلغة قريش.

٤. إن رسول الله ﷺ سن جمع القرآن وكتابته، وأمر بذلك، وأملاه على كتبته، وأنه ﷺ لم يمت حتى حفظ جميع القرآن جماعة من أصحابه، وحفظ الباقي منه جميعه متفرقاً وعرفوه وعلموا مواقعهم ومواضعه.

٥. إن أبا بكر الصديق وعمر الفاروق وزيد بن ثابت رضي الله عنهم وجماعة الأمة أصابوا في جمع القرآن بين لوحين وتحصينه وإحرازه وصيانتته.

٦. إن عثمان رضي الله لم يسقط عنه شيئاً من القراءات الثابتة عن الرسول ﷺ، ولا منع منها ولا حظر القراءة بها، إذ ليس إليه ولا إلى غيره أن يمنع ما أباحه الله تعالى وأطلقه وحكم بصوابه<sup>(١)</sup>.

### وعليه فإن الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن تضبط بما يأتي:

١. أن الأحرف السبعة: هي لغات سبعة متفرقة في القرآن، ومعان في ألفاظ تسمع في القراءة: مختلفة في السمع متفقة في المعنى، مثل: هلم، وأقبل، وتعال، وعجل، وأسرع، وقصدي، ونحوي، هذه ألفاظ سبعة في معنى طلب الإقبال.

أو مختلفة في السمع وفي المعنى؛ كزيادة كلمة ونقص أخرى، أو زيادة حرف ونقص آخر، أو تغيير حركات في موضع حركات آخر، أو إسكان حركة، أو تشديد، أو تخفيف، أو تقديم، أو تأخير. وشبه ذلك مما يسمع ويميز بالسمع. ومن أمثلته:

**الأول:** اختلاف الأسماء بالإفراد والتثنية والجمع، والتأنيث والتذكير، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨]، قرئ: "لأماناتهم" جمعاً، و"لأمانتهم" بالإفراد.

**الثاني:** اختلاف تصريف الأفعال، من ماض ومضارع وأمر، ويمثل له بقوله تعالى: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِد بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ [سبأ: ١٩]. قرئ بنصب "ربنا" على النداء، وبلفظ

(١) ينظر: الأحرف السبعة للقرآن، أبو عمرو الداني، ص ٦٣.

"باعد" على فعل الأمر. وقرئ "ربنا بعد" برفع "رب" على الابتداء، ولفظ "بعد" ماضياً مضعف العين، خير المبتدأ.

**الثالث:** اختلاف وجوه الإعراب: وهو كثير في القرآن.

**الرابع:** الاختلاف بالنقص والزيادة. ويمكن التمثيل له بقوله تعالى في سورة التوبة: ﴿وَأَعِدْ لَهُمْ جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التوبة: ١٠٠]. وقرئ "تجري من تحتها الأنهار" بزيادة لفظ "من"، وهما قراءتان متواترتان.

**الخامس:** الاختلاف بالتقديم والتأخير. ويمكن التمثيل له بقوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ [ق: ١٩]. فقد قرئ: "وجاءت سكرة الحق بالموت"، ولكن القراءة الثانية لا توافق رسم مصحف من المصاحف العثمانية، فتركت وعدت منسوخة التلاوة، في العرضة الأخيرة. ومثال ما وافق رسم المصحف من هذا الوجه، قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِمْ حَقًّا﴾ [التوبة: ١١١]. قرئ الفعل الأول مبنياً للمعلوم، والثاني مبنياً للمجهول، وقرئ بالعكس، الأول مبنياً للمجهول، والثاني مبنياً للمعلوم، والقراءتان متواترتان.

**السادس:** الاختلاف بالإبدال: ويمكن التمثيل له بقوله تعالى: ﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نَنشُرُهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]. قرئ "ننشزها" بالزاي وبالراء قراءتان متواترتان.

**السابع:** اختلاف اللغات أي: اللهجات، كالفتح والإمالة والترقيق والتفخيم، والإظهار والإدغام، ونحو ذلك<sup>(١)</sup>.

**٢.** إن القراءات المروية عن الأئمة هي جزء من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووافق اللفظ بها خط المصحف العثماني.

(١) ينظر: الأحرف السبعة للقرآن، أبو عمرو الداني، ص ٢٤.



٣. وليست الأحرف السبعة مما يحتوي على المعاني المستترة، كالحلال والحرام، والناسخ والمنسوخ، والأمر والنهي، وشبه هذا؛ فهذه معان في النفس مستترة، لا تعلم إلا بسؤال من يعتقد بها، والأحرف السبعة هي ألفاظ ذات معاني ظاهرة.

### القراءات والقراء:

**في اللغة:** القراءات جمع قراءة، وهي مصدر من قرأ يقرأ قراءة وقرآناً، واسم الفاعل منه قارئ وجمعه قراء. كما سبق في تعريف القرآن الكريم.

### وأما في الاصطلاح:

قال الزركشي: واعلم أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد ﷺ للبيان والإعجاز والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المنكور في كتبة الحروف أو كيفيةها من تخفيف وتثقل وغيرهما<sup>(١)</sup>.

ولا تخرج القراءات في مجموعها عند العلماء عن التعريف الآتي:

القراءات هي: مذاهب القراء في كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم.

لكن هذا لا يعني أن مذاهب القراء كانت عن أهواء وآراء عندهم، بل إن المصدر الوحيد للقراءات، إنما هو الوحي المنزل على النبي عليه الصلاة والسلام.

يقول الزرقاني: ثم إن الصحابة رضوان الله عليهم قد اختلف أخذهم عن رسول الله ﷺ، فمنهم من أخذ القرآن عنه بحرف واحد، ومنهم من أخذه عنه بحرفين، ومنهم من زاد، ثم تفرقوا في البلاد وهم على هذه الحال، فاختلف بسبب ذلك أخذ التابعين عنهم، وأخذ تابعي التابعين وهم جرا، حتى وصل الأمر على هذا النحو إلى الأئمة القراء المشهورين، الذين تخصصوا وانقطعوا للقراءات، يضبطونها ويعنون بها وينشرونها<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ح ١ ص ٣١٨.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن، عبد العظيم الزرقاني، ح ١ ص ٤١٣.

## ضوابط القراءة وأنواعها:

جعل بعض العلماء القراءة ثلاثة أنواع:

الأول: المتواترة: كالقراءات السبع.

الثاني: الأحاد: كبقية العشرة. وقيل العشر متواترة أيضاً.

الثالث: الشاذة: كقراءة بعض الصحابة وغير القراءات العشر.

واعتمد بعض العلماء على الضوابط في قبول القراءة، وهذه الضوابط هي:

١. صحة السند: أي صحة النقل مشافهة عن النبي ﷺ.

قال ابن مجاهد: والقراءة التي عليها الناس بالمدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام هي القراءة التي تلقوها عن أوليهم تلقياً وقام بها في كل مصر من هذه الأمصار رجل ممن أخذ عن التابعين أجمعت الخاصة والعامة على قراءته وسلكوا فيها طريقه وتمسكوا بمذهبه على ما روي عن عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت وعروة بن الزبير ومحمد بن المنكر وعمر بن عبد العزيز وعامر الشعبي<sup>(١)</sup>.

ويعد بعض العلماء صحة السند شرطاً لازماً وكافياً لقبول القراءة، حيث هي سنة النبي ﷺ ومنقولة عنه وهذا كاف في قبولها. والجزم في هذا حاصل ما لو كانت القراءة متواترة.

٢. موافقة القراءة للرسم العثماني: من العلماء من اشتراط الموافقة تحقيقاً، ومنهم من قبلها ولو تقديراً أو احتمالاً.

٣. موافقة القراءة للغة: بوجه من الوجوه ولو ضعيفاً، ويرى بعضهم أن يكون شائعاً فاشياً في استعمال اللغة له.

واستخلص بعض العلماء أنواع القراءات فجعلها ستة أنواع<sup>(٢)</sup>:

(١) السبعة في القراءات، أبو بكر بن مجاهد البغدادي، ص ٤٩.

(٢) ينظر: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص ١٧٩.

**الأول المتواتر:** وهو ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهاه، وهذا هو الغالب في القراءات.

**الثاني المشهور:** وهو ما صح سنده ولم يبلغ درجة المتواتر، ووافق العربية والرسم، واشتهر عند القراء فلم يعدوه من الغلط، ولا من الشذوذ، وذكر العلماء في هذا النوع أنه يقرأ به.

**الثالث الأحاد:** وهو ما صح سنده، وخالف الرسم، أو العربية، أو لم يشتهر الاشتهار المذكور. وهذا لا يقرأ به.

**الرابع الشاذ:** وهو ما لم يصح سنده.

**الخامس الموضوع:** وهو ما لا أصل له.

**السادس المدرج:** وهو ما زيد في القراءات على وجه التفسير، كقراءة ابن عباس: "ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم في موسم الحج، فإذا أفضتم من عرفات"، فقوله: "في موسم الحج" تفسير مدرج في الآية.

والأنواع الأربعة الأخيرة لا يقرأ بها.

### **أشهر القراء من الصحابة:**

المشهورون من الصحابة هم: عثمان، وعلي، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وابن مسعود، وأبو الدرداء، وأبو موسى الأشعري.

### **أشهر القراء التابعين:**

بالمدينة المنورة: سعيد بن المسيب، وعروة، وسالم، وعمر بن عبد العزيز، وسليمان بن يسار، وأخوه عطاء، وزيد بن أسلم، ومسلم بن جندب، وابن شهاب الزهري، وعبد الرحمن بن هرمز، ومعاذ بن الحارث المشهور بمعاذ القاري.

بمكة المكرمة: عطاء، ومجاهد، وطاووس، وعكرمة، وابن أبي مليكة، وغيرهم.  
بالبصرة: عامر بن عبد القيس، وأبو العالية، وأبو رجاء، ونصر بن عاصم، ويحيى بن  
يعمر، وجابر بن زيد، والحسن، وابن سيرين، وقتادة وغيرهم.  
بالكوفة: علقمة، والأسود، ومسروق، وعبيدة السلماني، والربيع بن خثيم، والحارث بن  
قيس، وعمرو بن شرحبيل، وعمرو بن ميمون، وأبو عبد الرحمن السلمي، وزر بن  
حبيش، وعبيد بن نضلة، وأبو زرعة بن عمرو، وسعيد بن جبير، والنخعي والشعبي.  
بالشام: المغيرة بن أبي شهاب المخزومي صاحب مصحف عثمان، وخليد بن سعد  
صاحب أبي الدرداء وغيرهما.

### القراء السبعة:

١. **نافع:** هو أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني. أخذ القراءة عن أبي  
جعفر القاري وعن سبعين من التابعين الذين أخذوا عن عبد الله بن عباس، وأبي هريرة،  
عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ، وانتهت إليه رئاسة الإقراء بالمدينة المنورة، توفي  
سنة ١٦٩ هـ. وأشهر رواته قالون وورش.

٢. **ابن كثير:** هو أبو محمد أو أبو عبد الله بن كثير الداري، كان إمام الناس في القراءة  
بمكة. لقي من الصحابة عبد الله بن الزبير وأبا أيوب الأنصاري وأنس بن مالك. وروى  
عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ وقرأ

على عبد الله بن السائب المخزومي، وقرأ عبد الله هذا على أبي بن كعب وعمر ابن  
الخطاب وكلاهما قرأ على رسول الله ﷺ وتوفي سنة ١٢٠ هـ. وأشهر رواته البيهقي وقنبل.

٣. **أبو عمرو البصري:** هو أبو عمرو زيان بن العلاء بن عمار البصري. روى عن  
مجاهد بن جبر وسعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ،  
قرأ على جماعة منهم أبو جعفر يزيد بن القعقاع والحسن البصري، وقرأ الحسن على

حطان وأبي العالية. وقرأ أبو العالية على عمر بن الخطاب، توفي أبو عمرو سنة ١٥٤ هـ. وأشهر رواته الدوري والسوسي.

٤. **ابن عامر الشامي:** هو عبد الله اليحصبي يكنى أبا نعيم وأبا عمران، وهو تابعي لقي واثلة بن الأسقع والنعمان بن بشير. وقد أخذ القراءة عن المغيرة بن أبي شهاب المخزومي عن عثمان بن عفان عن رسول الله ﷺ. وقيل: إنه قرأ على عثمان نفسه، توفي بدمشق سنة ١١٨ هـ. وأشهر رواته هشام بن عمار وابن ذكوان.

٥. **عاصم الكوفي:** هو أبو بكر عاصم بن أبي النجود الأسيدي، قرأ على زر بن حبيش على عبد الله بن مسعود، على رسول الله ﷺ وقرأ أيضا على أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي معلم الحسن والحسين، وقرأ عبد الرحمن على الإمام علي وأخذ الإمام علي رضي الله عنه قراءته عن رسول الله ﷺ، توفي عاصم بالكوفة سنة ١٢٧ هـ. وأشهر رواته شعبة وحفص.

٦. **حمزة الكوفي:** هو أبو عمارة حمزة بن حبيب الزيات الكوفي مولى عكرمة بن ربيع التيمي، قرأ على أبي محمد سليمان بن مهران الأعمش على يحيى بن وثاب على زر بن حبيش على عثمان وعلي وابن مسعود على النبي ﷺ، توفي بطلوان سنة ١٥٦ هـ. وأشهر رواته خلف بن هشام وخلاد.

٧. **الكسائي الكوفي:** هو أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي النحوي لقب بالكسائي لأنه كان على الدوام لابسا كساء، قال أبو بكر الأنباري: اجتمعت في الكسائي أمور: كان أعلم الناس بالنحو، وأوحدهم بالغريب، وكان أعلم الناس بالقرآن، فكانوا يكثرون عليه حتى يضطر أن يجلس على الكرسي ويتلو القرآن من أوله إلى آخره، وهم يسمعون منه ويضبطون عنه، توفي سنة ١٨٩ هـ. وأشهر رواته أبو الحارث الليث بن خالد، والدوري حفص بن عمر.

### تمام القراء العشرة:

٨. **أبو جعفر المدني:** يزيد بن القعقاع القاري نسبة إلى موضع بالمدينة يسمى «قارا». أخذ عن عبد الله بن عباس وأبي هريرة، عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ، توفي سنة ١٣٠ هـ. وأشهر رواته عيسى بن وردان وابن جمار.

٩. **يعقوب البصري:** هو أبو محمد يعقوب بن إسحاق الحضرمي قرأ على أبي المنذر سلام بن سليمان الطويل، وقرأ سلام على عاصم وعلى أبي عمرو، توفي بالبصرة سنة ٢٠٥ هـ. وأشهر رواته رويس وروح بن عبد المؤمن.

١٠. **خلف البزار:** أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب البزار البغدادي، قرأ على سليم عن حمزة، وعلى يعقوب بن خليفة الأعشى وعلى أبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري صاحب المفضل الضبي، وعلى أبان العطار، وهم عن عاصم، توفي سنة ٢٢٩ هـ ببغداد. وأشهر رواته إسحاق الوراق وإدريس الحداد.

### تمام القراء الأربعة عشر:

١١. **الحسن البصري:** هو السيد الإمام الحسن بن يسار أبو سعيد البصري الغني بشهرته عن تعريفه توفي سنة ١١٠ هـ. من رواية شجاع عن عيسى الثقفي عنه، ورواية الدوري عن شجاع عن عيسى الثقفي عنه.

١٢. **ابن محيصة:** هو محمد بن عبد الرحمن السهمي المكي مقرئ أهل مكة مع ابن كثير توفي سنة ١٢٣ هـ. من روايتي البزي وابن شنبوذ بسندها إلى شبل عنه.

١٣. **يحيى اليزيدي:** هو يحيى بن المبارك بن المغيرة، الإمام أبو محمد العدوي البصري المعروف باليزيدي توفي سنة ٢٠٢ هـ. من رواية سليمان بن الحكم عنه، ورواية أحمد بن فرح عن الدوري عنه.

١٤. **الأعمش:** سليمان بن مهران الأسدي الكوفي الإمام الجليل كان عالما بالقرآن والحديث توفي سنة ١٤٨ هـ. من روايتي الشنبوذي والمطوعي بسندها إلى ابن قدامة عنه.

## المبحث الرابع

### أسباب النزول

#### تعريف أسباب النزول:

أبدى العلماء اهتماماً كبيراً في معرفة أسباب نزول آيات القرآن الكريم، وصنفوا فيه المصنفات الكثيرة. وقد ألف في أسباب النزول على سبيل التفصيل جماعة، منهم علي بن المديني شيخ البخاري، ويعد أول من صنف في هذا العلم، ومنهم الواحدي وابن حجر والسيوطي.

وينقسم نزول القرآن باعتبار جهة النزول إلى قسمين:

القسم الأول: ما لم يتوقف على سبب: أي نزل ابتداء من غير سبب خاص، إنما نزل تشريعاً ليعالج قضايا المجتمع وعقائده وعاداته وأعرافه. وأكثر القرآن يندرج تحت هذا القسم، فالقرآن ينزل ليكون هداية للناس ومرشداً إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة.

القسم الثاني: نزل عقب واقعة أو سؤال: وهذا القسم يعالج النوازل الحادثة، أو الأسئلة المثارة حول قضية شرعية ما.

كاختلاف الأوس والخزرج، حتى أوشكوا على الاقتتال، فنزل قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢].

وكسؤال اليهود النبي ﷺ عن ذي القرنين، فنزل قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٨٣].

ومن هنا يمكن أن نقول إن **سبب النزول بالمعنى الاصطلاحي**: هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أن مبينة لحكمه أيام وقوعه. والمعنى أنه حادثة وقعت في زمن النبي ﷺ أو سؤال وجه إليه فنزلت الآية أو الآيات من الله تعالى ببيان ما يتصل بتلك الحادثة أو بجواب هذا السؤال.

يقول السيوطي: والذي يتحرر في سبب النزول أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه، ليخرج ما ذكره الواحدي في تفسيره في سورة الفيل من أن سببها قصة قدوم الحبشة به، فإن ذلك ليس من أسباب النزول في شيء، بل هو من باب الإخبار عن الوقائع الماضية، كذكر قصة قوم نوح وعاد وثمود وبناء البيت ونحو ذلك وكذلك ذكره في قوله: ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾ [الأنساء: ١٢٥] سبب اتخاذه خليلاً ليس ذلك من أسباب نزول القرآن كما لا يخفى<sup>(١)</sup>.

### فوائد العلم بأسباب النزول<sup>(٢)</sup>:

١. معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم.
٢. تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب.
٣. أن اللفظ قد يكون عاماً ويقوم الدليل على تخصصه فإذا عرف السبب قصر التخصيص على ما عدا صورته فإن دخول صورة السبب قطعي وإخراجها بالاجتهاد ممنوع، كما حكى الإجماع عليه القاضي أبو بكر في التقريب.
٤. الوقوف على المعنى وإزالة الإشكال قال الواحدي: لا يمكن تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها. ومن ذلك قوله: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله﴾ [البقرة: ١٥٨]، فإن ظاهر لفظها لا يقتضي أن السعي فرض، وقد ذهب بعضهم إلى عدم فرضيته تمسكاً بذلك، وقد ردت عائشة على عروة في فهمه ذلك بسبب نزولها، وهو أن الصحابة تأثموا من السعي بينهما لأنه من عمل الجاهلية. فنزلت.
٥. دفع توهم الحصر. قال الشافعي ما معناه في قوله تعالى: ﴿قل لا أجد في ما أوحى إلي محرماً﴾ [الأنعام: ١٤٥]؛ أن الكفار لما حرموا ما أحل الله وأحلوا ما حرم الله وكانوا

(١) الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ح ١ ص ١١٦. ومناهل العرفان في علوم القرآن، عبد العظيم الزرقاني، ح ١ ص ١٠٦.

(٢) ينظر: الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ح ١ ص ١٠٧.



على المضادة والمحاداة فجاءت الآية مناقضة لغرضهم، فكأنه قال: لا حلال إلا ما حرمتوه ولا حرام إلا ما أحللتموه نازلاً نزلةً من يقول: لا تأكل اليوم حلاوة فنقول: لا أكل اليوم إلا الحلاوة، والغرض المضادة لا النفي والإثبات على الحقيقة، فكأنه تعالى قال: لا حرام إلا ما أحللتموه من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به، ولم يقصد حل ما وراءه إذ القصد إثبات التحريم لا إثبات الحل. قال إمام الحرمين: وهذا في غاية الحسن ولولا سبق الشافعي إلى ذلك لما كنا نستجيز مخالفة مالك في حصر المحرمات فيما ذكرته الآية.

٦. معرفة اسم النازل فيه الآية، وتعيين المبهم فيها، ولقد قال مروان: في عبد الرحمن بن أبي بكر: إنه الذي أنزل فيه: ﴿والذي قال لوالديه أف لكما﴾ [الأحقاف: ١٧]، حتى ردت عليه عائشة وبينت له سبب نزولها، وأنها نزلت في فلان ولم تنزل في عبد الرحمن.

### طريق معرفة أسباب النزول:

سبق أن بينا أن سبب النزول يقتصر على أمرين: الأول: عقب حادثة، والثاني جواباً عن سؤال. والظاهر في كلا الأمرين أن معرفته لا تكون إلا الرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب، وهم الصحابة رضوان الله عليهم، فإن قولهم في سبب النزول بمثابة المرفوع، فهو مما لا مجال للرأي، فيه فإن صح النقل عنهم وجب الأخذ به، وإلا يكون كذباً على النبي ﷺ.

أما قول التابعي في سبب النزول: فإن كان نقلاً متصلاً عن الصحابي فهو سبب، وإلا يعامل معاملة المراسيل.

ولا يصح سبب النزول بالاجتهاد مطلقاً، فعن ابن سيرين، قال: سألت عبيدة عن شيء من القرآن فقال: اتق الله، وعليك بالسداد، فقد ذهب الذين يعلمون فيم أنزل القرآن<sup>(١)</sup>.

(١) فضائل القرآن، القاسم بن سلام، ص ٣٧٧.

لكن ربما استخدم التعبير في غير قصد بيان السبب، إنما لإظهار حكم النص،  
فقولهم: نزلت هذه الآية في كذا، فإنه يذهب إلى أمرين:

**الأول:** يراد به سبب النزول، إذا حقق شروطه.

**الثاني:** يراد به أن ذلك داخل في الآية، وإن لم يكن السبب، كما نقول: عني بهذه الآية كذا، وكان  
من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال: إذا نزلت هذه الآية في كذا فإنه يريد بذلك أن هذه  
الآية تتضمن هذا الحكم، لا أن هذا كان السبب في نزولها، ومن ذلك: حديث عبد الله بن  
مسعود، رضي الله عنه، قال: سألت رسول الله ﷺ: أي الذنب عند الله أكبر؟ قال: أن تجعل لله  
نداً وهو خلقك، قلت: ثم أي؟ قال: ثم أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك، قلت: ثم أي؟ قال: أن  
تتراني بحليلة جارك، قال: ونزلت هذه الآية تصديقاً لقول رسول الله ﷺ: ﴿والذين لا يدعون مع  
الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون﴾ [الفرقان: ٦٨] (١).

### **العموم والخصوص في السبب والنازل:**

لا يخرج التقسيم المنطقي للسبب والنازل في العموم والخصوص عن أربع صور:

١. أن يكون كل من السبب والنازل خاصاً.

٢. أن يكون كل من السبب والنازل عاماً.

٣. أن يكون السبب عاماً والنازل خاصاً.

٤. أن يكون السبب خاصاً والنازل عاماً.

أما الصورة الأولى والثانية: فلا خلاف فيها عند العلماء، فيبقى الخاص على خصوصه  
والعام على عمومه.

---

(١) ينظر: العجائب في بيان الأسباب، ابن حجر العسقلاني، ح ١ ص ١٠٦. الحديث أخرجه البخاري في  
الصحيح، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً﴾ [البقرة: ٢٢].

وأما الصورة الثالثة: فهي غير واقعة حقيقة في القرآن، فكيف يكون السؤال عاماً وجوابه خاصاً بأحد أفرادها فقط، فلا تطابق بين السؤال والجواب.

وأما الصورة الرابعة: فهي واقعة فعلاً، وهي موضع خلاف عند العلماء<sup>(١)</sup>:

### **مذهب الجمهور:**

ذهب الجمهور من العلماء إلى أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

ومنه آيات اللعان في سورة النور، والتي نزلت بسبب حادثة هلال بن أمية، الذي رمى امرأته بشريك بن سحماء، فالآية عامة وتشمل كل من كان على هذه الشاكلة وإن كان سبب النزول خاصاً بفرد من الأفراد.

### **مذهب غير الجمهور:**

ذهب غير الجمهور إلى أن العبرة بخصوص السبب.

فالآية قاصرة على من نزلت بسببه، فأيات اللعان لفظها خاص بهلال بن أمية، أما حكم غيرهما ممن يشبههما فلا يكون مستفاداً من لفظ الآية.

### **بين مذهب الجمهور وغيرهم:**

١. يتفق العلماء ألا يصح التخصيص من غير قرينة أو دليل مخصص، أما إذا قامت تلك القرينة فإن الحكم يكون مقصوداً على سببه لا محالة بإجماع العلماء.

٢. مذهب الجمهور يجعل حكم العموم مستفاداً من اللفظ الخاص، فيكون حكمهم على العموم قطعي كحكمهم على الخاص.

٣. بينما غير الجمهور يستفاد حكمهم على العموم بطريق القياس أو بالاجتهاد، وهذا يعني أن غير الجمهور لا ينكرون عموم الحكم بل ينكرون استفادته من اللفظ فقط، فأيات اللعان عندهم حكمها خاص بمن نزلت به، ويحكم على غيرهم بحكمهم قياساً.

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ح ١ ص ٣٢. والإتقان، السيوطي، ح ١ ص ١١٠.

## التعدد في روايات أسباب النزول:

لا يخلو حال الروايات في التعدد من صور، أهمها:

١. لا خلاف بين العلماء أنه إذا تعددت أسباب النزول، وكانت رواية صحيحة وأخرى ضعيفة، فإنه يقدم الصحيح على الضعيف.
٢. لا خلاف بين العلماء أنه إذا كانت الروايات في أسباب النزول صحيحة، وإحداها أرجح من الأخرى بوجه من وجوه الترجيح أخذ بالأرجح وترك المرجوح.
٣. إذا تساوت روايات النزول في الصحة، وكان زمانها متقارباً، فهي سبباً واحداً.
٤. إذا تساوت روايات النزول في الصحة، وكان زمانها متباعداً، فيقول العلماء بنزول الآية مرات متعددة.

## تعدد النازل لسبب واحد:

قال أبو شهبة: قد يكون الأمر الواحد سبباً لنزول آيتين أو آيات متعددة متفرقة، ولا إشكال في ذلك، ولا بعد؛ فقد ينزل في الوقعة الواحدة آيات عديدة في سور شتى، تبياناً وإرشاداً للخلق، وإقناعاً للسائل. من أمثلة ذلك ما أخرجه البخاري من حديث زيد بن ثابت: أن رسول الله ﷺ ألقى عليه ﴿ لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله... ﴾، فجاء ابن أم مكتوم وقال: يا رسول الله؛ لو أستطيع الجهاد لجاهدت، وكان أعمى، فأنزل الله: ﴿ غير أولي الضرر ﴾ [النساء: ٩٥ - ٩٦]. وأخرج ابن أبي حاتم بسنده عن زيد بن ثابت أيضاً قال: كنت أكتب لرسول الله ﷺ فإني لو اضع القلم على أنفي، إذ أمر بالقتال فجعل رسول الله ﷺ ينظر ما ينزل عليه، إذ جاء أعمى فقال: كيف لي يا رسول الله وأنا أعمى، فأنزل الله: ﴿ ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ﴾ [التوبة: ٩١] (١).

(١) ينظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد أبو شهبة، ص ١٥٤.

## المبحث الخامس

### جمع القرآن وحفظه وترتيبه

#### مراحل جمع القرآن الكريم وحفظه:

مر جمع القرآن الكريم تاريخياً حتى وصل إلينا بهذا الشكل، بثلاث مراحل:

#### المرحلة الأولى: الجمع في عهد النبي ﷺ:

إن جمع القرآن الكريم في هذه المرحلة يأخذ معنيين اثنين:

#### الأول: جمع القرآن بمعنى حفظه في الصدور:

##### ١. الحفظ في صدر النبي ﷺ:

ابتدأ نزول القرآن الكريم على النبي ﷺ بغار حراء كما مر، ومن ذاك الوقت حرص النبي ﷺ على حفظه ومراجعته وتكراره خشية نقلته، ولذلك أنزل الله عليه قوله، ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به ﴾ (١٦) إن علينا جمعه وقرآنه (١٧) فإذا قرأناه فاتبع قرآنه (١٨) ثم إن علينا بيانه ﴿ [القيامة: ١٦ - ١٩]، بالإضافة إلى معارضته القرآن جبريل في رمضان، حتى إذا كانت السنة الأخيرة من حياته ﷺ عرضه عليه مرتين. فكان هذا جمعاً للقرآن الكريم حفظاً في صدر النبي ﷺ.

##### ٢. الحفظ في صدر الصحابة:

أولى الصحابة رضي الله عنهم القرآن أهمية بالغة، حفظاً وتلاوة وعملاً.

يقول أبو شهبه: وأما الصحابة رضوان الله عليهم فقد جعلوا القرآن في المحل الأول، يتنافسون في حفظ لفظه ويتسابقون في فهم معناه، وجعلوه مسلاتهم في فراغهم، ومتعبدهم في ليلهم، حتى لقد كان يسمع لهم بقراءته دوي كدوي النحل، ﴿ كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون ﴾ (١٧) وبالأسحار

هم يستغفرون ﴿ [الذاريات: ١٧ - ١٨]؛ ولقد وصفهم واصف فقال: كانوا رهباناً بالليل فرساناً بالنهار، وكان اعتمادهم في الحفظ على التلقي والسماع من الرسول، أو ممن تلقاه من الصحابة من الرسول، وما كانوا يعتمدون في حفظه على النقل من الصحف والسطور؛ لأن الاعتماد في حفظ القرآن على الصحف والمكتوب يفوت على القارئ ركناً مهماً من أركان أداء القرآن الكريم على وجهه الصحيح، وهو علم التجويد<sup>(١)</sup>.

وقد حفظ القرآن من الصحابة العدد الكبير، الذي يبلغ بهم حد التواتر، ولا إشكال فيما ورد من أن عدد الذين حفظوا القرآن من الصحابة محصور بعدد قليل منهم، كما جاء عن أنس بن مالك قال: مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة، أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد، وأبو زيد هذا اسمه قيس بن السكن، ونحن ورثناه<sup>(٢)</sup>. لأن أنساً لم يقصد القصر الحقيقي، والواقع يدل على ذلك، فالتثبت أن الخلفاء الأربعة يحفظون، ولم ينكرهم أنس هنا، فدل أنه لا يريد الحصر، بل ربما أراد أنه لم يجمع القرآن غير هؤلاء الأربعة تلقيناً من الرسول، أما غيرهم فأخذوا بعضه بالتلقين وبعضه بالواسطة، أو أن المراد بالجمع الكتابة، أو لم يجمعه بجميع حروفه وقراءاته غير هؤلاء إلى غير ذلك من التأويلات.

### **الثاني: جمع القرآن بمعنى حفظه في السطور أي تدوينه:**

كان النبي ﷺ بالإضافة إلى اهتمامه بحفظ القرآن الكريم وتحفيظه لأصحابه، كان عنده كتاباً للوحي، يكتبون ما يمليه عليهم مما ينزل من الوحي، ولا يكتبون إلا القرآن، خشية اختلاطه بالسنة المطهرة. منهم أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وأبان وخالد ابنا سعيد وخالد بن الوليد ومعاوية بن أبي سفيان، وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب وغيرهم، فقد روي عن عثمان: إن رسول الله ﷺ كان إذا نزل عليه شيء يدعو بعض من يكتب عنده فيقول: ضعوا هذه في السورة التي ينكر

(١) ينظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد أبو شهبه، ص ٢٦١.

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ.

فيها كذا وكذا، وتنزل عليه الآيات، فيقول: ضعوا هذه الآيات في السورة التي ينكر فيها كذا وكذا<sup>(١)</sup>. وعن زيد بن ثابت قال: كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع<sup>(٢)</sup>.

إن: كتب القرآن الكريم كله بين يدي النبي ﷺ، والقرآن فقط، ففي الحديث: لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه، وحدثوا عني، ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار<sup>(٣)</sup>. لكن الجمع كان مفرقاً غير مجموع في مكان واحد، وإنما لم يجمع النبي ﷺ القرآن في مكان واحد لسببين:

الأول: ترقب النبي ﷺ نزول الوحي ونزول بعض آيات ناسخة لبعض أحكامه وألفاظه. الثاني: لأن ترتيب آيات القرآن وسوره لم يكن على حسب النزول، فقد تنزل الآية أو السورة بعد الآية أو السورة وتكون في ترتيب الكتابة قبلها، وذلك مثل آية الاعتداد بأربعة أشهر وعشر فإنها ناسخة لآية الاعتداد بحول، مع أن الأولى مكتوبة في المصاحف قبلها، وهي متأخرة في النزول عنها قطعاً لوجوب تأخر الناسخ عن المنسوخ.

### **المرحلة الثانية: الجمع في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه:**

بعد وفاة النبي ﷺ تولى أبو بكر الصديق الخلافة، وحارب أهل الردة إثر ذلك، وقتل فيها الكثير من حفاظ القرآن، فأشار عمر على أبي بكر أن يجمع القرآن في مكان واحد، فتردد أبو بكر أول الأمر، ولكن لم يزل به عمر حتى وافق، فأرسل الصديق إلى زيد بن ثابت، فراجعهما، ولم يزالا به حتى ظهر له الحق بجمعه.

فقد روي عن زيد بن ثابت رضي الله عنه، قال: أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر رضي الله عنه: إن عمر أتاني فقال: إن القتل

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، باب السورة التي ينكر فيها كذا. ح ٧ ص ٢٥٣.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، باب ذكر حديث جمع القرآن، ح ١ ص ٣٣٩.

(٣) أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الزهد والرقائق، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم.

قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن، فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر: كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر، قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟، قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فتتبع القرآن أجمعه من العصب والخاف، وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره، ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم﴾ [التوبة: ١٢٨] حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنه<sup>(١)</sup>.

ولم يقبل عمر وزيد أن يكتبوا عن أحد إلا بشاهدين، وقد اختلف في المراد بالشاهدين، فقال الحافظ ابن حجر: المراد بالشاهدين الحفظ والكتابة، وقال السخاوي: المراد بالشاهدين أنهما يشهدان أن ذلك مكتوب كتب بين يدي رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>.

### **الباعث على جمع أبي بكر:**

إن السبب الرئيس الباعث على جمع القرآن وكتابته مجموعاً في زمن أبي بكر، هو الخوف على ضياع القرآن، أو شيء منه، بسبب كثرة القتلى من حفاظ الصحابة في حروب الردة.

(١) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن.

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ح ١ ص ٢٣٤. والإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ح ١ ص ٢٠٦.



### مميزات جمع أبي بكر رضي الله عنه:

١. أنه اقتصر فيه على ما لم تنسخ تلاوته.
٢. أنه كان مكتوباً بجميع الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن.
٣. رتبت كل سورة بشكل مستقل في صحف، ثم جمعت هذه الصحف وشدت بعضها إلى بعض.
٤. أنه لم يقبل فيه إلا ما تواترت روايته وأجمع الصحابة على أنه قرآن.

### المرحلة الثالثة: الجمع في عهد عثمان رضي الله عنه:

في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، اتسعت رقعة الدولة الإسلامية، وتفرقت الصحابة رضي الله عنهم في البلدان والأمصار، وكل واحد منهم يقرأ بقراءة من القراءات التي أخذها مشافهة عن النبي ﷺ.

ثم أخذ الناس عن الصحابة القراءة، اختلف الناس في القراءات، واشتد الخلاف بينهم إلى درجة تخطيء الواحد قراءة الآخر دونما علم أو معرفة، إلا مخالفته لما عنده، حتى وصل لأن يكفر بعضهم بعضاً.

خشي عثمان من مخاطر هذا الخلاف، فهو في صميم الدين، وفي العروة الوثقى التي تجمع المسلمين.

ثم ما لبث أن جاء حذيفة بن اليمان وأخبره بما وقع بين أهل الشام والعراق من الاختلاف في القراءة في غزوة أرمينية، فرأى ومن معه من الصحابة أن يجمع الناس على مصحف واحد.

فأرسل إلى حفصة أم المؤمنين، التي كانت الصحف التي كتبت في عهد أبي بكر عندها، لتكون أساساً في جمع القرآن.

ثم عهد عثمان إلى زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، أن ينسخوا الصحف في مصاحف.

ثم قال للرهب القرشيين: إذا اختلفتم أنتم وزيد فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم.

فكتبوا المصاحف مرتبة على ترتيب مصاحفنا اليوم.

فلما انتهوا أرسل عثمان إلى كل مصر من الأمصار بمصحف ليجتمع الناس في القراءة عليه.

ثم أمر بالمصاحف الأخرى أن تحرق، ثم رد الصحف إلى حفصة فبقيت عندها إلى أن توفيت، فأرسل مروان بن الحكم إلى أخيها عبد الله بن عمر عقب انصرافه من جنازتها أن يرسل إليه هذه الصحف فأرسلها إليه فأمر بها مروان فشقت، وفي رواية أنه أمر بها فغسلت، وفي رواية أخرى أنه حرقها.

يدل على ذلك ما رواه البخاري عن أنس رضي الله تعالى أن أنس بن مالك، حدثه: أن حذيفة بن اليمان، قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية، وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة، قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة: أن أرسلني إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهب القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم. ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف، أن يحرق. قال ابن شهاب: وأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت، سمع زيد بن ثابت قال: فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف، قد كنت أسمع

رسول الله ﷺ يقرأ بها، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ [الأحزاب: ٢٣] فألحقناها في سورتها في المصحف<sup>(١)</sup>.

### **الباعث على جمع عثمان:**

بينت الروايات السابقة أن السبب الباعث على جمع عثمان هو رفع الاختلاف والتنازع في القرآن، فإن الناس اختلفوا على القراءة، فجمع الناس على القراءة بحرف واحد، وهو لغة قريش

### **مميزات جمع عثمان رضي الله عنه:**

١. الاقتصار فيه على حرف واحد وهو حرف قريش. وقد كان بالأحرف السبعة في صحف أبي بكر.

٢. الاقتصار فيه على ما ثبت بالتواتر وما استقر عليه الأمر في العريضة الأخيرة، ولم يكتبوا ما ثبت بطريق الأحاد، ولا منسوخ التلاوة.

٣. ترتيب آياته وسوره على الوجه المعروف اليوم.

٤. اختلف في عدة المصاحف التي أرسل بها عثمان إلى الآفاق فالمشهور أنها خمسة. وقال ابن أبي داود: سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: كتب سبعة مصاحف فأرسل إلى مكة وإلى الشام وإلى اليمن وإلى البحرين وإلى البصرة وإلى الكوفة وحبس بالمدينة واحداً.

### **الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان:**

قال ابن التين وغيره: الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان أن جمع أبي بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حملته، لأنه لم يكن مجموعاً في موضع واحد،

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن.

فجمعه في صحائف مرتباً لآيات سوره على ما وقفهم عليه النبي ﷺ. وجمع عثمان كان لما كثر الاختلاف في وجوه القراءة حتى قرؤوه بلغاتهم على اتساع اللغات، فأدى ذلك بعضهم إلى تخطئة بعض، فخشي من تفاقم الأمر في ذلك، فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتباً لسوره، واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش، محتجاً بأنه نزل بلغتهم، وإن كان قد وسع قراءته بلغة غيرهم رفعاً للحرج والمشقة في ابتداء الأمر، فرأى أن الحاجة إلى ذلك قد انتهت فاقتصر على لغة واحدة.

وقال القاضي أبو بكر في الانتصار: لم يقصد عثمان قصد أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لوحين، وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي ﷺ، وإلغاء ما ليس كذلك وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير ولا تأويل أثبت مع تنزيل ولا منسوخ تلاوته كتب مع مثبت رسمه ومفروض قراءته وحفظه خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتي بعد<sup>(١)</sup>.

### ترتيب الآيات والسور:

تعرف الآية القرآنية في المصطلح الشرعي بأنها مجموعة من القرآن الكريم منقطعة عما قبله وعما بعدها، مندرجة في سورة من السور، بمعنى أنها ليست جزء مما قبلها ولا جزء مما بعدها، ولا يعني الانقطاع عدم الارتباط المعنوي أو اللغوي.

### حكم ترتيب آيات القرآن:

نقل السيوطي الإجماع في أن ترتيب آيات القرآن الكريم في سورها توقيفي، فقال: الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي لا شبهة في ذلك، وأما الإجماع فنقله غير واحد منهم الزركشي في البرهان، وأبو جعفر بن الزبير في مناسباته، وعبارته: ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه ﷺ. وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين<sup>(٢)</sup>.

(١) الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ح ١ ص ٢١٠.

(٢) الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ح ١ ص ٢١٢.

وأدلة ذلك مستفيضة، منها:

١. عن ابن الزبير قال: قلت: لعثمان بن عفان ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً﴾ [البقرة: ٢٣٤] قال: قد نسختها الآية الأخرى، فلم تكتبها؟ أو تدعها؟ قال: يا ابن أخي لا أغير شيئاً منه من مكانه<sup>(١)</sup>.

٢. عن عمر بن الخطاب، خطب يوم الجمعة، فذكر نبي الله ﷺ، وذكر أبا بكر، ثم قال: إني لا أدع بعدي شيئاً أهم عندي من الكلاله، ما راجعت رسول الله ﷺ في شيء ما راجعته في الكلاله، وما أغلظ لي في شيء ما أغلظ لي فيه، حتى طعن بإصبعه في صدري، وقال: يا عمر، ألا تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء، وإني إن أعش أقض فيها بقضية يقضي بها من يقرأ القرآن، ومن لا يقرأ القرآن<sup>(٢)</sup>.

٣. عن ابن عباس: قلت لعثمان بن عفان: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني، وإلى براءة، وهي من المثنين، فقرنتم بينهما، ولم تكتبوا سطوراً: بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتموها في السبع الطوال، ما حملكم على ذلك؟ قال عثمان: إن رسول الله ﷺ كان مما يأتي عليه الزمان ينزل عليه من السور نوات العدد، وكان إذا أنزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده يقول: ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وينزل عليه الآيات، فيقول: ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وينزل عليه الآية، فيقول: ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال من أوائل ما أنزل بالمدينة، وبراءة من آخر القرآن، فكانت قصتها شبيهة بقصتها، فقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها، وظننت أنها منها، فمن ثم

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً﴾ يترصدن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً ﴿[البقرة: ٢٣٤].

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الفرائض، باب ميراث الكلاله.

قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطرا: بسم الله الرحمن الرحيم. قال ابن جعفر: ووضعتهما في السبع الطول<sup>(١)</sup>.

### ترتيب السور:

تعرف السورة في الاصطلاح، بأنها: طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها معروفة بالسماع، أو طائفة مستقلة من آيات القرآن ذات مطلع ومقطع، منها السور الطويلة، ومنها القصار، وقد قسم القرآن حسب طول السور وقصرها إلى أربعة أقسام:

١. السور الطوال: وهي سبع: سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف، أما السورة السابعة فقليل: إنها سورة الأنفال والتوبة معاً، إذ لم يكتب بينهما بسم الله الرحمن الرحيم وقيل: سورة يونس.

٢. المئون: وهي كل سورة تزيد آياتها على مائة.

٣. المثاني: وهي التي تلي المئين أي ما كان عدد آياتها أقل من مائة وسميت بالمثاني لأنها تتلى أكثر مما تتلى الطوال والمئون.

٤. المفصل: وهي أواخر القرآن ابتداء من سورة (ق) أو الحجرات وانتهاء بسورة الناس.

### حكم ترتيب سور القرآن:

اختلف العلماء في حكم ترتيب سور القرآن الكريم، على ثلاثة أقوال:

### القول الأول: ترتيب جميع السور توقيفي:

وأقوى أدلة هذا الفريق هو إجماع الصحابة رضوان الله عليهم على المصحف العثماني وحرقتهم لجميع المصاحف المختلفة الترتيب في السور. وينسب هذا القول إلى جمهور العلماء منهم مالك والقاضي أبو بكر الباقلاني.

---

(١) ينظر: البرهان في تناسب سور القرآن، ابن الزبير الثقفي، ص ٤٤. الحديث أخرجه أحمد في المسند، مسند الصحابة بعد العشرة، ح ١ ص ٤٦٠.

## القول الثاني: ترتيب جميع السور اجتهادي:

ويستدلون على ذلك باختلاف مصاحف الصحابة في ترتيب السور، ولو كان الترتيب توقيفياً لما اختلفوا. واستدلوا أيضاً بحديث عثمان بن عفان في خصوص سورتي الأنفال وبراءة، السابق، فإن عثمان كان قد اجتهد في ترتيب الأنفال والتوبة.

## القول الثالث: ترتيب بعض السور توقيفي وبعضها الآخر اجتهادي:

ذهب كثير من العلماء للقول بأن بعض السور ترتيبها توقيفي، وبعضها الآخر من اجتهاد الصحابة. وقد وصف الزرقاني هذا القول بأنه أمثل الآراء وإليه ذهب فطاحل العلماء، ونقل قول بعضهم:

قال القاضي أبو محمد بن عطية: إن كثيراً من السور قد علم ترتيبها في حياة النبي ﷺ، كالسبع الطوال والحواميم والمفصل. وأما ما سوى ذلك فيمكن أن يكون فوض الأمر فيه إلى الأمة بعده<sup>(١)</sup>.

## المذهب المختار:

والمختار من الأقوال ما ذهب إليه الجمهور، لقوة دليلهم وتعليلهم، ومن ذلك ما نقله السيوطي في الإتقان:

قال أبو بكر الأنباري: أنزل الله القرآن كله إلى سماء الدنيا ثم فرقه في بضع وعشرين فكانت السورة تنزل لأمر يحدث والآية جواباً لمستخبر، ويوقف جبريل النبي ﷺ على موضع الآية والسورة، فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف كله عن النبي ﷺ، فمن قدم سورة أو آخرها فقد أفسد نظم القرآن.

وقال الكرمانلي في البرهان: ترتيب السور هكذا هو عند الله في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب، وعليه كان ﷺ يعرض على جبريل كل سنة ما كان يجتمع عنده منه، وعرضه

---

(١) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، عبد العظيم الزرقاني، ح ١ ص ٣٥٦. والمدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد أبو شهبة، ص ٣٠٩.

عليه في السنة التي توفي فيها مرتين، وكان آخر الآيات نزولاً: ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾ [البقرة: ٢٨١]، فأمره جبريل أن يضعها بين آيتي الربا والدين.

وقال الطيبي: أنزل القرآن أولاً جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ثم نزل مفرقاً على حسب المصالح، ثم أثبت في المصاحف على التأليف والنظم المثبت في اللوح المحفوظ.

قال الزركشي في البرهان: والخلاف يرجع إلى اللفظ لأن القائل بالثاني يقول: إنه رمز إليهم بذلك لعلمهم بأسباب نزوله ومواقع كلماته، ولهذا قال الإمام مالك: إنما أفوا القرآن على ما كانوا يسمعون من النبي ﷺ، مع قوله بأن ترتيب السور اجتهاد منهم، فالخلاف إلى أنه هل ذلك بتوقيف قولي؟ أم بمجرد استناد فعلي وبحيث بقي لهم فيه مجال للنظر؟ فإن قيل فإذا كانوا قد سمعوه منه كما استقر عليه ترتيبه، ففي ماذا أعملوا الأفكار، وأي مجال بقي لهم بعد هذا الاعتبار، قيل: قد روى مسلم في صحيحه عن حذيفة قال: صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتح سورة البقرة، فقلت: يركع عند المائة ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها ثم افتتح آل عمران. فلما كان النبي ﷺ ربما فعل هذا إرادة للتوسعة على الأمة وتبينا لجليل تلك النعمة كان محلاً للتوقف حتى استقر النظر على رأي ما كان من فعله الأكثر فهذا محل اجتهادهم في المسألة<sup>(١)</sup>.

وقال ابن الحصار: ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها إنما كان بالوحي.

وقال ابن حجر: ترتيب بعض السور على بعضها أو معظمها لا يمتنع أن يكون توقيفياً.

وقال السيوطي: ومما يدل على أنه توقيفي كون الحواميم رتبت ولاء، وكذا الطواسين، ولم ترتب المسبحات ولاء بل فصل بين سورها، وفصل بين طسم الشعراء وطسم القصص

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ح ١ ص ٢٥٧. البرهان في تناسب سور القرآن، ابن الزبير الثقفي، ص ٤٤ وما بعدها.



بطس مع أنها أقصر منهما، ولو كان الترتيب اجتهادياً لذكرت المسبحات ولاء وأخرت طس عن القصص. والذي ينشرح له الصدر ما ذهب إليه البيهقي، وهو أن جميع السور ترتيبها توقيفي إلا براءة والأنفال، ولا ينبغي أن يستدل بقراءته سوراً ولاء على أن ترتيبها كذلك وحينئذ فلا يرد حديث قراءته النساء قبل آل عمران لأن ترتيب السور في القراءة ليس بواجب فعله فعل ذلك لبيان الجواز<sup>(١)</sup>.

### علم المناسبات القرآنية:

المناسبة في اللغة المشاكلة والمقاربة، ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها، عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي، أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني، كالسبب والمسبب والعللة والمعلول، والنظيرين، والضدين، ونحوه<sup>(٢)</sup>.

والمناسبة أمر معقول؛ إذا عُرِضَ على العقول تلقته بالقبول<sup>(٣)</sup>. وهي الرابطة بين الشيين بأي وجه من الوجوه، وفي كتاب الله تعني: ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها، وفي الآيات تعني: وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها<sup>(٤)</sup>.

لكن ينبغي التنبه إلى عدم التكلف والتتبع في الوصول إلى روابط وهمية، غير حقيقية، يبتزها العالم عن أن يوقع نفسه في مهالك القول بالرأي المذموم في كتاب الله عز وجل.

وهذا ما نبه عليه السيوطي في الإتيان عند نقله لكلام العز بن عبد السلام: قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: المناسبة علم حسن، لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط، ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يسان عن مثله حسن

(١) ينظر: الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ح ١ ص ٢١٦.

(٢) ينظر: الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ح ٣ ص ٣٧١.

(٣) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ح ١ ص ٣٥.

(٤) مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، ص ٥٨.

الحديث فضلاً عن أحسنه، فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض<sup>(١)</sup>.

إن معرفة علم تناسب سور القرآن وآياته، بجميع أنواعه، غاية في الأهمية والحاجة لمفسر القرآن، فوجوه المناسبات تكشف موضوع السورة ومقاصدها، ومحاورها الرئيسية، وأهدافها العامة والخاصة.

### المؤلفات في علم المناسبات:

يعتبر علماء التفسير أن الشيخ أبو بكر النيسابوري، أول من تكلم في علم المناسبات، وكان ممن ينتقد على علماء بغداد بعدم علمهم بالمناسبة، وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه: لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة<sup>(٢)</sup>؟

وكذلك أجاد أبو بكر بن العربي المالكي في ذكر المناسبات، في "كتابه أحكام القرآن". وأيضاً كان لفخر الدين الرازي في تفسيره الكبير "مفاتيح الغيب" مساهمات عظيمة في ذكر تناسب الآيات والسور<sup>(٣)</sup>.

لكن هناك من العلماء من أفرد لهذا العلم مصنفات خاصة، كما فعل أبو جعفر ابن الزبير في كتابه "البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن"، والبقاعي في "نظم الدرر في تناسب الآي والسور" وهو أوسع ما ألف في العلم. والسيوطي في "تناسق الدرر في تناسب السور" و"الإتقان في علوم القرآن" و"مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع".

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ح ٣ ص ٣٧٠.

(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ح ١ ص ٣٦.

(٣) وكذلك فعل أبو حيان الأندلسي في تفسيره، والسيوطي، والزمخشري، وابن عطية، وابن جزي الكلبي، والأوسى، والخفاجي، وابن تيمية، والفيروزآبادي... .

ومن المعاصرين الذي كتبوا في هذا العلم:

١. محمد الصديق الغمّاري في كتابه: "جواهر البيان في تناسب سور القرآن".
٢. محمد عبد الله درّاز في كتابه "النبا العظيم"، تحدث عن المناسبات بين آيات سورة البقرة.
٣. الشيخ محمد علي الصابوني في "صفوة التفاسير".
٤. واهتم صاحب تفسير المنار، محمد رشيد رضا، بأهداف السورة القرآنية.
٥. وألف عبد الله شحاته كتابه: "أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم".
٦. والشيخ محمود شلتوت الذي أبرز مقاصد السورة ووحدتها الموضوعية، في تفسيره الذي فسر فيه عشر سور من القرآن.
٧. وسيد قطب في "ظلال القرآن"، الذي استوعب جميع سور القرآن في بيان وحدتها الموضوعية، والجرس الموسيقي المتناسب مع الآيات والمعاني.

### أنواع المناسبات القرآنية:

#### أولاً: المناسبات في السورة الواحدة:

الصحيح أن آيات السورة القرآنية الواحدة، لا بد من رابط يربط بينها، وهو وجه المناسبة، وبخاصة حال إجماع الأمة على القول بتوقيف ترتيب الآيات في السور، فإن السورة لا بد أن تبحث موضوعاً واحداً (حال السور القصيرة)، أو عدة مواضيع (حال السور الطويلة)، وفي كل الأحوال هناك وجه تناسب في الموضوع الواحد، أو في المواضيع المتعددة.

ومعرفة هذا الرابط يدق أحياناً وبخاصة في الآيات التي يفصل بين نزولها فترات زمنية متباعدة، أن تكون الموضوعات متباينة في نظر القارئ، أو في حال ظهور جملة مستقلة

عن الأخرى في الآية الواحدة أو تظهر الآيات المتشابهة في السورة الواحدة وكأنها مستقلة عما قبلها وما بعدها، عند ذلك يأتي دور الغواصين على المعاني لمعرفة الرابط والمناسبة بين الآيات<sup>(١)</sup>.

## أنواع المناسبات في السورة الواحدة:

### ١. المناسبة بين أجزاء الآية الواحدة:

المتأمل في ألفاظ القرآن الكريم، يجدها وضعت في مواضعها، فهي مفردات مختارة ومنتقاة، واللفظ في موضعه متناسب مع المعنى الذي صيغ من أجله، بحيث لا يمكن رفع لفظ واستبداله بلفظ آخر، ولو فعلت لاختل نظام المعنى الذي وضع اللفظ من أجله: فقوله: ﴿وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار﴾ [إبراهيم: ٣٤]. وقوله: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم﴾ [النحل: ١٨].

فالآية في سورة إبراهيم في سياق وصف الإنسان وذكر صفاته، فناسب أن تختتم بصفة من صفات الإنسان، وفي الآية الثانية في سياق صفات الله تعالى، فناسب ذكر صفات الله تعالى.

### ٢. المناسبة بين آيات السورة الواحدة:

أ- أن يكون الارتباط بين الآية الأولى والثانية ظاهراً وواضحاً، بأن كانت الآية الثانية سبباً للأولى، أو مفسرة لها، أو مؤكداً لها، أو بدلاً، أو جاءت معترضة، إلى غير ذلك من وسائل التناسب، وهذا النوع لا يتطلب جهداً كبيراً في استخراج المناسبة، ما دام الطالب لمعرفتها، مستوفياً شروط المفسر، فالترابط واضح.

ومثال ذلك قوله: ﴿إن الإنسان خلق هلوعاً (١٩) إذا مسه الشر جزوعاً (٢٠) وإذا مسه الخير منوعاً﴾ [المعارج: ١٩-٢١].

(١) مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، ص ٦٩.

فقلوه: ﴿إِذَا مَسَّ الشَّرَّ جُزُوعاً﴾ تفسير لقلوه: ﴿هَلُوعاً﴾، ويؤثر بالتفسير إذا كان في الكلام خفاء يحتاج إلى ما يكشفه ويبينه، فناسب هذا ما قبله.

**ب-** وهو ما لا يظهر الارتباط فيه واضحاً، فيحتاج من المفسر تبيانه وتوضيحه، ولقد جرت عادة القرآن إذا ذكر أحكاماً، أن يذكر بعدها وعداً أو وعيداً، أو موعظة، أو تنزيهاً للخالق ليظهر عظم الأمر أو النهي، فيكون هذا مغايراً لما تبدأ به، فيظن من لا يدرك هذا خلافاً في التناسب والتناسق في النظم القرآني.

ومثال ذلك قصة آدم في سورة الأعراف، فبدأ بذكر القصة ووسوسة الشيطان للأكل من الشجرة إلى أن بدت سواتهما، ثم أمر الله لهما بالهبوط من الجنة إلى الأرض، وهذا واضح في الآيات [١٩-٢٥] من سورة الأعراف، ثم استطرده في هذا الباب فقال: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسَ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]. وكان في هذه الآية إظهار للمنة فيما خلق من اللباس، وإشارة إلى التقوى القلبية، ثم يعود في الآية التالية ليتابع القصة فيقول: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكَ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكَ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتَهُمَا إِنَّهُ يَرَكَمُ هُوَ وَقَبِيلَهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧].

وأضرب هنا مثلاً بعيداً عن القرآن: كمدرس يلقي الدرس في موضوع ما، ثم ينتبه إلى بعض التلاميذ وقد انشغل عن الدرس، فيقول له: انتبه، ثم يتابع الدرس، فمن لم يعلم حال المدرس مع التلميذ يظن أن كلمة (انتبه) لا رابط بينها وبين سياق الكلام، وأنها كلمة أفحمت في النص لا معنى لها، وهذا خلاف الواقع.

### ٣. مناسبة فواتح السور لخواتمها:

ومن ذلك ما جاء في سورة الواقعة، حيث ذُكِرَ السابقون وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال، وفي ختام السورة ذكر سبحانه المقربين، وأصحاب اليمين، والمكذبين الضالين، فناسب آخر السورة أولها.

## ثانياً: المناسبات بين السور المختلفة:

يعتمد القول بوجود المناسبات بين السور على الاتفاق أو الإجماع على أن ترتيب السور توقيفي، وهذا ما لم يجمع عليه، إلا أنه القول بالتوقيف أرجح كما سبق عند الحديث عن ترتيب السور، ولذلك سأعتمد هذا القول، وأبحث في المناسبات بين السور.

### أنواع المناسبات بين كل سورتين متجاورتين:

#### ١. المناسبة بين أول السورة وخاتمة السورة في قبلها:

ويكون إما بالربط الظاهر، أي باللفظ نفسه، أو بالمعنى المستفاد، أو بنوع من أنواع الربط المعروفة؛ كالإسناد، والتعلق بالعامل، أو الأضداد، أو الطباق، أو العطف، أو.... "حتى إن منها ما يظهر تعلقها به لفظاً، كما قيل في قول الله تعالى: ﴿فجعلهم كعصف مأكول﴾ [الفيل: ٥]. وقوله: ﴿لإيلاف قريش﴾ [قريش: ١].

#### ٢. مناسبة مضمون كل سورة لما قبلها:

وهو وجه من وجوه الترابط بين السور، وقد ذهب السيوطي إلى أن كل سورة ورد فيها إجمال لقضية ما، كان في السورة اللاحقة لها تفصيلاً لهذا الإجمال، ومنها سورة الفاتحة التي جمعت مقاصد القرآن الكريم، فهي كالعنوان للقرآن الكريم وبراعة الاستهلال له<sup>(١)</sup>. لكن الذي يظهر أن هذا النوع من التناسب غير محقق في جميع السور، وخاصة القصيرة، إذ إننا نلاحظ في كثير منها أنه لا ارتباط في مضامين السورتين المتتاليتين<sup>(٢)</sup>.

---

(١) تتاسق الدرر في تناسب السور، السيوطي، ص ٧٤. ثم ساق كلاماً أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن الحسن البصري قوله: إن الله أودع علوم الكتب السابقة في القرآن، وأودع علوم القرآن في المفصل، ثم أودع علوم المفصل في الفاتحة، فمن علم تفسيرها، كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة.

(٢) ذكر بعض العلماء روابط أخرى: كمناسبة افتتاح السورة لمقاصدها، ومناسبة فاتحة الأولى لخاتمة الثانية، ولكن هذه الاستقرارات جاءت من غير نسق معين، وقاعدتها غير مطردة ولذلك أشرت إليها إشارة فقط. ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، ص ٨٩.

وهكذا نجد أن علم المناسبات، يبرز وجهاً من وجوه إعجاز القرآن الكريم، وأن هذا الوحي هو حقيقة كلام الله، وليس للبشر فيه يد، وأن العقل البشري مهما أوتي من قوة وقدرة وبيان وفصاحة؛ لا يستطيع أن يربط كلاماً نزل في سنوات طويلة، ثم تلتحم كل آية وكل سورة مع ما قبلها وما بعدها في اللفظ والمعنى والسياق، ولأسيما ونحن نتحدث عن قرآن بهذا الحجم من السور والآيات، من غير أن يخل هذا النظام في واحدة منها، إنه حقاً كتاب الله وكلامه المنزل على النبي ﷺ.

## المبحث السادس

### مباحث أصولية مشتركة مع علوم القرآن

وسيكون الحديث فيها باختصار شديد، كمدخل لدارس القرآن الكريم، وما يجب عليه علمه من هذه المباحث ابتداءً، بما لا يسع له جهله منها، وإلا فهذه المباحث بحاجة إلى مزيد تفصيل وشرح، والرجوع إلى أقوال العلماء فيها من مصادرها المعتمدة.

## الناسخ والمنسوخ

والنسخ الشرعي إزالة ما كان ثابتاً بنص شرعي، ويكون في اللفظ والحكم وفي أحدهما سواء فعل كما في أكثر الأحكام أو لم يفعل كنسخ ذبح إسماعيل بالفداء لأن الخليل أمر بذبحه ثم نسخ قبل وقوع الفعل، وتناسخ الأزمنة والقرون تتابعها وتداولها لأن كل واحد ينسخ حكم ما قبله ويثبت الحكم لنفسه فالذي يأتي بعده ينسخ حكم ذلك الثبوت ويغيره إلى حكم يختص هو به ومنه تناسخ الورثة لأن الميراث لا يقسم على حكم الميت الأول بل على حكم الثاني وكذا ما بعده<sup>(١)</sup>.

ومن المعلوم أن القرآن الكريم نزل منجماً تبعاً للحوادث والظروف، وإن اختلاف الظروف والمصالح يؤدي إلى اختلاف في الأحكام، فما كان مناسباً في بداية الدعوة الإسلامية لم يعد كذلك مع تطور الأحداث،

(١) ينظر: المصباح المنير، الفيومي، مادة: (ن س خ).

يقول في التفسير الواضح: فالنسخ ضروري في الأحكام خصوصاً عند الأمة الناشئة بسبب تطورها سريعاً، فما يصلح علاجاً اليوم قد لا يصلح غداً، شأن المربي والطبيب الماهر مع مريضه. ولم يكن النسخ لجهل الشارع بالحكم الأخير، ولكن كان الشارع يتدرج ويعالج تبعاً للظروف والأحوال، انظر إليه حيث عالج الخمر وكيف نسخ الحكم فيها؟ حتى وصل النهاية، وكذا آيات القتال نجد أن النسخ كان لحكمة عالية من حكيم خبير هو أدرى بخلقه، حتى استقرت الأحوال واستوت الأمة قائمة لها كيان لم يبق نسخ، أليس هذا أولى من بقاء الأحكام لا تتغير تبعاً للظروف الطارئة فيضطر إلى هجرها وعدم قبولها؟(١).

### مذاهب الناس في وقوع النسخ:

اختلف الناس في جواز وقوع النسخ على أربعة مذاهب:

#### ١. مذهب جمهور علماء المسلمين:

يجوز وقوع النسخ عقلاً ووقوعه شرعاً لأدلة، لدلالة نصوص الكتاب والسنة المستفيضة في ذلك، ولم يخالف من المسلمين إلا أبا مسلم الأصفهاني على ما سيأتي.

#### ٢. اليهود:

ينكر اليهود النسخ لأنه يستلزم في زعمهم البداء، وهو الظهور بعد الخفاء، وهو محال على الله تعالى.

واستدلّاهم هذا باطل؛ فالناسخ والمنسوخ معلوم لله تعالى ولم يستجد في علمه شيء، بل هو محض الحكمة الإلهية في تدبير شئون الخلق،

واليهود أنفسهم يعترفون بأن شريعة موسى ناسخة لما قبلها، بل وجاء في التوراة ما يثبت النسخ عندهم، كتحريم الزواج من الأخت، وقد ثبت في أن آدم أمر أن يزوج الأخوة كما

---

(١) التفسير الواضح، محمد محمود حجازي، ح ١ ص ٦٤ - ٦٥.



هو معلوم، وتحريم بعض الأطعمة، كما قال تعالى: ﴿كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه﴾ [آل عمران: ٩٣]، وغير ذلك كثير.

### ٣. مذهب الشيعة الروافض:

على العكس من اليهود فقد غالوا في إثباته والتوسع فيه، مستدلين بقوله تعالى: ﴿يمحوا الله ما يشاء ويثبت﴾ [الرعد: ٣٩].

### ٤. أبو مسلم الأصفهاني<sup>(١)</sup>:

يجوز النسخ عقلاً ويمتنع وقوعه شرعاً، مستدلاً بقوله تعالى: ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ [فصلت: ٤٢]، أي لا يمكن أن تبطل أحكامه، ويحمل آيات النسخ في القرآن على التخصيص.

### الفرق بين النسخ والبداء:

لقد علمنا أن النسخ تحويل العباد من حكم قد كان حلالاً فحرم، أو كان حراماً فأحل، أو كان مباحاً فممنوع، أو ممنوعاً فأباح، وذلك لما علم الله أن فيه صلاح للعباد. وقد علم الله تعالى أنه سينسخه في ذلك الوقت حين شرعه. فالصلاة كانت إلى بيت المقدس إلى وقت بعينه ثم حطرت فصيرت إلى الكعبة. وكان الأول المنسوخ حكمة وصواباً ثم نسخ وأزيل بحكمة وصواب كما تزال الحياة بالموت وكما تنقل الأشياء فلذلك لم يقع النسخ في الأخبار لما فيها من الصدق والكذب.

وأما البداء فمعناه الظهور بعد الخفاء، أو حدوث رأي جديد لم يكن ظاهراً أول الأمر، كقولك: امض إلى فلان اليوم ثم تقول: لا تمض إليه فيبدو لك عن القول الأول وهذا

---

(١) أبو مسلم الأصفهاني (ت: ٣٢٢هـ): محمد بن بحر، مفسراً ونحوياً ومتكلماً معتزلياً، من أهل أصفهان، من أشهر كتبه جامع التأويل في التفسير، والناسخ والمنسوخ، ومؤلفات في النحو. والوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، ح ٢ ص ١٧٥.

يلحق البشر لنقصانهم. فالبداء لا يجوز في حق الله تعالى لما يتنافى مع علم الله ومستلزم للجهل الذي لا يليق بحضرة الله عز وجل.

قال ابن حزم: فإن قال قائل: ما الفرق بين البداء والنسخ قيل له وبالله تعالى التوفيق: الفرق بينهما لائح، وهو أن البداء هو أن يأمر بالأمر والامر لا يدري ما يؤول إليه الحال. والنسخ هو أن يأمر بالأمر والامر يدري أنه سيحيله في وقت كذا ولا بد قد سبق ذلك في عمله وحتمه من قضائه، فلما كان هذان الوجهان معنيين متغايرين مختلفين وجب ضرورة أن يعلق على كل واحد منها اسم يعبر به عنه غير اسم الآخر ليقع التفاهم ويلوح الحق فالبداء ليس من صفات الباري تعالى ولسنا نعني الباء والبدال والألف وإنما نعني المعنى الذي ذكرنا من أن يأمر بالأمر لا يدري ما عاقبته فهذا مبعد من الله عز وجل وسواء سموه نسخاً أو بداء أو ما أحبوا، وأما النسخ فمن صفات الله تعالى من جهة أفعاله كلها وهو القضاء بالأمر قد علم أنه سيحيله بعد مدة معلومة عنده عز وجل كما سبق في علمه تعالى ولسنا نكابر على النون والسين والخاء وإنما نعني المعنى الذي بينا وسواء سموه نسخاً أو بداء أو ما أحبوا من الأسماء<sup>(١)</sup>.

### طرق معرفة الناسخ والمنسوخ:

ولمعرفة الناسخ والمنسوخ طرق:

١. النقل الصريح عن النبي ﷺ أو عن صحابي كحديث: كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها<sup>(٢)</sup>.

وقول أنس في قصة أصحاب بئر معونة: ونزل فيهم قرآن قرأناه حتى رفع كما سيأتي في أنواع النسخ<sup>(٣)</sup>.

(١) الإحكام في فصول الأحكام، ابن حزم، ح ٤ ص ٦٩.

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ ربه عز وجل في زيارة قبر أمه. وتمامه: نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، ونهيتكم عن لحوم الأضاحي فوق ثلاث، فأمسكوا ما بدا لكم، ونهيتكم عن النبيذ إلا في سقاء، فاشربوا في الأسقية كلها، ولا تشربوا مسكراً.

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب المغازي، باب غزوة الرجيع، ورعل، ونكوان، وبئر معونة، وحديث عضل، والقارة، وعاصم بن ثابت، وخبيب وأصحابه.

٢. إجماع الأمة على أن هذا ناسخ وهذا منسوخ.

٣. معرفة المتقدم من المتأخر في التاريخ.

ولا يعتمد في النسخ على الاجتهاد، أو قول المفسرين، أو التعارض بين الأدلة ظاهراً، أو تأخر إسلام أحد الراويين<sup>(١)</sup>.

### النسخ إلى بدل وإلى غير بدل:

**أولاً: النسخ إلى غير بدل:** كنسخ الصدقة بين يدي نجوی رسول الله ﷺ في قوله تعالى في سورة المجادلة: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة﴾ [المجادلة: ١٢]، نسخت بقوله: ﴿أشفتكم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ [المجادلة: ١٣].

وأنكر بعض المعتزلة والظاهرية ذلك، وقالوا: إن النسخ بغير بدل لا يجوز شرعاً، لأن الله تعالى يقول: ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها﴾ [البقرة: ١٠٦]، حيث أفادت الآية أنه لا بد أن يؤتى مكان الحكم المنسوخ بحكم آخر خير منه مثله.

ويجاب عن ذلك: بأن الله تعالى إذا نسخ حكم الآية بغير بدل فإن هذا يكون بمقتضى حكمته، رعاية لمصلحة عباده، فيكون عدم الحكم خيراً من ذلك الحكم المنسوخ في نفعه للناس، ويصح حينئذ أن يقال: إن الله نسخ حكم الآية السابقة بما هو خير منها حيث كان عدم الحكم خيراً للناس.

**ثانياً: النسخ إلى بدل أخف:** يمثلون له بقوله تعالى: ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم﴾ [البقرة: ١٨٧]، فهي ناسخة لقوله: ﴿كما كتب على الذين من قبلكم﴾ [البقرة: ١٨٣]؛ لأن مقتضاها الموافقة لما كان عليه السابقون من تحريم الأكل والشرب والوطء إذا صلوا العتمة أو ناموا إلى الليلة التالية.

(١) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص ٢٤٠.

**ثالثاً: النسخ إلى بدل مماثل:** كنسخ التوجه إلى بيت المقدس بالتوجه إلى الكعبة في قوله: ﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾ [البقرة: ١٤٤].

**رابعاً: النسخ إلى بدل أثقل:** كنسخ الحبس في البيوت في قوله: ﴿واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت﴾ [النساء: ١٥]، بالجلد في قوله: ﴿الزانية والزاني﴾ [النور: ٢]. أو الرجم في قوله: "الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة"<sup>(١)</sup>

### **أقسام النسخ<sup>(٢)</sup>:**

#### **القسم الأول: نسخ القرآن بالقرآن:**

متفق على وقوعه عند العلماء، كقوله: ﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه﴾ [البقرة: ١١٥]، منسوخ بقوله: ﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾ [البقرة: ١٤٤].

#### **القسم الثاني: نسخ القرآن بالسنة:**

اختلف الفقهاء في جوازه على ما سيأتي في المسألة التالية. ومن أمثلته: قوله: ﴿قل لا أجد في ما أوحى إلي محرماً﴾ [الأنعام: ١٤٥]؛ فإنها منسوخة بالنهي عن أكل كل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير.

#### **القسم الثالث: نسخ السنة بالقرآن:**

جمهور الحنفية والمالكية والحنبلية يجيزون هذا القسم من النسخ، فقد ثبت التوجه إلى بيت المقدس بالسنة، وليس في القرآن ما يدل عليه، وقد نسخ بالقرآن في قوله: ﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾ [البقرة: ١٤٤].

وللشافعية قولان في ذلك، الأول الجواز: وهو قول أكثر الشافعية، والثاني المنع.

(١) ينظر: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص ٢٤٤.

(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ح ٢ ص ٣١. والإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ح ٣ ص ٨١.

## القسم الرابع: نسخ السنة بالسنة:

وهو أربعة أنواع:

١. نسخ السنة المتواترة بمتواترة.

٢. نسخ السنة الأحاد بأحاد.

٣. نسخ السنة الأحاد بمتواترة.

٤. نسخ السنة المتواترة بأحاد.

الأنواع الثلاثة الأولى جائزة عند عامة العلماء.

أما النوع الرابع فالجمهور على عدم جوازه، والخلاف فيه كما في القسم الثاني: نسخ القرآن بالسنة.

## نسخ القرآن بالسنة المطهرة:

### ١. نسخ القرآن بالسنة الأحادية:

مذهب جمهور العلماء على عدم جوازه مطلقاً؛ لأن القرآن كله متواتر يفيد العلم اليقيني، والآحاد مظنون، ولا يصح رفع اليقين بالظن.

وأجاز أهل الظاهر نسخ القرآن بالسنة الأحادية، على اعتبار أن القرآن أيضاً ظني الدلالة، مستدلين بقول أكثر العلماء بنسخ قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠]، بحديث: لا وصية لوارث<sup>(١)</sup>. وهو حديث آحاد.

### ٢. نسخ القرآن بالسنة المتواترة:

---

(١) أخرجه ابن ماجة في السنن، باب لا وصية لوارث، ح ٤ ص ١٨.

أجازه أبو حنيفة ومالك وأحمد في رواية وبعض الشافعية، فالسنة المتواترة وحي من عند الله يقيناً، قال تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾ [النجم: ٣].

ولا يخفك أن السنة شرع من الله عز وجل، كما أن الكتاب شرع منه سبحانه، وقد قال تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ [الحشر: ٧]، وأمر سبحانه باتباع رسوله في غير موضع في القرآن، فهذا بمجرد يدل على أن السنة الثابتة عنه ثبوتاً على حد ثبوت الكتاب العزيز حكمها حكم القرآن في النسخ وغيره، وليس في العقل ما يمنع من ذلك، ولا في الشرع. وقوله تعالى: ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها﴾ [البقرة: ١٠٦]، ليس فيه إلا أن ما يجعله الله منسوخاً من الآيات القرآنية سيبدله بما هو خير منه، أو بما هو مثله للمكلفين، وما أتانا على لسان رسوله، فهو كما أتانا منه، كما قال سبحانه: ﴿إن هو إلا وحي يوحى﴾ [النجم: ٤]، وكما قال تعالى: ﴿قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي﴾ [يونس: ١٥].

ومنع الشافعي وأهل الظاهر وأحمد في الرواية الأخرى، لقوله تعالى: ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها﴾ [البقرة: ١٠٦]، والسنة ليست خيراً من القرآن ولا مثله.

ونقل الشوكاني عن الزركشي وعن أبي منصور البغدادي الشافعي ما يفيد رأي الشافعية في قول الشافعي في هذه المسألة:

قال الزركشي في البحر: والصواب أن مقصود الشافعي أن الكتاب والسنة لا يوجدان مختلفين إلا ومع أحدهما مثله ناسخ له، وهذا تعظيم عظيم، وأدب مع الكتاب والسنة، وفهم لموقع أحدهما من الآخر، وكل من تكلم في هذه المسألة لم يقع على مراد الشافعي، بل فهموا خلاف مراده، حتى غلطوه وأولوه.

قال أبو منصور البغدادي: لم يرد الشافعي مطلق السنة، بل أراد السنة المنقولة آحاداً، واكتفى بهذا الإطلاق؛ لأن الغالب في السنة الآحاد<sup>(١)</sup>.

(١) إرشاد الفحول إلى علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني، ح ٢ ص ٧٠.

## أنواع النسخ في القرآن:

النسخ في القرآن ثلاثة أنواع:

**النوع الأول: نسخ التلاوة والحكم معاً:** ومثاله: ما روي عن عائشة قالت: كان فيما أنزل: عشر رضعات معلومات يحرمن، فنسخن بخمس معلومات، فتوفي رسول الله ﷺ وهن مما يقرأ من القرآن. وقولها: وهن مما يقرأ من القرآن ظاهره بقاء التلاوة، وليس كذلك، فإنه غير موجود في المصحف العثماني. وأجيب بأن المراد: قارب الوفاة<sup>(1)</sup>.

**النوع الثاني: نسخ الحكم وبقاء التلاوة:** ومثاله: نسخ حكم آية العدة بالحول مع بقاء تلاوتها.

وقد يقال: ما الحكمة في رفع الحكم وبقاء التلاوة؟

والجواب من وجهين..

**أحدهما:** أن القرآن كما يتلى ليعرف الحكم منه، والعمل به، فإنه يتلى كذلك لكونه كلام الله تعالى فيثاب عليه، فتركت التلاوة لهذه الحكمة.

**وثانيهما:** أن النسخ غالباً يكون للتخفيف، فأبقيت التلاوة تذكيراً بالنعمة في رفع المشقة. وأما حكمة النسخ قبل العمل، كالصدقة عند النجوى، فيثاب على الإيمان به، وعلى نية طاعة الأمر.

**النوع الثالث: نسخ التلاوة مع بقاء الحكم:** ومثاله آية الرجم: "الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله، والله عزيز حكيم". ومنها ما روي في الصحيحين عن قتادة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رجلاً، وذكوان، وعصية، وبني لحيان، استمدوا رسول الله ﷺ على عدو، فأمدهم بسبعين من الأنصار، كنا نسميهم القراء في

---

(1) أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الرضاع، باب التحريم بخمس رضعات.

زمانهم، كانوا يحتطبون بالنهار، ويصلون بالليل، حتى كانوا يبئثر معونة قتلهم وغدروا بهم، فبلغ النبي ﷺ، فقنت شهراً يدعو في الصباح على أحياء من أحياء العرب، على رعل، وذكوان، وعصية، وبني لحيان، قال أنس: فقرأنا فيهم قرآناً، ثم إن ذلك رفع: بلغوا عنا قومنا أنا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا<sup>(١)</sup>.

وبعض أهل العلم ينكر هذا النوع من النسخ. لأن الأخبار فيه أخبار آحاد.

### مسائل متعلقة بالنسخ:

**أولاً: كيف يجوز على الجماعة الكبيرة أن تنسى شيئاً كانت حافظة له حتى ينسى تماماً؟**

يقول القائل: إذا شرع للناس حكماً وعملوا به زمناً؛ فإنه يستحيل على مجموعهم أن لا يذكره، ثم يكون في عداد المنسوخ أو المنسي، ووقوع هذا النسيان ممنوع عقلاً وشرعاً. أما العقل فلأن القرآن لا بد من إيصاله إلى أهل التواتر، والنسيان على أهل التواتر بأجمعهم ممتنع. وأما النقل فلقوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [الحجر: ٩]. فكيف نفهم قوله تعالى: ﴿أو ننسها﴾؟

والجواب: أن فيه قولين:

أحدهما: أنه إذا أمر الناس بترك تلاوته نُسي على مرور الأيام.

والثاني: أن يكون معجزة للنبي ﷺ، وقد جاءت أحاديث متظاهرة في أنها نزلت أشياء من القرآن ثم نسخت تلاوتها.

فمنها: ما ذكر أبو موسى الأشعري أنهم كانوا يقرؤون: " لو أن لابن آدم واديين من ذهب لابتغى لهما ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب". ثم رفع.

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب المغازي، باب غزوة الرجيع، ورعل، وذكوان، وبئر معونة، وحديث عضل، والقارة، وعاصم بن ثابت، وخبيب وأصحابه.



ومنها: عن قتادة عن أنس أن السبعين من الأنصار الذين قتلوا ببئر معونة كانوا يقرؤون فيهم كتاباً: " بلغوا عنا قومنا أنا لقينا ربنا ورضى عنا وأرضانا". ثم إن ذلك رفع.  
ومنها: " الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة".

ومنها: ما روي عن أبي بكر أنه قال: كنا نقرأ: " لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم".  
ومنها: ما روي عن عائشة أن القرآن قد نزل في الرضاع بعشر معلومات ثم نسخن بخمس معلومات، فالعشر مرفوع التلاوة والحكم جميعاً والخمس مرفوع التلاوة باقي الحكم.

ومنها ما حكى أن سورة الأحزاب كانت تعادل سورة البقرة في الطول<sup>(١)</sup>.

### ثانياً: الخيرية في قوله: ﴿نأت بخير منها﴾ [البقرة: ١٠٦]:

القرآن الكريم كلام الله تعالى، وهو كلام واحد، فكيف نجوز أن نجعل بعضه خير من بعضه الآخر؟ وكيف يكون القول الجديد خير وأفضل من المرفوع؟

فالجواب أن معنى ﴿بخير منها﴾ أي أنفع منها؛ لأن الناسخ لا يخلو من إحدى النعمتين إما أن يكون أثقل في الحكم فيكون أوفر في الأجر، وإما أن يكون أخف في الحكم فيكون أيسر في العمل؛ كالأمر بالقتال الذي سهل على المسلمين في قوله: ﴿الآن خفف الله عنكم﴾ [الأنفال: ٦٦]، أو مثلها، كالعبادة بالتوجه إلى الكعبة بعدما كان إلى بيت المقدس<sup>(٢)</sup>.

ويصح أن يكون المعنى بخير منها في الوقت الثاني، أي: هي لكم في الوقت الثاني خير من الأولى لكم في الوقت الأول أم مثلها في ذلك، فيكون اللطف بالثانية كاللطف بالأولى، إلا أنه في الوقت الثاني يستقيم بها دون الأول<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، ح ٣ ص ٦٤٠. والنكت في القرآن الكريم، القيرواني، ص ١٤٩.

(٢) الناسخ والمنسوخ، المقرئ، ص ٢٩.

(٣) النكت في القرآن الكريم، القيرواني، ص ١٥١.

### ثالثاً: النسخ وخلق القرآن الكريم:

قال الفخر الرازي: استدلت المعتزلة بهذه الآية على أن القرآن مخلوق من وجوه، أحدها: أن كلام الله تعالى لو كان قديماً لكان الناسخ والمنسوخ قديمين، لكن ذلك محال، لأن الناسخ يجب أن يكون متأخراً عن المنسوخ، والمتأخر عن الشيء يستحيل أن يكون قديماً، وأما المنسوخ فلأنه يجب أن يزول ويرتفع، وما ثبت زواله استحال قدمه بالاتفاق، وثانيها: أن الآية دلت على أن بعض القرآن خير من بعض، وما كان كذلك لا يكون قديماً، وثالثها: أن قوله: ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير يدل على أن المراد أنه تعالى هو القادر على نسخ بعضها والإتيان بشيء آخر بدلاً من الأول، وما كان داخلياً تحت القدرة وكان فعلاً كان محدثاً.

أجاب الأصحاب عنه: بأن كونه ناسخاً ومنسوخاً إنما هو من عوارض الألفاظ والعبارات واللغات ولا نزاع في حدوثها، فلم قلت إن المعنى الحقيقي الذي هو مدلول العبارات والاصطلاحات محدث؟

قالت المعتزلة: ذلك المعنى الذي هو مدلول العبارات واللغات لا شك أن تعلقه الأول قد زال وحدث له تعلق آخر، فالتعلق الأول محدث لأنه زال والتقديم لا يزول، والتعلق الثاني حادث لأنه حصل بعد ما لم يكن، والكلام الحقيقي لا ينفك عن هذه التعلقات، وما لا ينفك عن هذه التعلقات محدث وما لا ينفك عن المحدث محدث والكلام الذي تعلق به يلزم أن يكون محدثاً.

أجاب الأصحاب: أن قدرة الله كانت في الأزل متعلقة بإيجاد العالم، فعند دخول العالم في الوجود هل بقي ذلك التعلق أو لم يبق؟ فإن بقي يلزم أن يكون القادر قادراً على إيجاد الموجود وهو محال، وإن لم يبق فقد زال ذلك التعلق فيلزمكم حدوث قدرة الله على الوجه الذي ذكرتموه، وكذلك علم الله كان متعلقاً بأن العالم سيوجد، فعند دخول العالم في الوجود إن بقي التعلق الأول كان جهلاً، وإن لم يبق فيلزمكم كون التعلق الأول

حادثاً، لأنه لو كان قديماً لما زال، ويكون التعلق الذي حصل بعد ذلك حادثاً فإذن عالمية الله تعالى لا تنفك عن التعلقات الحادثة، وما لا ينفك عن المحدث محدث فعالمية الله محدثة. فكل ما تجعلونه جواباً عن العالمية والقادرية فهو جوابنا عن الكلام<sup>(١)</sup>.

## المحكم والمتشابه

**أولاً: المعنى اللغوي:**

**أما المحكم:** قال ابن منظور: المُحَكَّمُ الذي لا اختلاف فيه ولا اضطراب، فَعِيلٌ بِمَعْنَى مُفْعَلٍ، أُحْكِمَ فَهُوَ مُحَكَّمٌ. وفي حديث ابن عباس: قرأت المحكم على عهد رسول الله ﷺ؛ يريد المفصل من القرآن لأنه لم ينسخ منه شيء، وقيل: هو ما لم يكن متشابهاً لأنه أحكم بيانه بنفسه ولم يفتقر إلى غيره<sup>(٢)</sup>. وإحكام الشيء: إتقانه، والمحكم: المتقن. فأحكام الكلام: إتقانه بتمييز الصدق من الكذب في أخباره، والرشد من الغي في أوامره، والمحكم منه: ما كان كذلك.

**وأما المتشابه:** قال ابن منظور: وأشبه الشيء الشيء: ماثله. وتشابه الشيطان واشتبهها: أشبه كل واحد منهما صاحبه. والمتشابهات: المتماثلات. والشبهة: الالتباس.

والمتشابه: ما لم يتلق معناه من لفظه، وهو على ضربين: أحدهما إذا رد إلى المحكم عرف معناه، والآخر ما لا سبيل إلى معرفة حقيقته، فالمتتبع له مبتغ للفتنة لأنه لا يكاد ينتهي إلى شيء تسكن نفسه إليه<sup>(٣)</sup>.

**ثانياً المعنى الاصطلاحي:**

يسلك العلماء في تعريف المحكم والمتشابه مسلكين، أحدهما لا خلاف فيه، والآخر فيه الاختلاف. ويطلق بعض العلماء على الأول: الإحكام العام والتشابه العام. وعلى الثاني: الإحكام الخاص والتشابه الخاص.

(١) ينظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، ح ٣ ص ٦٤٣.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، مادة: ( ح ك م ).

(٣) لسان العرب، ابن منظور، مادة: ( ش ب ه ).

### المسلك الأول: القرآن كله محكم وكله متشابه:

وهو مأخوذ من معناه اللغوي، وقد وصف الله القرآن كله بأنه محكم، فقال تعالى: الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ﴿ هود: ١ ﴾، وقال: ﴿ الر تلك آيات الكتاب الحكيم ﴾ [يونس: ١]، أي أن القرآن كله متقن، فصيح، صادق، لا يأتيه الباطل. قال أبو جعفر: وأما المحكمات، فإنهن اللواتي قد أحكمن بالبيان والتفصيل، وأثبتت حججهن وأدلتهن على ما جعلن أدلة عليه من حلال وحرام، ووعد ووعيد، وثواب وعقاب، وأمر وزجر، وخبر ومثل، وعظة وعبر، وما أشبه ذلك<sup>(١)</sup>.

وقد وصف الله القرآن كله بأنه متشابه أيضاً، فقال تعالى: ﴿ الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني ﴾ [الزمر: ٢٣]، أي أن القرآن كله يشبه بعضه بعضاً في الكمال والجودة، ويصدق بعضه بعضاً في المعنى ويمائله، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ [النساء: ٨٢].

### المسلك الثاني: القرآن أكثره محكم وبعضه متشابه:

وهو المفهوم من قوله تعالى: ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب ﴾ [آل عمران: ٧].

وفي هذا القسم وقع الاختلاف عند العلماء في مفهوم المحكم والمتشابه، فقليل:

١. المحكمات: المعمول بهن، وهن الناسخات أو المثبتات الأحكام، والمتشابهات: المتروك العمل بهن، المنسوخات.

(١) تفسير الطبري، ح ٦ ص ١٧٠ - ١٧٤.

٢. المحكمات: ما أحكم الله فيه بيان حاله وحرامه، والمتشابهات: ما أشبه بعضه بعضاً في المعاني، وإن اختلفت ألفاظه.

٣. المحكمات: ما لم يحتمل من التأويل غير وجه واحد، والمتشابهات: ما احتمل من التأويل أوجهاً.

٤. المحكمات: ما أحكم الله فيه من آي القرآن، وقصص الأمم ورسلم الذين أرسلوا إليهم، ففصله ببيان ذلك لمحمد وأمه، والمتشابهات: ما اشتبهت الألفاظ به من قصصهم عند التكرير في السور، بقصه باتفاق الألفاظ واختلاف المعاني، وبقصه باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني.

٥. المحكمات: ما عرف العلماء تأويله، وفهموا معناه وتفسيره، والمتشابهات: ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيل، مما استأثر الله بعلمه دون خلقه، وذلك نحو الخبر عن وقت مخرج عيسى ابن مريم، ووقت طلوع الشمس من مغربها، وقيام الساعة، وفناء الدنيا، وما أشبه ذلك. ومنه أيضاً الحروف المقطعة التي في أوائل بعض سور القرآن<sup>(١)</sup>.

### الاختلاف في معنى المتشابه:

اختلف العلماء في معرفة المتشابه، هل يعلمه الله وحده؟ أم هل يعلم منه العلماء؟

فاختلف العلماء على قولين:

**الأول:** ما يعلم تأويل المتشابه إلا الله وحده. ويقول الراسخون في العلم آمناً به. فالوقف على قوله: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾، والواو للاستئناف، قوله: ﴿والراسخون في العلم﴾ هل هو مبتدأ خبره ﴿يقولون﴾.

**الثاني:** ما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم، وهم مع علمهم بذلك ورسوخهم في العلم يقولون: آمناً به كل من عند ربنا. فالوقف على قوله: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم﴾، الواو للعطف، والراسخون مرفوع بالعطف على الله.

(١) تفسير الطبري، ح ٦ ص ١٧٤ وما بعدها. ومفاتيح الغيب، الفخر الرازي، ح ٧ ص ١٣٩ وما بعدها.

وروي عن ابن عباس أنه قال: أنا ممن يعلم تأويله. وروي عن مجاهد: والراسخون في العلم يعلمون تأويله، ويقولون: آمنا به<sup>(١)</sup>.

### التوفيق بين القولين:

بالرجوع إلى معنى التأويل يتبين أنه لا منافاة بين الرأيين، فإن لفظ التأويل ورد لثلاثة معان:

**الأول:** صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقتضيه، وهذا هو اصطلاح أكثر المتأخرين.

**الثاني:** التأويل بمعنى التفسير، فهو الكلام الذي يفسر به اللفظ حتى يفهم معناه.

**الثالث:** التأويل: هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، فتأويل ما أخبر الله به عن ذاته وصفاته هو حقيقة ذاته المقدسة وما لها من حقائق الصفات، وتأويل ما أخبر الله به عن اليوم الآخر هو نفسه ما يكون في اليوم الآخر.

فالذين يقولون بالوقف على قوله: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ ويجعلون: ﴿والراسخون في العلم﴾ استئنافاً، إنما عنوا بذلك التأويل بالمعنى الثالث، أي الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، فحقيقة ذات الله وكنهها وكيفية أسمائه وصفاته وحقيقة المعاد لا يعلمها إلا الله. والذين يقولون بالوقف على قوله: ﴿والراسخون في العلم﴾ على أن الواو للعطف وليست للاستئناف، إنما عنوا بذلك التأويل بالمعنى الثاني أي التفسير.

وبهذا يتضح أنه لا منافاة بين المذهبين في النهاية، وإنما الأمر يرجع إلى الاختلاف في معنى التأويل<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر: تفسير الطبري، ج ٦ ص ٢٠٣. والكشاف، الزمخشري، ج ١ ص ٣٣٨.

(٢) ينظر: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص ٢٢٣.

## العام والخاص

أولاً: العام:

اللفظ العام: هو اللفظ المستغرق لجميع أفرادها بلا حصر.

ومن صيغ العموم التي وردت في القرآن الكريم<sup>(١)</sup>:

١. الألفاظ (كل وكافة وأجمع وجميع)، كقوله تعالى: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ [آل عمران: ١٨٥]. وقوله: ﴿وقاتلوا المشركين كافة﴾ [التوبة: ٣٦]. وقوله: ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون﴾ [الحجر: ٣٠].

٢. اسم الجنس العرف بآل، كقوله تعالى: ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾ [النور: ٢].

٣. لفظ (من) فيمن يعقل سواء أكانت للشرط، كقوله تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ [الأنعام: ١٦٠]. أم كانت للاستفهام، كقوله تعالى: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً﴾ [الحديد: ١١].

٤. لفظ (ما) فيما لا يعقل في الجزاء والاستفهام، كقوله تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾ [هود: ٦]، وكقوله: ﴿هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه﴾ [لقمان: ١١].

٥. النكرة المنفية أو في سياق النفي أو في سياق الشرط، كقوله تعالى: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ [البقرة: ٢٥٥]. فلفظ (إله) نكرة منفية، ولفظ (سنة) نكرة في سياق النفي، وكلا اللفظين يدل على العموم. قوله: ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ [التوبة: ٦].

(١) ينظر: منكرة في أصول الفقه، محمد الأمين الشنقيطي، ص ٢٤٦.

٦. الأسماء الموصولة، كقوله تعالى: ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة﴾ [النور: ٤].

٧. اسم الجنس المضاف إلى معرفة كقوله تعالى: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره﴾ [النور: ٦٣]، أي كل أمر لله.

٨. أسماء الشرط، كقوله تعالى: ﴿فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾ [البقرة: ١٥٨]، للعموم في العاقل. وقوله: ﴿وما تفعلوا من خير يعلمه الله﴾ [البقرة: ١٩٧]، للعموم في غير العاقل. وقوله: ﴿وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾ [البقرة: ١٥٠]، للعموم في المكان. وقوله: ﴿أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾ [الإسراء: ١١٠]، للعموم في الأسماء.

### أقسام العام:

وهو على ثلاثة أقسام<sup>(١)</sup>:

**الأول: العام الباقي على عمومته:** ومنه قوله تعالى: ﴿والله بكل شيء﴾ [النساء: ١٧٦]. وقوله: ﴿حرمت عليكم أمهاتكم﴾ [النساء: ٢٣].

**الثاني: العام المراد به الخصوص:** ومنه قوله تعالى: ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم﴾ [آل عمران: ١٧٣]، فالمراد بالناس الأولى نعيم بن مسعود، والمراد بالناس الثانية أبو سفيان لا العموم في كل منهما، وكقوله تعالى: ﴿فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب﴾ [آل عمران: ٣٩]، والمنادي جبريل.

**الثالث: العام المخصوص:** ومنه قوله تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾ [آل عمران: ٩٧].

(١) ينظر: المستصفى، الغزالي، ص ٢٢٧.



## الفرق بين العام المراد به الخصوص والعام المخصوص:

الفرق بين العام المراد به الخصوص والعام المخصوص من وجوه، أهمها (١):

١. أن العام المراد به الخصوص لا يراد شموله لجميع الأفراد من أول الأمر، لا من جهة تناول اللفظ، ولا من جهة الحكم، بل هو ذو أفراد استعمل في فرد منها أو أكثر.

أما العام المخصوص فأريد عمومه وشموله لجميع الأفراد من جهة تناول اللفظ لا من جهة الحكم، فالناس في قوله: ﴿الذين قال لهم الناس﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وإن كان عاماً إلا أنه لم يرد به لفظاً وحكماً سوى فرد واحد، أما لفظ الناس في قوله: ﴿ولله على الناس حج البيت﴾ [آل عمران: ٩٧]، فهو عام أريد به ما يتناوله اللفظ من الأفراد. وإن كان حكم وجوب الحج لا يتناول إلا المستطيع منهم خاصة.

٢. والأول مجاز قطعاً، لنقل اللفظ عن موضوعه الأصلي واستعماله في بعض أفراد، بخلاف الثاني فالأصح فيه أنه حقيقة.

٣. وقرينة الأول عقلية غالباً ولا تنفك عنه، وقرينة الثاني لفظية وقد تنفك.

## ثانياً الخاص:

التخصيص هو قصر العام على بعض أفراده بدليل.

أقسام المخصص (٢):

والمخصص قد يكون متصلاً (غير المستقل)، وقد يكون منفصلاً (المستقل):

**المخصص المتصل:** وهو الذي لم يفصل فيه بين العام والمخصص له بفاصل، وهو

أربعة:

(١) ينظر: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص ٢٣١.

(٢) ينظر: المحصول، الرازي، ح ٣ ص ٥٧.

١. التخصيص بالاستثناء: كقوله تعالى: ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾ [النحل: ١٠٦].

٢. التخصيص بالشرط: كقوله تعالى: ﴿كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين﴾ [البقرة: ١٨٠].

٣. التخصيص بالغاية: كقوله تعالى: ﴿ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله﴾ [البقرة: ١٩٦]. وقوله تعالى: ﴿ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾ [البقرة: ١٨٧].

فاتمام الصيام عام، وقد خصص بدخول الليل، إذ لا يجب فيه الصيام.

٤. التخصيص بالصفة. مقوله تعالى: ﴿وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن﴾ [النساء: ٢٣].

ومعنى ذلك أن الربيبة من المرأة لا تحرم على الرجل إلا إذا دخل بأمها، فإذا لم يدخل بأمها حلت له الربيبة.

### وألحق بالمتصل:

١. بدل البعض من كل: كقوله تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾ [آل عمران: ٩٧]، فلا يجب الحج على جميع الناس بل هو خاص على المستطيع منهم.

٢. الحال: كقوله تعالى: ﴿لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم﴾ [المائدة: ٩٥].

فحرم قتل الصيد حالة الإحرام خاصة، وأباحه في الإحلال منه.

**المخصص المنفصل:** ما كان في موضع آخر من آية أو حديث أو إجماع أو قياس.

ومثال تخصيص عموم القرآن بالقرآن قوله تعالى: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً﴾ [البقرة: ٢٣٤].

فهذه الآية عامة تدل على أن عدة كل امرأة توفي زوجها عنها هي أربعة أشهر وعشرة أيام، ثم جاءت الآية الكريمة تخصص عمومها، وهي قوله تعالى: ﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾ [الطلاق: ٤]. فجعلت مدة عدة الحامل المتوفى عنها زوجها هي وضع حملها، سواء بلغت المدة أربعة أشهر وعشرة أيام أم لم تبلغ.

ومثال تخصيص السنة للقرآن: رجم الزاني المحصن، فهذا مخصص لآية الجلد، قوله تعالى: ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾ [النور: ٢].

ومثال ما خص بالإجماع آية المواريث: ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين﴾ [النساء: ١١]، خص منها بالإجماع الرقيق، لأن الرق مانع من الإرث.

ومثال ما خص بالقياس آية الزنا: ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾ [النور: ٢]، خص منها العبد بالقياس على الأمة التي نص على تخصيصها عموم الآية في قوله تعالى: ﴿فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب﴾ [النساء: ٢٥].

## المطلق والمقيد

### أولاً: المطلق:

والمطلق: هو ما دل على الحقيقة بلا قيد، فهو يتناول واحداً لا بعينه من الحقيقة<sup>(١)</sup>، وأكثر مواضعه النكرة (حتى لا يدل على معين)، في سياق الإثبات (احتراز عن النكرة في سياق النفي فإنها تعم جميع ما هو من جنسها).

ففي قوله تعالى: ﴿فتحرير رقبة﴾، فإن لفظ الرقبة يتناول عتق مملوك من جنس العبيد المؤمن والكافر على السواء وهو نكرة في الإثبات؛ لأن المعنى: فعلية تحرير رقبة.

### حكم المطلق:

(١) ينظر: شرح مختصر الروضة، الطوفي، ح ٢ ص ٦٣٠.

إذا ورد النص مُطلقاً في موضع دون أن يُقيد، سواء في ذلك الموضع أم في غيره؛ فإنه يعمل به على الإطلاق، فيجب حمل المطلق على إطلاقه ما لم يدل دليل على تقييده، وهذا لا خلاف فيه بين العلماء. فأَم الزوجة تَحْرُم على زوج ابنتها بمجرد العقد على ابنتها؛ وذلك لأن قوله تعالى: ﴿وَأَمْهَاتِ نِسَائِكُمْ﴾ [النساء: ٩٣]، ورد مطلقاً من غير تقييد بالدخول أو عدمه.

### ثانياً: المقيد:

والمقيد: هو ما دل على الحقيقة بقيد. كالرقبة المقيدة بالإيمان في قوله: ﴿فتحرير رقبة مؤمنة﴾ [النساء: ٩٢].

### حكم المقيد:

إذا ورد النص مقيداً فإنه يجب العمل مقيداً، ولا يجوز العدول عن ذلك إلا إذا قام الدليل على عدم اعتبار القيد. كتقييد الصيام بالتتابع في كفارة الظهر وكفارة القتل الخطأ.

### حمل المطلق على المقيد:

إذا ورد نص مطلق وآخر مقيد، فهل يحمل المطلق على المقيد أو لا يحمل، فيعمل بالمطلق على إطلاقه، وبالمقيد بقيده؟

فالحنفية لا يحملون المطلق على المقيد، بل يعملون بالمطلق في موضعه، وبالمقيد في موضعه. وجمهور المالكية والشافعية والحنابلة يميزون بين الحالات بالسبب والحكم<sup>(١)</sup>:

### ١. أن يتحد السبب والحكم:

ففي قوله: ﴿فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم﴾ [المائدة: ٨٩]، وهي قراءة متواترة، وجاء الصيام مطلقاً غير مقيد. وهناك قراءة ابن مسعود: "فصيام ثلاثة أيام متتابعات"، وهي قراءة غير متواترة، وجاء الصيام مقيداً.

(١) ينظر: الغيث الهامع شرح جمع الجوامع، أبو زرعة، ص ٣٤٣.

فالسبب في الآية الأولى والثانية واحد (وهو الحنث في اليمين)، وكذلك الحكم واحد (وهو الصيام). فمثل هذا يحمل المطلق على المقيد، وهو رأي من قال بالاتباع، وخالفهم من يرى أن القراءة غير المتواترة ليست بحجة.

## ٢. أن يتحد السبب ويختلف الحكم:

ففي قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق﴾ [المائدة: ٦]، قيد غسل الأيدي إلى المرافق. وأطلق المسح في التيمم بقوله تعالى: ﴿تيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه﴾ [المائدة: ٦]، فقيل: لا يحمل المطلق على المقيد لاختلاف الحكم. ونقل الغزالي عن أكثر الشافعية حمل المطلق على المقيد هنا لاتحاد السبب وإن اختلف الحكم.

## ٣. أن يختلف السبب ويتحد الحكم:

ففي قوله تعالى: وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة﴾ [النساء: ٩٢]، قيدت الرقبة بالإيمان في كفارة القتل الخطأ. وفي قوله تعالى: ﴿والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا﴾ [المجادلة: ٩٢]، أطلقت الرقبة في كفارة الظهار. وفي قوله تعالى: ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة﴾ [المائدة: ٨٩]، أيضاً أطلقت الرقبة في كفارة اليمين.

فقال جماعة منهم المالكية وكثير من الشافعية: يحمل المطلق على المقيد من غير دليل، فلا تجزئ الرقبة الكافرة في كفارة الظهار واليمين، وقال الحنفية: لا يحمل المطلق على المقيد إلا بدليل، فيجوز إعتاق الكافرة في كفارة الظهار واليمين.

#### ٤. أن يختلف السبب ويختلف الحكم:

ففي قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق﴾ [المائدة: ٦]، فاليد مقيدة إلى المرافق في الوضوء. وفي قوله تعالى: ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾ [المائدة: ٣٨]، فاليد مطلقة في السرقة.

فلا يحمل المطلق على المقيد للاختلاف سبباً وحكماً.

### المنطوق والمفهوم

#### أولاً: المنطوق:

المنطوق: هو ما دل عليه اللفظ في محل النطق. أي إن دلالاته تكون من مادة الحروف التي ينطق بها<sup>(١)</sup>. ومنه: النص، والظاهر، والمؤول، ودلالة الاقتضاء، ودلالة الإشارة.

**فالنص:** هو ما يفيد بنفسه معنى صريحاً لا يحتمل غيره. كقوله تعالى: ﴿فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتن تلك عشرة كاملة﴾ [البقرة: ١٩٦]، فإن لفظ (كاملة) يقطع احتمال العشرة لما دونها مجازاً.

**والظاهر:** هو ما يسبق إلى الفهم منه عند الإطلاق معنى مع احتمال غيره احتمالاً مرجوحاً، كقوله تعالى: ﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد﴾ [البقرة: ١٧٣]، فإن الباغي يطلق على الجاهل. ويطلق على الظالم، ولكن إطلاقه على الظالم أظهر وأغلب فهو إطلاق راجح، والأول مرجوح.

**والمؤول:** هو ما حمل لفظه على المعنى المرجوح لدليل يمنع من إرادة المعنى الراجح، كقوله تعالى: ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾ [الإسراء: ٢٤]، فإنه محمول على الخضوع والتواضع وحسن معاملة الوالدين. لاستحالة أن يكون للإنسان أجنحة.

---

(١) ينظر: الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع، شهاب الدين الكوراني، ح ١ ص ٤٣١. والغيث الهامع شرح جمع الجوامع، أبو زرعة، ص ١١٤.

**ودلالة الاقتضاء:** وهي أن تتوقف صحة دلالة اللفظ على إضمار، بلاغة لاقتضاء الكلام شيئاً زائداً على اللفظ.

كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤]، أي: فأفطر فعدة؛ لأن قضاء الصوم على المسافر إنما يجب إذا أفطر في سفر، أما إذا صام في سفره فلا موجب للقضاء خلافاً للظاهرية.

وكقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَمْهَاتِكُمْ﴾ [النساء: ٢٣]، فإنه يتضمن إضمار الوطء.

**ودلالة الإشارة:** وأن يدل اللفظ على ما لم يقصد به قصداً أولاً،

كقوله تعالى: ﴿أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثَ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، فإنه يدل على صحة صوم من أصبح جنباً؛ لأنه يبيح الوطء إلى طلوع الفجر بحيث لا يتسع الوقت للغسل، وهذا يستلزم الإصباح على جنابة.

**ثانياً: المفهوم:**

والمفهوم: هو ما دل عليه اللفظ لا في محل النطق وهو قسمان: مفهوم موافقة، ومفهوم مخالفة<sup>(١)</sup>.

**مفهوم الموافقة:** وهو ما يوافق حكمه المنطوق، وهو نوعان: فحوى الخطاب، ولحن الخطاب.

**النوع الأول: فحوى الخطاب:** وهو ما كان المفهوم فيه أولى بالحكم من المنطوق.

حيث يفهم من قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ﴾ [الإسراء: ٢٣]، تحريم الشتم والضرب؛ لأن منطوق الآية تحريم التأفيف، فيكون تحريم الشتم والضرب أولى لأنهما أشد.

---

(١) ينظر: تقريب الوصول إلى علم الأصول، ابن جزى الكلبي، ص ١٦٣. ومباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص ٢٥٧.

**النوع الثاني: لحن الخطاب:** وهو ما ثبت الحكم فيه للمفهوم كثبوته للمنطوق على السواء. فقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء: ١٠]، يفهم منه تحريم إتلاف أموال اليتامى بأي نوع من أنواع التلف؛ فكله أكل. **مفهوم المخالفة:** هو ما يخالف حكمه المنطوق، وهو أنواع:

١. مفهوم صفة: والمراد بها الصفة المعنوية، كالمشتق.

كقوله تعالى: ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦]، فدل أن غير الفاسق لا يجب التثبت في خبره، ومعنى هذا أنه يجب قبول خبر الواحد العدل.

٢. مفهوم شرط:

كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٌ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ [الطلاق: ٦]، فدل على أن غير الحوامل لا يجب الإنفاق عليهن.

٣. مفهوم غاية:

كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّىٰ تَتَّكَحَّ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ [البقرة: ٢٣٠]، فدل أنها تحل للأول إذا نكحت غيره بشروط النكاح المعتبرة.

٤. مفهوم الحصر:

كقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، فدل أن غيره سبحانه لا يعبد ولا يستعان به.

### **الاحتجاج بمفهوم الموافقة المخالفة:**

اتفق العلماء على صحة الاحتجاج بمفهوم الموافقة غير الظاهرية. أما الاحتجاج بمفهوم المخالفة فقد أثبتته مالك والشافعي وأحمد، ونفاه أبو حنيفة وأصحابه.



واشترطوا لصحة الاحتجاج بهذه المفاهيم<sup>(١)</sup>:

١. ألا يكون المذكور خرج مخرج الغالب: كقوله تعالى: ﴿وَرَبَائِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾ [النساء: ٢٣]، لأن الغالب كون الرئائب في حجور الأزواج.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ [الإسراء: ٣١]

٢. ألا يكون المذكور لبيان الواقع: كقوله: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، فالواقع أنه لا يوجد إله حق غير الله. وسيق هنا للتهكم بمن يشرك بالله.

وكقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْرَهُوا فِتْيَانَكُمْ عَلَىٰ الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ [النور: ٣٣]، فلا دليل على إباحة إكراه السيد لأُمَّته على البغاء إن لم ترد التحصن.

## المبحث السابع

### إعراب القرآن الكريم

#### التعريف اللغوي للإعراب:

قال ابن فارس: العين والراء والباء أصول ثلاثة: أحدها الإنابة والإفصاح، فالأول قولهم: أعرب الرجل عن نفسه، إذا بين وأوضح. قال رسول الله ﷺ: الثيب يعرب عنها لسانها، والبكر تستأمر في نفسها. وإعراب الكلام أيضاً من هذا القياس، لأن الإعراب يفرق بين المعاني في الفاعل والمفعول والنفي والتعجب والاستفهام، وسائر أبواب النحو.

فأما الأمة التي تسمى العرب فليس ببعيد أن يكون سميت عرباً من هذا القياس؛ لأن لسانها أعرب الألسنة، وبيانها أجود البيان<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر: تقريب الوصول إلي علم الأصول، ابن جزى الكلبي، ص ١٦٤.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة: (ع ر ب). والحديث أخرجه ابن ماجة في السنن، باب من زوج ابنته وهي كارهة، ح ٣ ص ٧٢.

## التعريف الاصطلاحي للإعراب:

أما التعريف الاصطلاحي للإعراب فهو: اختلاف أواخر الكلم باختلاف العوامل لفظاً، أو تقديراً. من رفع، ونصب، وجر، وجزم<sup>(١)</sup>.

**أما إعراب القرآن الكريم:** فهو ضبط ألفاظ القرآن الكريم للبعد عن اللحن فيه. بحيث يظهر معناها المراد.

وقيل: هو علم يبحث في تخريج تراكيبه، على القواعد النحوية المحررة<sup>(٢)</sup>.

## أهمية علم إعراب القرآن الكريم:

تأتي أهمية هذا العلم من أهمية موضوعه، وتعلقه بالقرآن الكريم وبيانه وإيضاح معانيه التي يحمل عليها، ولذلك كان اللحن فيه منموماً، لأنه يخرج به عن المراد، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: أعربوا القرآن والتمسوا غرائب<sup>(٣)</sup>.

وعن ابن مسعود قال: أعربوا القرآن فإنه عربي، فإنه سيجيء قوم يتقوناه وليسوا بخياركم<sup>(٤)</sup>.

وقال ابن الجزري: ولا شك أن الأمة كما هم متعبدون بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده متعبدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من أئمة القراءة المتصلة بالحضرة النبوية الأفضحية العربية التي لا تجوز مخالفتها ولا العدول عنها إلى غيرها، والناس في ذلك بين محسن مأجور، ومسيء آثم، أو معذور<sup>(٥)</sup>.

وقال مكي بن أبي طالب: ورأيت من أعظم ما يجب على الطالب لعلوم القرآن، الراغب في تجويد ألفاظه وفهم معانيه ومعرفة قراءاته ولغاته، وأفضل ما القارئ إليه محتاج معرفة إعرابه والوقوف

(١) أسرار العربية، كمال الدين الأنباري، ص ٤٥.

(٢) ينظر: علم إعراب القرآن، العيساوي، ص ٢٨.

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، باب في ترك التفسير بالظن، ح ٣ ص ٥٤٦.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير، مناقب ابن مسعود، ح ٩ ص ١٣٩.

(٥) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ح ١ ص ٢١١.

على تصرف حركاته وسواكته، يكون بذلك سالماً من اللحن، فيه مستعيناً على أحكام اللفظ به،  
مطلعاً على المعاني التي قد تختلف باختلاف الحركات، متفهماً لما أراد الله به من عباده، إذ  
بمعرفة حقائق الإعراب تعرف أكثر المعاني وينجلي الإشكال، فتظهر الفوائد ويفهم الخطاب  
وتصح معرفة حقيقة المراد<sup>(١)</sup>.

قال البغوي: ثم إن الناس كما أنهم متعبدون باتباع أحكام القرآن، وحفظ حدوده، فهم متعبدون  
بتلاوته وحفظ حروفه على سنن خط المصحف<sup>(٢)</sup>.

وأمثلة ذلك كثيرة منها:

١. ما جاء في إعراب ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَفْسُدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ  
إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]:  
وهي على ثلاثة أوجه:

الأول: منصوبة على الحال، أي خائفين وطامعين.

الثاني: منصوبة على أنها مفعول لأجله، أي للخوف والطمع.

الثالث: منصوبة على أنها مفعول مطلق، أي تخافون خوفاً وتطمعون طمعاً، أو دعاء  
خوف وطمع.

٢. معنى (ما) في قوله تعالى: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ﴾ [البلد: ٣]: وهي على وجهين:

الأول: (ما) موصولة، أي أقسم بالوالد وولده.

الثاني: (ما) نافية، أي أقسم بمن يلد ومن لا يلد.

---

(١) مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب، ح ١ ص ٦٣.

(٢) معالم التنزيل، البغوي، ح ١ ص ٥٤.

أهم ضوابط التي يجب مراعاتها عند معرب القرآن الكريم<sup>(١)</sup>:

١. أن يفهم المعرب معنى ما يريد أن يعربه مفرداً أو مركباً:

لأن الإعراب فرع المعنى. ومن أمثلته:

إعراب (تقاة) في قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ [آل عمران: ٢٨].

و(تقاة) منصوبة، وفي نصبها ثلاثة أوجه:

الأول: منصوبة على المصدر، والمعنى: تتقوا منهم اتقاء.

الثاني: منصوبة على المفعول به، والمعنى: إلا أن تخافوا من جہتهم أمراً يجب اتقاؤه.

الثالث: منصوبة على الحال، إذا كانت جمع تقوى، وصاحب الحال تتقوا، فتكون حال مؤكدة<sup>(٢)</sup>.

وهكذا فإن كل معنى من المعاني يأخذ وجهاً إعرابياً يدل عليه.

٢. أن يشمل الإعراب الأوجه الإعرابية كافة دون الضعيف والشاذ وغير الثابت:

ومن أمثلة ما لم يثبت:

ما جاء في إعراب (الكاف) في قوله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾

[الأنفال: ٥]. فذكر أبو عبيدة أن (الكاف) حرف قسم، أي: والذي أخرجك من

بيتك، لأن (ما) بمعنى الذي، فيكون مجازها القسم<sup>(٣)</sup>.

وهذا القول غريب وبعيد، حيث لم يثبت في العربية استخدام (الكاف) للقسم، كما نكر أهل اللغة،

وردوا قول أبي عبيدة<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر: الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ح ٢ ص ٣١٤.

(٢) ينظر: إعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش، ح ١ ص ٤٨٨.

(٣) ينظر: مجاز القرآن، أبو عبيدة، ح ١ ص ٢٤٠١.

(٤) ينظر: مغني اللبيب، ابن هشام، ح ٢ ص ٢٧٢. والدر المصون، السمين الحلبي، ح ٥ ص ٥٥٩.

### ٣. أن يراعي المعرب في إعرابه استخدام القرآن للأوجه الإعرابية المشاكلة له:

ومن أمثلته:

ما جاء في قوله: ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾ [البقرة: ٢]. أن الوقف على: ﴿لا ريب﴾، ثم يبدأ: ﴿فيه هدى﴾، فيكون هدى مبتدأ مؤخر، وفيه الخبر. والوجه الأمثل منه أن يكون الوقف على قوله: ﴿لا ريب فيه﴾، والابتداء بقوله: ﴿هدى للمتقين﴾، وذلك بالنظر إلى الموضع الآخر في سورة السجدة: ﴿تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين﴾ [السجدة: ٢]، التي لا يجوز فيها الوقف على قوله: ﴿لا ريب﴾.

### ٤. التمسك بصحة المعنى عند التعارض بين الأوجه الإعرابية:

ومن أمثلته:

ما جاء في قوله تعالى: ﴿لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون﴾ [غافر: ١٠].

في هذا المثال يختلف تفسير الإعراب المتوافق مع القواعد النحوية والإعرابية، مع تفسير المعنى المراد. فالمعنى يقتضي تعلق (إذ) بالمقت، أي: لمقت الله إياكم في الدنيا إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون، أكبر من مقتكم أنفسكم اليوم عند دخول العذاب.

والإعراب مانع لهذا المعنى، حيث لا يجوز في العربية الفصل بين المصدر ومعموله بالخبر، فيقدر له فعل يدل عليه المقت، وتقديره: مقتكم إذ تدعون.

قال العكبري: ولا يجوز أن يُعمل فيه مقت الله؛ لأنه مصدر قد أخبر عنه، وهو قوله: ﴿أكبر من﴾، ولا أن يعمل في ﴿مقتكم﴾؛ لأنهم لم ييمقتوا أنفسهم حين دعوا إلى الإيمان وإنما مقتوها في النار، وعند ذلك لا يدعون إلى الإيمان<sup>(١)</sup>.

(١) ينظر: التبيان، العكبري، ص ٣٣٢.

## ٥. ترجيح الوجه الإعرابي الموافق للأدلة الشرعية:

ومن أمثلته:

ما جاء في إعراب ﴿ومن اتبعك﴾ في قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾ [الأنفال: ٦٤].

فمن أوجه إعرابها أن (من) معطوفة على اسم الله، والتقدير: حسبك الله وأتباعك من المؤمنين، وهذا لا يصح؛ لأن الحسب وهو الكافي، والحسب مختص بالله تعالى ولا يكون لغيره.

والأدلة على اختصاص الحسب بالله كثيرة جداً، منها قوله تعالى: ﴿وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين﴾ [الأنفال: ٦٢]، فأما الحسب فله وحده، وأما التأييد فيكون بالله وبالمؤمنين.

## ٦. ترجيح الوجه الإعرابي الموافق لرسم المصحف العثماني:

ومن أمثلته:

ما جاء في قوله تعالى: ﴿عيناً فيها تسمى سلسبيلاً﴾ [الإنسان: ١٨].

على أن (سل سبيلاً) جملة بمعنى الأمر، أي: سل طريقاً موصلة إلى هذه العين المسماة.

قال السمين الحلبي: وأغرب ما قيل في هذا الحرف أنه مركب من كلمتين: من فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول، والتقدير: سل أنت سبيلاً إليها<sup>(١)</sup>.

والصحيح أن ﴿سلسبيلاً﴾ حرف واحد في رسم المصحف، فلا تفسر إلا على ما وافقه، وليس هناك من وقف على ﴿تسمى﴾، والوقف عليه قبيح عند أهل الفن.

(١) الدر المصون، محمد شهاب الدين الحلبي، ح ١٠ ص ٦١٣.

## ٧. عدم الخروج عن الظاهر بحذف أو إضمار من غير داع:

ومن أمثلة عدم الخروج عن الظاهر:

ما جاء في قوله تعالى: ﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ [الحجر: ٧٢].

قال في الكشف: لعمرك على إرادة القول، أي قالت الملائكة للوط عليه السلام: لعمرك إنهم لفي سكرتهم أي غوايتهم التي أذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطأ الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير به عليهم، من ترك البنين إلى البنات<sup>(١)</sup>.

والصحيح لا إضمار لإرادة القول، كما قال ابن عباس، في ذلك: ما حلف الله تعالى بحياة أحد إلا بحياة محمد ﷺ، قال: وحياتك يا محمد وعمرك وبقائك في الدنيا ﴿إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾<sup>(٢)</sup>.

ومن أمثلة صحة الخروج عن الظاهر لداع معتبر:

ما جاء في قوله تعالى: ﴿وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم﴾ [البقرة: ٩٣].

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك. فقال بعضهم: وأشربوا في قلوبهم حب العجل. وهو مروى عن قتادة.

وقال آخرون: معنى ذلك أنهم سقوا الماء الذي نزي فيه سحالة العجل (أي مسحوقه). وهو مروى عن السدي.

قال أبو جعفر: وأولى التأويلين اللذين ذكرت بقول الله جل ثناؤه: ﴿وأشربوا في قلوبهم العجل﴾ تأويل من قال: وأشربوا في قلوبهم حب العجل. لأن الماء لا يقال منه: أشرب فلان في قلبه، وإنما يقال ذلك في حب الشيء، فيقال منه: أشرب قلب فلان حب كذا، بمعنى سقي ذلك حتى غلب

(١) الكشف، الزمخشري، ح ٢ ص ٥٨٥.

(٢) ينظر: تفسير الطبري، ح ١٧ ص ١١٨.

عليه وخالط قلبه، قال أبو جعفر: ولكنه ترك نكر "الحب" اكتفاء بفهم السامع لمعنى الكلام. إذ كان معلوماً أن العجل لا يشرب القلب، وأن الذي يشرب القلب منه حبه، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَأَسْأَلُهُمْ﴾ عن القرية التي كانت حاضرة البحر ﴿[سورة الأعراف: ١٦٣]، ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ [يوسف: ٨٢] (١).

---

(١) ينظر: تفسير الطبري، ح ٢ ص ٣٥٧.



## الفصل الثاني

### علم التفسير وأصوله

المبحث الأول: التفسير والتأويل

المبحث الثاني: أقسام التفسير وأنواعه

المبحث الثالث: أصول التفسير

المبحث الرابع: تاريخ التفسير ونشأته ومراحله



## المبحث الأول

### التفسير والتأويل

#### التعريف اللغوي للتفسير:

التفسير: أصله اللغوي من الكشف والبيان والإيضاح.

قال ابن فارس: الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه<sup>(١)</sup>.

وقال ابن منظور: الفسر: البيان. فسر الشيء يفسره، بالكسر، ويفسره، بالضم، فسراً وفسره: أبانه، والتفسير مثله. قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣].

وقيل أصله من (س ف ر)، وهو الكشف. وسفرت المرأة وجهها إذا كشفت النقاب عن وجهها. وقيل للكاتب سافر، وللكتاب سفر؛ لأن معناه أنه يبين الشيء ويوضحه. ويقال: أسفر الصبح إذا انكشف وأضاء إضاءة لا يشك فيه<sup>(٢)</sup>.

#### التعريف الاصطلاحي للتفسير:

تعددت تعاريف العلماء لمصطلح التفسير، تبعاً للجهة التي ينظر إليها المفسر للتفسير، فمنها بين أنواعه، ومنها بين طرقه، بين غرضه.

#### تعريف الزركشي:

عرفه الزركشي، فقال: التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ<sup>(٣)</sup>.

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة: (ف س ر).

(٢) لسان العرب، ابن منظور، مادة: (ف س ر) ومادة: (س ف ر).

(٣) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ح ١ ص ١٣.

## تعريف الزرقاني:

عرفه الزرقاني، فقال: علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية.

وخرج بقولنا يبحث فيه عن أحوال القرآن العلوم الباحثة عن أحوال غيره.

وخرج بقولنا من حيث دلالاته على مراد الله تعالى العلوم التي تبحث عن أحوال القرآن من جهة غير جهة دلالاته، كعلم القراءات فإنه يبحث عن أحوال القرآن من حيث ضبط ألفاظه وكيفية أدائها، ومثل علم الرسم العثماني فإنه يبحث عن أحوال القرآن الكريم من حيث كيفية كتابة ألفاظه.

وخرج بهذه الحثية أيضاً المعارف التي تبحث عن أحوال القرآن من حيث إنه مخلوق أو غير مخلوق، فإنها من علم الكلام وكذلك المعارف الباحثة عن أحوال القرآن من حيث حرمة قراءته على الجنب ونحوها فإنها من علم الفقه.

وقولنا بقدر الطاقة البشرية لبيان أنه لا يقدر في العلم بالتفسير عدم العلم بمعاني المتشابهات ولا عدم العلم بمراد الله في الواقع ونفس الأمر.

## تعريف أبو حيان الأندلسي:

عرفه أبو حيان الأندلسي، فقال: التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، وملولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمت لذلك. فقولنا علم هو جنس يشمل سائر العلوم. وقولنا يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن هذا هو علم القراءات. وقولنا وملولاتها، أي ملولات تلك الألفاظ، وهذا هو علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم. وقولنا وأحكامها الإفرادية والتركيبية هذا يشمل علم التصريف، وعلم الإعراب، وعلم البيان، وعلم البديع، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب شمل بقوله التي تحمل عليها ما لا دلالة عليه بالحقيقة، وما دلالاته عليه بالمجاز، فإن التركيب قد يقتضي بظاهره شيئاً، ويصد عن الحمل

على الظاهر صاد، فيحتاج لأجل ذلك أن يحمل على غير الظاهر، وهو المجاز. وقولنا، وتتمت لذلك، هو معرفة النسخ، وسبب النزول، وقصة توضح بعض ما انبهم في القرآن، ونحو ذلك<sup>(١)</sup>.

**إذن: التفسير: علم يفهم منه القرآن، ويكشف به عن حقائقه وأحكامه، ويزال به غموضه وإشكاله.**

### **التعريف اللغوي للتأويل:**

مأخوذ من الأول هو الرجوع، وأول الكلام وتأولة: دبره وقدره، وأوله وتأوله: فسره<sup>(٢)</sup>. ومنه قوله تعالى: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب﴾ [آل عمران: ٧].

وقيل: التأويل مأخوذ من الإيالة وهي السياسة، فكأن المؤول يسوس الكلام ويضعه في مواضعه.

### **التعريف الاصطلاحي للتأويل:**

١. عند السلف: تفسير الكلام وبيان معناه، سواء أوافق ظاهره أو خالفه. وهو ما يقصده المفسر في تفسيره عندما يقول: القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا.

وقيل: هو المراد بالكلام نفسه، فإن كان الكلام طلباً كان تأويله نفس الفعل المطلوب، كالتفسير والشرح والإيضاح.

٢. عند متأخري الفقهاء والمتكلمين: هو صرف المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترب به، وهذا هو التأويل الذي يتكلمون عليه في أصول الفقه ومسائل الخلاف، كقولهم: هذا النص مؤول أو محمول على كذا.

(١) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج ١ ص ٢٦.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، مادة (أ و ل).

والتأويل حمل الظاهر على المحتمل المرجوح، فإن حُمل عليه الدليل فصحيح، أو لما يظن دليلاً في الواقع ففساد، أولاً شيء فلعب لا تأويل<sup>(١)</sup>.

**إنن: التأويل: هو علم يفهم منه القرآن الكريم، ويكشف به عن حقائقه وأحكامه، ويزال به غموضه وأشكاله، من خلال رد آياته المشكلة إلى آياته الواضحة التي لا لبس فيها ولا إشكال.**

### **الفرق بين التفسير والتأويل:**

١. التفسير والتأويل بمعنى واحد فهما مترادفان بحسب عرف الاستعمال، وهذا هو الشائع عند المتقدمين من علماء التفسير<sup>(٢)</sup>.

٢. التفسير أعم من التأويل، وأكثر ما يستعمل التفسير في الألفاظ، والتأويل في المعاني، والتأويل يستعمل أكثره في الكتب الإلهية، والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها. والتفسير يستعمل في مفردات الألفاظ، والتأويل أكثره يستعمل في الجمل.

فالتفسير: إما أن يستعمل في غريب الألفاظ نحو " البحيرة " والسائبة " والوصيلة "، أو في " وجيز يبين ويشرح " كقوله: ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ [البقرة: ٤٣]. وإما في كلام مضمن بقصة لا يمكن تصوره إلا بمعرفتها نحو قوله: ﴿ إنما النسيء زيادة في الكفر ﴾ [التوبة: ٣٧]، وقوله: ﴿ وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ﴾ [البقرة: ١٨٩]. وأما التأويل: فإنه يستعمل مرة عاماً ومرة خاصاً، نحو " الكفر " المستعمل تارة في الجحود المطلق، وتارة في جحود الباري خاصة، و " الإيمان " المستعمل في التصديق المطلق تارة، وفي تصديق دين الحق تارة، وإما في لفظ مشترك بين معانٍ مختلفة نحو لفظة " وجد " المستعملة في الجدة والوجد والوجود<sup>(٣)</sup>.

(١) جمع الجوامع، السيوطي، ج ٢ ص ٥٦.

(٢) الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ج ٢ ص ١٧٣.

(٣) تفسير الراغب الأصفهاني، ح ١ ص ١١.

### ٣. التفسير مباين للتأويل:

**أ-** فالتفسير هو القطع بمراد الله عز وجل، والتأويل ترجيح أحد الاحتمالات بدون القطع بمراد الله عز وجل<sup>(١)</sup>.

**ب-** التأويل هو صرف الآية إلى معنى محتمل، يوافق ما قبلها وما بعدها، غير مخالف للكتاب والسنة، من طريق الاستنباط، والتفسير هو الكلام في أسباب نزول الآية وشأنها وقصتها<sup>(٢)</sup>.

**ت-** التفسير ما يتعلق بالرواية، والتأويل ما يتعلق بالدراية<sup>(٣)</sup>.

**ث-** التفسير هو بيان المعاني التي تستفاد من وضع العبارة، والتأويل هو بيان المعاني التي تستفاد بطريق الإشارة<sup>(٤)</sup>.

هذه الأقوال مجمل أقوال العلماء في المسألة، والحق أن كل هذه الأقوال محتملة، ويرجع ذلك إلى اختلاف العلماء في تعريفي التفسير والتأويل في اللغة، ولهذا إنه لا يصح أن يطلق المفسر أحد اللفظين جزافاً على تحليل النظم القرآني، بل لا بد للمفسر أن يبين مراده من اللفظين، ويبين ذلك صريحاً في مقدمة تفسيره، لئلا يشكل على القارئ الخلاف بين التفسير والتأويل، وهو بذلك بالخيار بين أحد هذه المعاني.

والحق أيضاً أن كلاً من التفسير والتأويل يكمل أحدهما الآخر، فإن المفسر للقرآن يبدأ بالتفسير، فيبين ألفاظ الآية وكلماتها، معتمداً على الروايات الصحيحة وعلوم القرآن المختصة بذلك؛ من أسباب النزول والقراءات وغيرها، وبذلك يحقق تعريف التفسير الذي

---

(١) الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ج ٢، ص ١٧٣، وهو قول منسوب للماتوريدي.

(٢) معالم التنزيل، النبغوي، ج ١ ص ١٨.

(٣) الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ج ٢ ص ١٧٣.

(٤) وهذا رأي أكثر المتأخرين، وإليه نبه الألوسي في مقدمة تفسيره روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج ١ ص ٥.

أوردته سابقاً، ثم يبدأ بالتأويل على حسب ما عرفت التأويل سابقاً، فينظر في التراكيب القرآنية ويستخرج منها حقائقها، ومقاصدها، ودلالاتها، مزيلاً ما فيها من غموض وألبس. وبالتالي لا يستغني التفسير عن التأويل ولا التأويل عن التفسير، فليس هناك مؤول للقرآن أو مفسر للقرآن، يستقل أحدهما عن الآخر.

وأقرب الأمثلة إلى ذلك ما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكان بعضهم وجد في نفسه؛ لم تُدخل هذا معنا، ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه من قد علمتم. فدعاه ذات يوم، فأدخله معهم. فما رأيت أنه دعاه في يومئذ إلا ليريهم، فقال: ما تقولون في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١]؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره، إذا نصرنا وفتح علينا. وسكت بعضهم، فلم يقل شيئاً، فقال لي: أأنتك تقول يا ابن عباس؟ فقلت لا. قال: فما تقول؟ قلت هو أجل رسول الله ﷺ، أعلمه له. فقال له: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾. قال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول. فقول الصحابة عن معنى السورة هو تفسيرها، وقول ابن عباس، مع علمه بما قالوا، هو تأويلها<sup>(١)</sup>

### حكم التفسير وأهميته:

بالنسبة للأمة: يجب على الأمة تعلم التفسير بشكل عام، ولا ينبغي أن تخلو الأمة من عالم يعلم التفسير، وإلا تكون الأمة آثمة.

أما بالنسبة لأفراد الأمة بأعيانهم: فتعلم ما يصح فرائضهم وعباداتهم واجب عيني على كل منهم.

والغاية من تعلم علم التفسير، الوصول إلى الفهم الصحيح لكلام الله تعالى، والوقوف على مقاصد القرآن وعلومه الأساسية.

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب التفسير، باب تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾.



قال ابن تيمية: ومن المعلوم أن كل كلام فالمقصود منه فهم معانيه دون مجرد ألفاظه، فالقرآن أولى بذلك. وأيضاً، فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتاباً في فن من العلم كالطب والحساب، ولا يستشرحوه، فكيف بكلام الله تعالى؟ الذي هو عصمتهم، وبه نجاتهم وسعادتهم وقيام دينهم ودنياهم<sup>(١)</sup>.

ولذلك من الأهمية بمكان تعلم علم التفسير، ولأغراض الآتية:

١. فهم القرآن الكريم، ومعرفة المراد منه، ومعرفة مقاصده، وإعجازه.
٢. معرفة أصول العقيدة وأركان الإيمان، من خلال فهم الآيات الدالة عليها.
٣. معرفة الأحكام الشرعية التعبدية التي نص عليها القرآن الكريم.
٤. معرفة أحداث السيرة النبوية، من خلال النظر في أسباب النزول والأحداث والوقائع التي مرت بها السيرة النبوية.
٥. معرفة أخبار الأمم السابقة، من خلال القصص القرآني للأمم السابقة وقصص الأنبياء، وربط الأحداث بالواقع المعاش.

### مصادر علم التفسير:

يستمد علم التفسير مواده من عدد كبير من العلوم، من أهمها:

١. اللغة من النحو والصرف والبلاغة: لأن معرفة الألفاظ القرآنية واستعمالاتها تتأتى لغة العرب فقد نزل القرآن بلغتهم وعلى أساليبها.
٢. مصادر الأدب والتذوق البلاغي العربي: وهو ما يعين المفسر على الوقوف على بلاغة القرآن، وأوجه إعجازه اللغوي.
٣. علوم الحديث الشريف: والوقوف على قواعد قبول الروايات، فالتفسير جله متأثر كالحديث، بالإضافة لما جاء من تفسير نبوي فيه.

---

(١) مقدمة التفسير، ابن تيمية، ص ٩.

٤. المصنفات في علم التفسير، كتفاسير كبار أئمة التفسير.
٥. علوم القرآن الكريم، كعلم القراءات، والرسم، وغيره.
٦. علم أصول الفقه: وهو القواعد والأسس العامة في فهم النصوص القرآنية.
٧. علم العقيدة: فإن القرآن يتضمن أصولها، التي تحتاج إلى الفهم الصحيح والسليم.
٨. المصادر التاريخية وعلومها: فالقرآن يتضمن من القصص والتاريخ ما يحتاج المفسر معه إلى هذه العلوم.
٩. العلوم الكونية الحديثة: كالفلك والطب والهندسة والجغرافيا، فلا يخفى ما يتضمنه القرآن من الآيات الدالة على تلك العلوم، وما فيه من إعجاز علمي غير مسبوق.

## المبحث الثاني

### أقسام التفسير وأنواعه

التفسير هو: الرواية عن الله تعالى، كما قال مسروق<sup>(١)</sup>، ومن هنا ينبغي على المفسر أن يتحرى الدقة والصحة فيما يتقوله أو ينقله عن كتاب الله تعالى، خشية الوقوع في الخطأ.

وبما أن علم تفسير القرآن أضحى علماً كسائر العلوم، فهو ذو منهج أو مناهج، وله طرقه وأساليبه ورجاله ومصنفاته ومصادره.

**ولذلك قسّم العلماء طريقه إلى قسمين رئيسيين:**

**الأول:** التفسير المعتمد على النقل والرواية، أو ما يعرف بالمأثور.

**الثاني:** التفسير المعتمد على العقل والدراية، أو ما يعرف بالرأي.

---

(١) مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، ص ١٢٠.

## أولاً: التفسير بالمأثور:

معناه: يشمل هذا النوع من التفسير على كل ما جاء به القرآن الكريم نفسه، أو السنة النبوية فيما نقل عن النبي ﷺ، أو ما جاء عن الصحابة رضي الله عنهم من أقوال، أو ما نقل عن التابعين الذين هم أتباع الأصحاب، فيما يتعلق بتفسير القرآن ونصوص التنزيل.

ويشترط فيما ينقل من الروايات التفسيرية ما يشترط في صحة الأخبار، فكان من المأثور ما هو مقبول، ومنه ما هو مردود.

وإن من أهم أسباب رد الروايات التفسيرية من غير تحقق من صحتها، والتي أدت إلى ضعف في رواية التفسير المأثور<sup>(١)</sup>:

١. كثرة الوضع في التفسير المأثور: لأسباب متعددة، من أهمها التعصب المذهبي.

٢. كثرة الرواية عن بني إسرائيل: خاصة مع إذن النبي ﷺ وتجويزه النقل عنهم في قوله: بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار<sup>(٢)</sup>.

٣. حذف اسناد الروايات: لأسباب عديدة، منها الاختصار، فدخل السقيم بالصحيح والتبس الأمر، حيث نقل كثير من المفسرين الموضوع من الأخبار على أنه صحيح، مع أن فيه ما يخالف الصحيح صراحة.

---

(١) التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، ح ١ ص ١٣٠.

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما نكر عن بني إسرائيل. يقسم العلماء الأخبار الإسرائيلية إلى ثلاثة أقسام: الأول: ما يعلم صحته بأن نقل عن النبي ﷺ وهذا القسم صحيح ومقبول، الثاني: ما علم كذبه بأن خالف أصلاً أو معلوماً، فهذا لا تقبل روايته مطلقاً، الثالث: ما هو مسكوت عنه، وحكمه التوقف فلا نصدقه ولا نكذبه، لقوله ﷺ: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليهم.

## مصادر التفسير المأثور:

من خلال تعريفنا للمأثور من التفسير تبين أن أهم مصادره التي يستقي منها هي<sup>(١)</sup>:

١. القرآن الكريم وقراءته المتواترة، وهو المعروف بتفسير القرآن بالقرآن.
٢. السنة النبوية المفسرة للقرآن والموضحة لمعانيه.
٣. تفسير الصحابة خاصة ما نقل عن علماءهم كابن عباس وابن مسعود.
٤. ما نقل عن التابعين، مع اختلاف العلماء فيما نقل عنهم، فهم ليسوا كالصحابه في العدالة والصفاء وشهود النزول ومشافهة النبي ﷺ، غير ما نقل عن علمائهم الثقات أصحاب الأصحاب كسعد بن جبير، ومجاهد، وزيد بن أسلم، وقتادة، والحسن البصري، وغيرهم.

## أما مصادره من حيث المصنفات التي بونت فيه:

١. تفسير سفيان الثوري.
٢. تفسير إسحاق بن راهويه.
٣. تفسير الإمام أحمد بن حنبل.
٤. تفسير البخاري.
٥. تفسير جامع البيان في تأويل القرآن للطبري.
٦. تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.
٧. تفسير القرآن العظيم لابن كثير.

---

(١) أصول التفسير وقواعده، خالد العك، ص ١١٤.

٨. تفسير الدر المنثور للسيوطي.

٩. أبواب التفسير في كتب الحديث كما في الصحيحين، وصحيح ابن حبان، والمستدرک، والموطأ، وسنن الدارمي، والسنن الأربعة، وغيرها.

### ثانياً: التفسير بالرأي معناه وموقف العلماء منه:

معناه: يطلق الرأي على عدة أمور: منها: الاعتقاد، والقياس، والاجتهاد، والعقل والتدبر. وما يهنا هنا هو: (الاجتهاد)، فالتفسير بالرأي هو تفسير نصوص القرآن الكريم بالاجتهاد، معتمداً على العلوم الأساسية التي يحتاجها المفسر.

هذا والعلماء في قبول الرأي في التفسير على مذهبين:

**المذهب الأول:** وهو مذهب المانعين، مستدلين على قولهم بأدلة أهمها:

قوله تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ [النحل: ٤٤].

قول النبي ﷺ: ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار<sup>(١)</sup>.

**المذهب الثاني: مذهب المجوزين:** مستدلين على قولهم بأدلة أهمها:

قوله تعالى: ﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ [النساء: ٨٣].

وكذلك اختلاف الصحابة في تفسير القرآن على وجوه، ولو لم يكن جائزاً لما فعلوه.

طبعاً وإن لكل مذهب منهم ردوده المعتمدة على أدلة المذهب الآخر، لكن لو تعمقنا قليلاً في أقوال كلا المذهبين لوجدنا أن الخلاف بينهم لفظي غير حقيقي، فشرط المجيزين وتشدد المانعين تدل على ما ذهبنا إليه.

(١) أخرجه الترمذي في السنن، أبواب التفسير، ح ٢ ص ١٥٧.

فمن أجاز شرط موافقة كلام العرب وأحوالهم، وموافقة الكتاب والسنة قبل كل شيء، مع مراعاة سائر العلوم التي يحتاجها المفسر، وكل ما خالف ذلك فهو ممنوع شرعاً وعقلاً، وهذا هو المحمول على قول المانعين ولا يخرج عنه.

وأما من منع فقد ذم الرأي المجرد، المخالف للأعراف والكتاب والسنة، والتقول في القرآن بغير معرفة ودراية، وبالتالي ما منعوا ما هو مشروط في كلام المجيزين. وعليه يكون الرأي على قسمين:

**القسم الأول:** الرأي الجائز المحمود، وهو ما وافق شروط تفسيره، ومن أنواعه:

١. ما نقله الصحابة من اختلاف في التفسير برأيهم، فهم أعلم الناس بالقرآن، وأعمقهم فهماً لمراده، وهم من شاهدوا تنزله وعايينوا أحداثه، بالإضافة لصفاء سريرتهم وعدالتهم، ولذلك لم ينقل في اختلاف تضاد، إنما كان على سبيل التنوع والتمثيل، كما سيمر معنا عند الحديث عن الاختلاف في هذا النوع.

٢. ما لم يكن له أثراً منقولاً فالاجتهاد فيه حسن بما يوافق ما هو معروف من الأصل العامة للشريعة وموافق لها، مراعيًا ما يجب مراعاته من اللغة وعلوم القرآن وغيرها.

قال القرطبي: فإن من قال فيه بما سنع في وهمه وخطر على باله من غير استدلال عليه بالأصول فهو مخطئ، وإن استنباط معناه بحمله على الأصول المحكمة المتفق على معناها فهو ممدوح<sup>(١)</sup>.

**القسم الثاني:** الرأي غير الجائز المذموم، وهو ما خالف شروط تفسيره، ومن أنواعه:

١. كل ما خالف النصوص الصريحة، وهو معلوم بطلانه، وأكثر أمثاله تجدها في مصادر تفسير أهل البدع والأهواء.

(١) مقدمة تفسير القرطبي، القرطبي، ح ١ ص ٢٦.

٢. الكلام المستنبط بالظن بقواعد الاستنباط.

٣. الأقوال المعتمدة على مجرد ظاهرة العربية من غير عرضها على المأثور.

### مصادر التفسير بالرأي<sup>(١)</sup>:

ألفت مع ابتداء عصر تدوين العلوم الكثير من المصنفات التفسيرية، وتتنوع تبعاً لاختلاف عقائد ومشارب ومذاهب المصنفين، فكثرت المؤلفات وتتنوع، ومنها ما وصل إلينا وطبع، ومنها ما لم يصل منه إلا الجزء اليسير، ومنها ما لم يصل منه شيء فمن أهم مصادره:

١. مفاتيح الغيب للفخر الرازي

٢. أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي.

٣. مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي.

٤. البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي.

٥. لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن.

٦. تفسير الجلالين للمحلي والسيوطي.

٧. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود.

٨. روح المعاني للألوسي.

### ومن أهم مصادر التفسير بالرأي المذموم:

١. تفاسير المعتزلة: كثير منها لم يصل، لكن من أشهر ما هو موجود: الكشاف للزمخشري، وتنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار، وأمالى الشريف المرتضى.

---

(١) ينظر: التفسير والمفسرون، الذهبي، ح ١ ص ٢٠٥ وما بعدها، ح ٢ ص ٣٢ وما بعدها.

٢. تفاسير الشيعة: من أهمها: مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار للمولى عبد اللطيف الكازراني، وتفسير الحسن العسكري، ومجمع البيان للطبرسي، والصابي في تفسير القرآن الكريم لملا محسن الكاشي، وتفسير القرآن للسيد العلوي، وبيان السعادة للخرساني.

٣. النقولات التفسيرية لأصحاب الفرق الضالة المبتدعة كالإسماعيلية والبابية والبهائية.

٤. الزيدية وأهم من صنف فيها الشوكاني في فتح القدير.

٥. الإباضية كتفسير هميان الزاد لمحمد يوسف أطفيش.

٦. كتب أهل الإشارة والتصوف كتفسير ابن عربي، وتفسير القرآن العظيم للتستري.

٧. التفاسير الحديثة العلمية والمعاصرة، أو الموضوعات التفسيرية، وهي كثيرة جداً تناولت كثيراً من موضوعات القرآن الكريم.

### **التعارض بين التفسير بالرأي والتفسير بالمأثور:**

ليس الحديث هنا عن الرأي المذموم حيث لا يتصور التعارض بينه وبين المأثور، فهو في الأصل مردود وغير جائز.

أما الرأي المحمود فهو المقصود، فإذا وقع التعارض وأمكن الجمع، فهذا ليس من التعارض في شيء، كتفسير (الصراط المستقيم)، بالقرآن والإسلام، أو العبودية.

أما إذا لم يكن بالإمكان الجمع، فما هنا ثلاثة صور في دلالة كل منهما:

**الأولى: أن يكون العقلي قطعياً والنقلي قطعياً:** وهذا غير متصور فلا تعارض بين القطعيات أبداً، فقطعي الدلالة ما دل على معنى متعين فهمه منه، ولا يحتمل تأويلاً أبداً، كقول الله تعالى: ﴿ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين﴾ [النساء: ١٢].



**وأما ظني الدلالة:** وهو ما دل على معنى، ولكن يحتمل أن يؤول أو يصرف عن هذا المعنى إلى معنى غيره، كدلالة معنى القرء في قوله تعالى: ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾ [البقرة: ٢٢٨]. فالقروء مشترك بين معنيين، فيطلق على الطهر، ويطلق على الحيض، فهذا النص دلالاته ظنية على كل منهما، فيحتمل إرادته الطهر، ويحتمل إرادته الحيض، فهو ليس قطعي الدلالة على واحد منهما، ومن هنا كان اختلاف التفسير فيه<sup>(١)</sup>.

**الثانية: أن يكون أحدهما قطعياً والآخر ظنياً:** فالقطعي مقدم على الظني.

ومثال النقل القطعي الدلالة مع العقل الظني الدلالة: إنكار من أنكر سجود الشمس لربها ظناً منه أن ذلك معارض للعقل فقد صح النقل في ذلك، فيقدم قطعي الدلالة مع صحة النقل على ظني الدلالة من العقل والرأي<sup>(٢)</sup>. ونحن نقدر سجودها بما يتناسب مع الخلق، ولا يقاس على طريقة سجود بني آدم، فالسجود غير ممتع، ولا مخالفة مع الصحيح، ولذلك يُرد الظني وهو العقل هنا.

ومثال النقل ظني الدلالة والعقل قطعي الدلالة: فقد ثبت عقلاً أن الأرض كروية، وهي تدور حول الشمس، وهذا مقدم على قول من قال: إن الأرض مسطحة لقوله تعالى: ﴿وإلى الأرض كيف سطحت﴾ [الغاشية: ٢٠]، فدلالة هذا النص على أن الأرض مسطحة وليست كروية ظني، ولا يقدم على ما قطع به العقل بأن الأرض كروية.

**الثالثة: أن يكون كلاهما ظني:** عندها يقدم المأثور بكل حال إن صح سنده، فالضعيف من النقل أولى من أقوال الرجال الظنية.

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ح ١ ص ١٨٥.

(٢) روى أبو ذر قال: كنت مع النبي ﷺ في المسجد عند غروب الشمس، فقال: "يا أبا ذر أتدري أين تغرب الشمس" قلت الله ورسوله أعلم، فقال: "فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فذلك قوله تعالى: ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾ [يس: ٣٨].

## أساليب تناول العلماء للتفسير:

ويقصد به الأساليب التي عرض المفسرون تفاسيرهم من خلالها، وطبقوا مناهجهم عليها، ولذلك تسمى أحياناً بمناهج المفسرين، وهي<sup>(١)</sup>:

١. **التفسير الإجمالي:** وهو تقديم المعنى الإجمالي للآيات، دون توسع، أو إطناب، أو استطرادات في اللغة أو العقيدة أو الفقه، ومن أشهر هذه التفاسير " تفسير الجلالين للمحلي والسيوطي".

٢. **التفسير التحليلي:** وهو التفسير التفصيلي لأي القرآن، من حيث اللغة والعقيدة والأحكام الفقهية، والأخلاق، وعلوم القرآن، كتفسير "الكشاف للزمخشري"، والتفسير "الكبير للفخر الرازي" وتفسير "أنوار التنزيل للبيضاوي"، وغيرها.

٣. **التفسير المقارن:** وهو عبارة عن دراسات مقارنة، يقوم الباحث بمقارنة بعض المسائل أو الآيات بين تفسير وآخر، ويقف من خلاله على موضوعات اللغة والفقه والعقيدة والمناهج، ويخرج بعدها الباحث بعدد من النتائج " كتفسير الطبري".

٤. **التفسير الموضوعي:** وهو الاهتمام بمتابعة موضوع ما من مواضيع القرآن الكريم، ودراسته مفصلاً، أو دراسة سورة من القرآن موضوعياً، أو دراسة أحد مصطلحات القرآن.

## الأسس العامة لمناهج التفسير:

من المعروف بدهشة أن لكل مفسر منهجه في التفسير، وتختلف هذه المناهج طبقاً لمدى تفاوت الوعي والاختصاص والمذهب الفقهي أو العقدي للمفسر.

وتبعاً لتعريف المنهج، فإن منهج التفسير هو ذلك الطريق، أو الخطة البحثية التي يتبعها المفسر في تفسير أي القرآن، ملتزماً ما ألزم نفسه به من قواعد وضوابط.

وعلياً أن نعم إن خيطاً ما يجمع بين مناهج التفسير المختلفة، وهو ما سميته: الأسس العامة لمناهج التفسير، إن مناهج المفسرين تُقدم للدارس القواعد والآداب والضوابط

(١) ينظر: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، عبد الفتاح صلاح الخالدي، ص ٣١-٣٢.

والتوجيهات التي لا بد منها في عالم التفسير، كما تقدم له الأسس والأصول المنهجية والموضوعية التي لا بد من الانطلاق منها في عالم التفسير، وهي تحدث الدارس عن نشأة علم التفسير، ومدارس التفسير واتجاهاته في التاريخ الإسلامي، وتعرفه على أشهر التفاسير وأئمة المفسرين، وتحدد له مناهجهم وطرائقهم في التفسير<sup>(١)</sup>.

ومن خلال مقارنة مناهج المفسرين، يمكن للدارس أن يصل إلى أهم الأسس التي قام عليها المفسرون في تفاسيرهم، رغم اختلاف مشاربهم الفقهية والمذهبية والسياسية، مع اختلاف الأزمنة والعصور التي كتبت فيها التفاسير، وهي:

**١. التركيز على اللغة:** تتفاوت مناهج التفاسير في نسبة تعاطيها تفسيرياً مع قواعد اللغة العربية، باعتبارها لغة القرآن الكريم، تفاوتاً ملحوظاً، ابتداءً من المناهج اللغوية؛ والتي اصطُح على تسميتها بالتفاسير اللغوية، كمعاني القرآن للفرأ.

ومنها ما كان أقل من ذلك، فكانت اللغة من متمامات التفسير، كتفسير الطبري، ومنها ما كانت اللغة فيه من الأصول، كتفسير الكشاف للزمخشري.

وبالرغم من ابتعاد مناهج التفسير التي تعبر عن مواقف أصحابها المذهبية عن اللغة<sup>(٢)</sup>، والتي هي في الأصل تفاسير عقديّة كلامية، إلا أنها في الوقت نفسه كانت تستخدم اللغة أحياناً لدعم معنى معيّن، واستثمارها على الحقيقة أو على المجاز بما يتناسب مع فكرها، فكانت اللغة عاكساً للاعتبار المستند إلى النص بين اكتفاء به وانطلاق منه لتبيين دلالاته وتطويعه إلى ما يوجه من الخارج دلالاته<sup>(٣)</sup>.

**٢. الالتزام بترتيب المصحف العثماني:** وذلك بالترتيب السور والآيات، كما هي في المصحف العثماني، من غير تقديم أو تأخير، وعند الحاجة إلى ذكر آية في سورة متقدمة أو متأخرة، فيشير المفسر إلى موضعها من التفسير، كقول الطبري في تفسير

(١) تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص ٢٢.

(٢) كتفاسير المعتزلة، أو الشيعة، أو الصوفية، أو الخوارج، أو... .

(٣) قضايا اللغة في كتب التفسير، عبد الهادي الجطلوي، ص ١١٣.

الآية: [١٧٦] من سورة النساء: وقد بينا معنى الكلالة فيما مضى بالشواهد الدالة على صحته، وقد ذكرنا اختلاف المختلفين فيهن فأغنى ذلك عن إعادته<sup>(١)</sup>.  
**٣. النظرة الجزئية للقرآن الكريم:** وهو النظر إلى كل آية على حده، وقلماً يربط المفسر الآيات مع بعضها.

**٤. ترجيح الروايات وعدم الجزم بمراد الله عز وجل:** فإن المفسر يعتمد إلى النظر في سند الروايات، ومن ثم يقارن الروايات بعضها ببعض، وبعد ذلك يرجح التفسير حسب الرواية، ولا يجزم أن هذا هو المقصود الحقيقي الذي أراده الله عز وجل من هذه الآية أو تلك.

**٥. التعامل مع النص القرآني بنزعة قدسية:** وذلك لمكانة صاحب النص عند المفسر، فكان الهدف الأسمى إدراك مقاصد الآي القرآني، والمتمثلة في توحيد الله وطاعته شكراً وطمعاً في مرضاته.

وإن النص الذي لا يوافق في ظاهره هذه المعاني؛ يُطَوَّع ليصبح موافقاً لها. وعلى هذا فإن الزمخشري يُطَوِّع النص القرآني في تفسير قوله تعالى: ﴿الحق من ربك فلا تكن من الممترين﴾ [آل عمران: ٦٠]، والذي هو في ظاهر الآية تعنيف بالرسول ﷺ، وهو مما لا يناسب مكانة الرسول العالية التي خصه الله بها في قرآنه الكريم؛ ليكون موافقاً لمقاصد الآي القرآني من تعظيم الرسول ﷺ: ونهيه عن الامتراء، أن يكون ممترياً، من باب التهيج بزيادة الثبات والطمأنينة<sup>(٢)</sup>.

**٦. النزعة الدفاعية عن القرآن الكريم:** من خلال: الرد على التناقض في ظاهر بعض آيات القرآن الكريم، ودفع التناقض الظاهري بأوجه الجمع بين النصوص المتعارضة. ومن خلال والدفاع عن عربية القرآن الكريم أيضاً.

(١) تفسير الطبري، ج ٨ ص ٥٣. مشيراً بذلك إلى الآية [١٢] من سورة النساء.

(٢) الكشاف، الزمخشري، ج ٣ ص ٢١.

## المبحث الثالث

### أصول التفسير

#### تعريف أصول التفسير:

الأصول في اللغة: الأصل: أسفل كل شيء وجمعه أصول، ويطلق على مبدأ الشيء<sup>(١)</sup>. وفي الاصطلاح: هو ما يبني عليه غيره، أو يفنقر إليه ولا يفنقر إلي غيره<sup>(٢)</sup>. وبالتالي فإن المركب (أصول التفسير)، وقد مر سابقاً معنى التفسير، هو: علم يفهم منه القرآن، ويكشف به عن حقائقه وأحكامه، ويزال به غموضه وإشكاله، من خلال القواعد والضوابط المعتمدة عند المفسرين.

وغاية هذا العلم: هو الوصول إلى المراد من النص القرآني على الأوجه الصحيحة، من خلال اتباع القواعد والأصول التي تحول بين المفسر والواقع بالخطأ أو الانحراف في الفهم والاستنباط من القرآن الكريم.

#### أهمية علم أصول التفسير:

تكمن أهمية علم أصول التفسير من أهمية علم التفسير نفسه، لأن أصول التفسير بالنسبة للتفسير بمثابة الوسائل للغايات، فهو له كعلم النحو للغة العربية، وكأصول الفقه للفقه، وكأصول الحديث للحديث، ومن أهمية هذا العلم:

١. حفظ القرآن الكريم من الخطأ أو الانحراف في تفسيره.
٢. معرفة أحكام القرآن على وجه الدقة، من خلال معرفة ناسخه ومنسوخه، وعمومه وخصوصه، ومطلقه ومقيده، ومحكمه ومتشابهه، وغير ذلك.

---

(١) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة: (أ ص ل).

(٢) التعريفات، الجرجاني، ص ٢٢.

## المصنفات في أصول التفسير:

إن أهمية علم التفسير وأصوله دعت العلماء من القديم، من التصنيف فيه، فهو علم لا يستغني عنه الفقيه ولا الأصولي ولا المحدث، فضلاً عن المفسر، وكان من أهم المصنفات فيه:

١. كتاب الرسالة: للإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت: ٢٠٤ هـ)، وهو كتاب في علم الأصول في كافة فروعها.

٢. كتاب مقدمة في أصول التفسير: لابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ)، يتضمن قواعد مهمة في تفسير القرآن، وشروحها المعاصرة.

٣. كتاب الإكسير في أصول التفسير: لسليمان بن عبد القوي الطوفي البغدادي (ت: ٧١٦ هـ)، وفيه تعريفاً للتفسير والتأويل، وبعض ما يحتاجه المفسر من علوم.

٤. كتاب الفوز الكبير في أصول التفسير: لولي الله أحمد قطب الدين الدهلوي الهندي (ت: ١١٧٦ هـ)، تحدث فيه عن العلوم الأساسية التي يشتمل عليها القرآن، كما تحدث عن بعض علوم القرآن كأسباب النزول، والنسخ، ومعاني الحروف، والتقديم والتأخير، والتكرير، والمجاز، والمتشابه، وغير ذلك.

٥. المؤلفات في علوم القرآن، ومن أهمها: البرهان للزركشي (ت: ٧٩٤ هـ)، والإتقان للسيوطي (ت: ٩١١ هـ).

٦. مقدمات كتب التفسير، كمقدمة تفسير الطبري (ت: ٣١٠ هـ).

٧. المصنفات المعاصرة في أصول التفسير، وقواعد التفسير والترجيح، وأهمها: التفسير والمفسرون للشيخ محمد حسين الذهبي (ت: ١٣٩٨ هـ)، أصول التفسير وقواعده للشيخ خالد عبد الرحمن العك. قواعد الترجيح للدكتور حسين الحربي، وغيرها كثير.

## المبحث الرابع

### تاريخ التفسير ونشأته ومراحله

سبق وبيننا أن القرآن الكريم ابتدأ نزوله في غار حراء، وكان نزوله بلغة القوم الذين سيخاطبون به ابتداءً، وهم العرب، فنزل بلغتهم وعلى أساليبهم في الخطاب، وكان كلام العرب مشتملاً على الحقيقة والمجاز، والتصريح والكناية، والإيجاز والإطناب. فكان القرآن كذلك في الأسلوب العربي، بل وازداد عنه رفعة وعلواً في الخطاب ومعاني الكلام وجزالته وإعجازه وما امتاز به من خصائص أخرى.

ولذلك فهم النبي ﷺ وصحابته الكرام ما نزل إليهم من خلال لغتهم، فلم يستبينوا من النبي ﷺ من ذلك شيئاً، إلا ما أصبح من الحقائق الشرعية التي لا تفهم بمجرد اللغة، وإن كانت اللغة أصلاً لها، كالصلاة التي حقيقتها اللغوية الدعاء، فلم تفهم إلا بعد بيان حقيقتها الشرعية من النبي ﷺ، وهكذا الزكاة والصيام وغيرها.

ومن هنا يتبين لنا أن تفسير القرآن ابتدأ مع نزوله، وهو مستمر ومتجدد إلى قيام الساعة، لا يفنى ولا يبلى.

ولسهولة الدراسة يمكن أن نقسم تاريخ التفسير إلى مراحل متعاقبة، كما يأتي:

المرحلة الأولى: التفسير في زمن نزوله في عهد النبي ﷺ وأصحابه.

المرحلة الثانية: التفسير في عهد التابعين.

المرحلة الثالثة: التفسير في عهد التدوين والتصنيف.

المرحلة الرابعة: التفسير في العهد الحديث والمعاصر.

من الملاحظ: أن هذه المراحل مع تعاقبها الزمني، إلا أننا لا يمكن أن نفصل بينها، كما سنرى، فصلاً رياضياً، فكل مرحلة متداخلة ومتكاملة مع التي قبلها والتي بعدها.

### المرحلة الأولى: التفسير في زمن نزوله في عهد النبي ﷺ وأصحابه:

تبتدأ هذه المرحلة مع نزول القرآن على النبي ﷺ، وتستمر حتى انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى. وتتداخل مع المرحلة التي بعدها فترة حياة الصحابة مع التابعين بعد وفاة النبي ﷺ.

أما النبي ﷺ فكان يبين ما يحتاج إلى بيانه من غير إطناب، فإن جلا ما فسره كان بياناً لمجمل، أو تقيداً لمطلق، أو تخصيصاً لعام، وهكذا.

### القدر الذي فسره النبي ﷺ لأصحابه:

اختلف العلماء في ذلك على قولين:

**الأول:** أن النبي ﷺ بين معاني القرآن وألفاظه لأصحابه، وهو قول ابن تيمية، مستدلاً بقوله: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾ [النحل: ٤٤]. وأيضاً عمل الصحابة؛ حيث كانوا يتعلمون القرآن عشر آيات عشر آيات، حتى تعلموا القرآن والعمل جميعاً<sup>(١)</sup>.

**الثاني:** أن النبي ﷺ لم يبين إلا القليل، وهو قول عائشة، قالت: لم يكن النبي ﷺ يفسر شيئاً من القرآن إلا آياً بعدد، علمه إياها جبريل عليه السلام<sup>(٢)</sup>.

والحق أن النبي ﷺ لم يفسر كل القرآن، حيث لم يصل إلينا شيء من ذلك، ولو فسره لنقل إلينا، وكذلك لا يصح القول أن النبي ﷺ لم يفسر إلا القليل، فإن من القرآن ما يفهم من اللغة، ومنه ظاهر لا يحتاج تفصيلاً، ومنه ما لا يعلمه إلا الله فاستأثر بعلمه.

### تفاوت فهم الصحابة للقرآن الكريم:

لم يكن الصحابة رضي الله عنهم، كعموم الناس في عموم الأعاصير، على درجة واحدة من الفهم لمراد الله تعالى من النصوص القرآنية.

(١) تفسير الطبري، ح ١ ص ٨٠.

(٢) تفسير الطبري، ح ١ ص ٨٤. والحديث معلول وفيه مقال.



## وأما سبب التفاوت فواضح، ومن أهم ذلك:

١. تفاوتهم في القدرات العقلية، وهو سبب يميز عموم البشر، وهم كذلك.
٢. تفاوتهم في الصحة، وبالتالي تفاوت معرفة ما أحاط بالقرآن من ظروف وملابسات وأسباب نزول وغير ذلك.
٣. تفاوتهم في الاهتمام، فمنهم من اهتم أكثر بالحلال والحرام، ومنهم بالقرآن وقراءته، ومنهم بالفرائض، وهكذا.
٤. تفاوتهم في معرفة معاني القرآن، مع عربيتهم الخالصة، غير أن الواحد من الناس يصعب عليه الإحاطة بكامل اللغة، فيكون التفاوت بين الناس في ذلك.

قال الماتريدي: وبطبيعة الحال لم يكن الصحابة في درجة واحدة في فهم اللغة وإدراك أسرارها، وليس بمقدور قوم أن يفهموا كل ما يكتب بلغتهم من العلوم على حد سواء، ومن هنا لم يكن الصحابة في درجة واحدة لفهم معاني القرآن، بل تفاوتت مراتبهم، تبعاً لتفاوتهم في فهم اللغة وإدراك أسرارها، وهذا يرجع إلى تفاوتهم في القوة العقلية، وما أحاط بالقرآن من ظروف وملابسات، وأكثر من هذا أنهم كانوا لا يتساوون في معرفة المعاني التي وضعت لها المفردات، فمن مفردات القرآن ما خفي معناه على بعض الصحابة، ولا ضير في هذا، فإن اللغة لا يحيط بها إلا معصوم، ولم يدع أحد أن كل فرد من أمة يعرف جميع ألفاظ لغتها<sup>(١)</sup>.

ومما يدل على تفاوت الصحابة في فهم القرآن الكريم، ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما: كنت لا أدري ما ﴿فاطر السماوات﴾ حتى أتاني أعرابيان يتخاصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، والآخر يقول: أنا ابتدأتها.

---

(١) تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي، ح ١ ص ٢١٠.

وما جاء عن عمر رضي الله عنه، أنه قرأ على المنبر: ﴿وفاكهة وأبا﴾ [عبس: ٣١]، فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأب؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو التكلف يا عمر<sup>(١)</sup>.

قال مسروق: جالست أصحاب محمد ﷺ فوجدتهم كالإخاذ - يعنى الغدير - فالإخاذ يروى الرجل، والإخاذ يروى الرجلين، والإخاذ يروى العشرة، والإخاذ يروى المائة، والإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم<sup>(٢)</sup>.

### مصادر تفسير الصحابة:

اعتمد الصحابة تفسيرهم للقرآن الكريم على أربعة مصادر:

### الأول: القرآن الكريم:

من خلال تفسير القرآن بالقرآن، ومنه قوله: ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات﴾ [البقرة: ٣٧]، فسرهما قوله تعالى: ﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ [الأعراف: ٢٣].

### الثاني: النبي ﷺ وما جاءت به السنة المطهرة:

فكانوا يرجعون إليه عندما يغمض عليهم شيء. فإن الرسول ﷺ بين الكثير من معاني القرآن لأصحابه، كما تشهد بذلك كتب الصحاح، ولم يبين كل معاني القرآن، لأن من القرآن ما استأثر الله تعالى بعلمه، ومنه ما يعلمه العلماء، ومنه ما تعلمه العرب من لغاتها، ومنه ما لا يعذر أحد في جهالته كما صرح بذلك ابن عباس.

ومن ذلك ما روي عن ابن مسعود قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ [الأنعام: ٨٢]، شق ذلك على الناس فقالوا: يا رسول الله؛ وأينا لا يظلم

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، باب من كره أن يفسر القرآن، ح ٦ ص ١٣٦.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان، ح ٥ ص ٥.

نفسه؟ قال: إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: إن الشرك لظلم عظيم؟ إنما هو الشرك<sup>(١)</sup>.

### الثالث: الاجتهاد وقوة الاستنباط:

وهو مما امتاز به عدد كبير من الأصحاب. وساعدهم على ذلك:

١. معرفة أوضاع اللغة وأسرارها.
٢. معرفة عادات العرب.
٣. معرفة أحوال اليهود والنصارى في الجزيرة وقت نزول القرآن.
٤. قوة الفهم، وسعة الإدراك.

### الرابع: أهل الكتاب اليهود والنصارى:

خاصة فيما يتعلق بالأمم السابقة وقصص الأنبياء، والتي جاء معظمها مجملًا من غير تفصيل في القرآن الكريم، مما دفع الفضول عند الصحابة لمعرفة المزيد مما جاء عن ذلك في التوراة أو الإنجيل، خاصة مع دخول بعض علمائهم الإسلام، كعبد الله بن سلام رضي الله عنه.

غير أن الصحابة كانوا منضبطين في الأخذ عن بني إسرائيل، مراعين العقيدة وضوابطها، وما يمكن أخذه وما لا يمكن أخذه عنهم.

### مميزات التفسير في عهد الصحابة:

امتاز التفسير في عهد الصحابة رضي الله عنهم بما يأتي:

١. لم يفسر القرآن جميعه، وإنما فسر بعض منه.
٢. قلة الاختلاف بينهم في فهم معانيه.

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾.

٣. الاكتفاء بالمعنى الإجمالي دون التفصيل.

٤. قلة الاستنباطات الفقهية.

٥. عدم تدوين التفسير. بل نقل كما نقل الحديث الشريف.

### المفسرون من الصحابة:

ذكر السيوطي أشهر مفسري القرآن من الصحابة، فقال: اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة: الخلفاء الأربعة، وابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير<sup>(١)</sup>.

١. الخلفاء الراشدون: أما الخلفاء فأكثر من روي عنه منهم علي بن أبي طالب، والرواية عن الثلاثة نزره جداً، وكان السبب في ذلك تقدم وفاتهم كما أن ذلك هو السبب في قلة رواية أبي بكر رضي الله عنه للحديث ولا أحفظ عن أبي بكر رضي الله عنه في التفسير إلا آثاراً قليلة جداً لا تكاد تجاوز العشرة، وأما علي فروي عنه الكثير. وقد روى معمر عن وهب بن عبد الله عن أبي الطفيل قال: شهدت علياً يخطب وهو يقول: سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم وسلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل.

٢. عبد الله بن مسعود: فروي عنه أكثر مما روى عن علي وقد أخرج ابن جرير وغيره عنه أنه قال: والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين؟ نزلت ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تتاله المطايا لأتيته.

٣. عبد الله بن عباس: فهو ترجمان القرآن الذي دعا له النبي ﷺ: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل. ومن أشهر طرق النقل عنه، طريق الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس، وتعد هذه الطريق من السلاسل الذهبية. وكذلك طريق معاوية

(١) ينظر: الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ح ٤ ص ٢٣٣.

بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس. أما طريق محمد بن السائب الكلبى عن أبي صالح عن ابن عباس، فهي أوهى الطرق. فإن انضم إلى ذلك - أى طريق الكلبى - رواية محمد بن مروان السدى الصغير، فهي سلسلة الكذب.

٤. أبي بن كعب: من أعلم الصحابة بالقرآن، قال بن عباس: ما حدثني أحد قط حديثاً فاستفهمته، فلقد كنت آتي باب أبي بن كعب، وهو نائم، فأقيل على بابه، ولو علم بمكاني لأحب أن يوقظ لمكاني من رسول الله ﷺ، ولكنني أكره أن أمله. كان أبي يكتب في مصحفه أشياء ليست من القرآن الكريم مما يعد شرحاً، أو تفسيراً، أو سبباً لنزول، أو مما نسخ، وكان يقول: لا أدع شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ. ومن أشهر طرق النقل عنه، طريق أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي، وهي طريق صحيحة.

### حكم تفسير الصحابة:

ينقسم تفسير الصحابة إلى قسمين:

#### القسم الأول: ما له حكم المرفوع:

وهو مما ليس للرأي فيه حكم، كأسباب النزول، والغيبيات. وحكمه وجوب العمل به، لأنه الرواية عن رسول الله ﷺ

#### القسم الثاني: اجتهاد الصحابة:

أي الموقوف عليهم ولم يسند إلى النبي ﷺ، وحكمه عند أكثر المفسرين وجوب العمل به، خاصة إذا أجمع عليه الأصحاب، أو لم يكن هناك مخالف منهم، أو التخير بين أقوالهم إذا اختلفوا، ولا يجوز الخروج بقول ثالث، ما لم يكن غير معارض أو من النوازل. قال الزركشي: فإن تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع إلى النبي ﷺ كما قاله الحاكم في تفسيره، وقال أبو الخطاب من الحنابلة: يحتمل ألا يرجع إليه إذا قلنا إن قوله ليس بحجة، والصواب الأول لأنه من باب الرواية لا الرأي.

وقال أيضاً: ينظر في تفسير الصحابي، فإن فسره من حيث اللغة فهم أهل اللسان فلا شك في اعتمادهم، وإن فسره بما شاهده من الأسباب والقرائن فلا شك فيه، وحينئذ إن تعارضت أقوال جماعة من الصحابة فإن أمكن الجمع فذاك، وإن تعذر قدم ابن عباس لأن النبي ﷺ بشره بذلك حيث قال: اللهم علمه التأويل. وقد رجح الشافعي قول زيد في الفرائض لقوله ﷺ: أفرضكم زيد، فإن تعذر الجمع جاز للمقلد أن يأخذ بأيها شاء<sup>(١)</sup>.

### المرحلة الثانية: التفسير في عهد التابعين:

تبدأ هذه المرحلة بوفاة النبي ﷺ وتنتهي ببدأ عصر تدوين التفسير بشكل مستقل، وذلك في أواخر عهد بني أمية، وأول عهد للعباسيين.

وتتداخل مع المرحلة التي قبلها بفترة حياة الصحابة مع التابعين بعد وفاة النبي ﷺ. وتتداخل مع المرحلة التي بعدها بتدوين الروايات التفسيرية مع الحديث الشريف كباب من أبوابه.

### مدارس تفسير الصحابة في عهد التابعين:

لم تخرج مصادر تفسير التابعين عن مصادر الصحابة رضي الله عنهم، سوى أنهم لم يأخذوا بشكل مباشر عن النبي ﷺ، فالتابعون تلامذة الصحابة.

فاحتاج المشتغلون بالتفسير من التابعين إلى أن يفسروا ما لم يفسر فيما سبق، فزادوا في التفسير بمقدار ما زاد من غموض، فأتموا تفسير القرآن تبعاً، معتمدين على القرآن الكريم الذي يفسر بعضه بعضاً، وعلى ما صح لديهم من نقل عن النبي ﷺ وأصحابه، وعلى ما عرفوه من لغة العرب، وغير هذا من أدوات الفهم ووسائل البحث.

### ومن أشهر مدارس الصحابة في عصر التابعين:

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج ٢ ص ١٥٧ وص ١٧٢.

### ١. مدرسة مكة المكرمة:

وتقوم على الصحابي الجليل ابن عباس، ومن أشهر تلامذته: سعيد بن جبير ومجاهد بن جبر، وعكرمة، وطاووس بن كيسان اليماني، وعطاء بن أبي رباح.

### ٢. مدرسة المدينة المنورة:

وتقوم على الصحابي الجليل أبي بن كعب، ومن أشهر تلامذته: أبو العالية، ومحمد بن كعب القرظي، وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن.

### ٣. مدرسة العراق في الكوفة:

وتقوم على الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود، ومن أشهر تلامذته: علقمة بن الأسود، ومسروق بن الأجدع، وعامر الشعبي، والحسن البصري، قتادة السدوسي.

### مميزات التفسير في عهد التابعين:

امتاز التفسير في عهد التابعين رضي الله عنهم بما يأتي:

١. دخول الإسرائيليات بشكل واسع، وذلك لدخول عدد كبير من أهل الكتاب في الإسلام.

٢. نقل التفسير بشكل الروايات المأثورة وبأسانيدها.

٣. توسع الخلاف، وبدء ظهور الاختلافات المذهبية الفقهية والعقدية.

### حكم تفسير التابعين:

أما فيما نقلوه عن الصحابة عن النبي ﷺ، فهذا ليس من تفسيرهم، وحكمه حكم المنقول عن النبي ﷺ وأصحابه، كما سبق.

أما ما اجتهد به التابعون من تفسير، فيما لم ينقل عنه شيء عن قبلهم، فهو على قولين:

**الأول:** لا يجب الأخذ بتفسير التابعين، وهو رواية عن الإمام أحمد؛ لأنهم ليسوا كالصحابا في السماع عن النبي ﷺ، أو مشاهدتهم لقرائن النزول، أو حتى عدالتهم.

**الثاني:** يجب الأخذ من التفسير فيما لم ينقل فيه شيء عن الصحابة، فهم تلامذتهم وأخذوا عنهم طريقتهم في الفهم والتفسير، وهو رواية عن أحمد أيضاً، فقد جاء عن مجاهد أنه عرض القرآن على ابن عباس ثلاث مرات، يسأله عن كل آية، وقال قتادة: ما في القرآن آية إلا وسمعت فيها شيئاً<sup>(١)</sup>.

والحق أن تفسير التابعي فيما لم يرد منه شيء عن الصحابة، خاصة فيما أجمعوا عليه، أو لم يعرف له مخالف منهم، وجوب الأخذ به، أما إذا اختلفوا فلا يكون قول بعضهم على بعض حجة ولا على من بعدهم، ويرجح بين أقوالهم وفق قواعد الترجيح.

### **المرحلة الثالثة: التفسير في عهد التدوين والتصنيف:**

تبتدأ هذه المرحلة مع البدء بتدوين التفسير كعلم مستقل، وذلك في أواخر عهد بني أمية، وأول عهد للعباسيين. أما قبل ذلك فهي متداخلة مع المرحلة التي قبلها بتدوين الروايات التفسيرية مع الحديث الشريف كباب من أبوابه، وذلك في أواخر القرن الأول الهجري، وتستمر حتى بداية العصر الحديث.

ومن هنا يمكن أن نقسم هذه المرحلة إلى فترات:

### **الفترة الأولى: تدوين التفسير كباب من أبواب التفسير:**

فكان التفسير كأحد أبواب الفقه من الطهارة والصلاة والمعاملات وغيره. فلم يفرد للتفسير تصنيفاً مستقلاً أو كاملاً حتى، بل نقل ما تم نقله بأسانيد عن النبي ﷺ أو عن الصحابي أو عن التابعي، كروايات حديثية.

(١) ينظر: طبقات المفسرين، الداودي، ح ٢ ص ٤٣.



ومن أشهر من صنف في هذه الفترة: يزيد بن هارون السلمي المتوفى سنة ١١٧هـ، وشعبة بن الحجاج المتوفى سنة ١٦٠هـ، ووكيع بن الجراح المتوفى سنة ١٩٧هـ وسفيان بن عيينة المتوفى سنة ١٩٨هـ، وروح عن عبادة البصري المتوفى سنة ٢٠٥هـ، وعبد الرزاق بن همام المتوفى سنة ٢١١هـ، وآدم بن أبي إياس المتوفى سنة ٢٢٠هـ، وعبد بن حميد المتوفى سنة ٢٤٩هـ وغيرهم.

### الفترة الثانية: تدوين التفسير كعلم مستقل:

لم يعرف على وجه الدقة أول من أفرد تصنيفاً في التفسير، فقيل:

١. سعيد بن جبير رضى الله عنه جمع تفسير القرآن في كتاب، وأخذه من الكتاب عطاء بن دينار، ومعروف أن سعيد بن جبير قتل سنة ٩٤ هـ.

٢. عمرو بن عبيد شيخ المعتزلة، كتب تفسيراً للقرآن عن الحسن البصري، ومعلوم أن الحسن توفى سنة ١١٦ هـ.

٣. الفراء المتوفى سنة ٢٠٧ هـ.

٤. عبد الملك بن جريج المتوفى سنة ١٥٠ هـ. فقد نقل ابن تيمية، وابن خلكان، أنه أول من دون التفسير<sup>(١)</sup>.

وامتاز التفسير في هذه الفترة: النقل المأثور بالسند إلى قائله، ودخول الإسرائيليات للتفسير.

ومن أشهر من صنف هذه الفترة: ابن ماجه المتوفى سنة ٢٧٣هـ، وابن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ، وأبو بكر بن المنذر النيسابوري المتوفى سنة ٣١٨هـ، وابن أبي حاتم المتوفى سنة ٣٢٧هـ، وأبو الشيخ بن حبان المتوفى سنة ٣٦٩هـ، والحاكم المتوفى سنة ٤٠٥هـ، وأبو بكر بن مردويه المتوفى سنة ٤١٠هـ، وغيرهم.

(١) ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ح ٢٠ ص ٣٢٢. ووفيات الأعيان، ابن خلكان، ح ٢ ص ٣٣٨.

### الفترة الثالثة: التوسع في التفسير ودخول الرأي فيه بكثرة:

امتازت هذه الفترة: بكثرة التدوين للأثار المروية محذوفة الإسناد، وأحياناً دون عزو لقائلها، مما أثر سلباً في اختلاط الصحيح بالضعيف والمردود، فكثرت الوضع والتبس الصحيح بالعليل، وأصبح الناظر في هذه الكتب يظن أن كل ما فيها صحيح، فنقله كثير من المتأخرين في تفاسيرهم، وكثر القول بالرأي المحمود تارة والمذموم تارة أخرى، كما اتسع النقل من الإسرائيليات محذوفة الأسانيد<sup>(١)</sup>.

### الفترة الرابعة: التمدد في تدوين التفسير:

في هذه الفترة دونت علوم اللغة، ودون النحو الصرف، وتشعبت مذاهب الخلاف الفقهي، وأثيرت مسائل الكلام، وظهر التعصب المذهبي قائماً على قدمه وساقه في العصر العباسي، وقامت الفرق الإسلامية بنشر مذاهبها والدعوة إليها، وترجمت كتب كثيرة من كتب الفلاسفة، فامتزجت كل هذه العلوم وما يتعلق بها من أبحاث بالتفسير حتى طغت عليه، وغلب الجانب العقلي على الجانب النقلي، وصار أظهر شيء في هذه الكتب، هو الناحية العقلية، وإن كانت لا تخلو مع ذلك من منقول يتصل بأسباب النزول، أو بغير ذلك على المأثور.

وهكذا تدرج التفسير، واتجهت الكتب المؤلفة فيه اتجاهات متنوعة، وتحكمت الاصطلاحات العلمية، والعقائد المذهبية في عبارات القرآن الكريم، فظهرت آثار الثقافة الفلسفية والعلمية للمسلمين في تفسير القرآن، كما ظهرت آثار التصوف واضحة فيه، وكما ظهرت آثار النحل والأهواء فيه ظهوراً جلياً<sup>(٢)</sup>.

وفي هذه الفترة دونت أكثر مصنفات التفسير بالرأي، وتفسير الفقهاء المذهبية، وتفسير الفرق العقائدية، وتفسير الصوفية والإشارية والباطنية.

(١) ينظر: الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ح ٢ ص ١٩٠.

(٢) التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، ح ١ ص ١٠٩.

## المصنفات في المرحلة الثالثة بشكل عام:

### من أهم مصنفات التفسير بالمأثور:

١. جامع البيان في تفسير القرآن لشيخ المفسرين الطبري.
٢. بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي.
٣. الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي.
٤. معالم التنزيل للبعوي.
٥. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية.
٦. الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي.
٧. تفسير القرآن العظيم لابن كثير.
٨. الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي.

### من أهم مصنفات التفسير بالرأي المقبولة:

١. مفاتيح الغيب للفخر الرازي.
٢. مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي.
٣. لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن.
٤. البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي.
٥. تفسير الجلالين للمحلي والسيوطي.
٦. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود.
٧. أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي.
٨. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسي.

### من أهم مصنفات تفاسير المبتدعة:

١. الكشف للزمخشري بسبب ما فيه من اعتزال.
٢. مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار للكارزاني للإمامية الإثنا عشرية.
٣. تفسير الحسن العسكري من تفاسير الإمامية الإثنا عشرية.
٤. مجمع البيان لعلوم القرآن للطبرسي من تفاسير الإمامية الإثنا عشرية.

### من أهم مصنفات تفاسير الفقهاء:

١. أحكام القرآن للجصاص الحنفي.
٢. أحكام القرآن للكلبي الهراسي الشافعي.
٣. أحكام القرآن لابن عربي المالكي.
٤. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي المالكي.
٥. أحكام القرآن لأبي يعلى ابن الفراء الحنبلي.

### المرحلة الرابعة: التفسير في العهد الحديث والمعاصر:

تعد هذه المرحلة امتداداً للفترة الرابعة من المرحلة السابقة، والتي تستمر إلى وقتنا الحاضر.

مع دخول العصر الحديث، بدأ العمل بشكل مختلف عما كان عليه في العصور السابقة؛ فعمل الباحثون في التفسير على:

١. تنقية التفسير من القصص الإسرائيلي.
٢. التخلص من الاستطرادات العلمية غير الضرورية.
٣. تمحيص ما جاء في التفسير من أحاديث موضوعة أو ضعيفة.
٤. التوفيق بين القرآن وما جد من نظريات علمية صحيحة.

ثم راجت في عصرنا الحاضر تفسيرات يريد أهلها من ورائها أن يحملوا آيات القرآن كل العلوم، ما ظهر منها وما لم يظهر، كأن هذا فيما يبدو وجه من وجوه إعجاز القرآن

وصلاحيته لأن يتمشى مع الزمن. وفي الحق أن هذا غلو منهم، وإسراف يخرج القرآن عن مقصده الذي نزل من أجله، ويحيد به عن هدفه الذي يرمى إليه<sup>(١)</sup>.

### وأهم الأعمال في هذا العصر:

#### من أهم مصنفات التفسير العلمي:

١. كشف الأسرار النورانية فيما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية، لمحمد بن أحمد الإسكندراني.
٢. إعجاز القرآن لمصطفى صادق الرافعي.
٣. الإسلام والطب والحديث. لعبد العزيز إسماعيل.

#### من أهم مصنفات التفسير المذهبي:

١. بيان السعادة في مقامات العبادة للخراساني وهو إمامي إثنا عشري.
٢. آلاء الرحمن في تفسير القرآن لمحمد جواد النجفي وهو إمامي إثنا عشري.
٣. هميان الزاد إلى دار المعاد لمحمد يوسف أطفيش إباضي.
٤. رسائل أبي الفضائل الجرفادقاني البهائي.

#### من أهم مصنفات التفسير الأدبي:

١. تفسير جزء (عم) للشيخ محمد عبده.
٢. تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار لمحمد رشيد رضا.
٣. تفسير المراغي وهو دروس ألقاها في المساجد.

---

(١) التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، ح ١ ص ١٠٩-١١٠.



## الفصل الثالث

### ضوابط العمل في التفسير عند المفسرين

المبحث الأول: المعرفة التامة بعلوم القرآن

المبحث الثاني: مراعاة تفسير السنة للنصوص القرآنية

المبحث الثالث: الإلمام التام بلغة العرب

المبحث الرابع: معرفة مقاصد الشريعة ومقاصد القرآن

المبحث الخامس: معرفة مناهج المفسرين المعاصرة





## الفصل الثالث

### ضوابط العمل في التفسير عند المفسرين

من خلال البحث والاستقراء، فإنه يجب على المفسر أن يتحلى بالعلوم الآتية، كضوابط للعمل في التفسير:

١. المعرفة التامة بعلوم القرآن.
  ٢. مراعاة تفسير السنة للنصوص القرآنية.
  ٣. الإلمام التام بلغة العرب.
  ٤. معرفة مقاصد الشريعة ومقاصد القرآن.
  ٥. معرفة مناهج المفسرين المعاصرة.
- وسأشرع ببيان كل ضابط على حده:

## المبحث الأول

### المعرفة التامة بعلوم القرآن

**تعريف علوم القرآن باعتباره علماً من العلوم:**

لم يضع علماء التفسير قديماً تعريفاً مستقلاً جامعاً لهذا العلم بهذا الاعتبار، وإن وجد بعض ما يدل على ذلك في بعض كتب التفسير المتضمنة لبعض مواضيع علوم القرآن، وغيرها من الكتب التي تعنى بالقرآن الكريم وعلومه.

إلا أن المتأخرين منهم وضعوا تعاريف متقاربة لهذا المفهوم، جاعلين "علوم القرآن" اسم علم يراد به معنى خاص يدل على علم خاص يختص بأنه علم واحد يجمع ضوابط تلك العلوم المتصلة بالقرآن من ناحية كلية عامة، ومن هذه التعاريف:

١. علوم القرآن: مجموعة من المسائل يُبَحَثُ فيها عن أصول القرآن الكريم، من حيث نزوله وأداؤه وكتابته وجمعه وترتيبه في المصاحف، وتفسير ألفاظه، وبيان خصائصه وأغراضه<sup>(١)</sup>.

٢. علوم القرآن: هو مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله، وترتيبه، وجمعه، وكتابته، وقراءته، وتفسيره، وإعجازه، وناسخه ومنسوخه، ودفع الشبه عنه، ونحو ذلك<sup>(٢)</sup>. من الملاحظ في هذين التعريفين سنجد أنها لا تزيد عن ذكر بعض أجزاء العلوم المرتبطة بالقرآن، ولذلك أطال بعضهم في ذكرها وأقصر البعض الآخر، ثم إن كل بحث من هذه الأبحاث عبارة عن علم مستقل بذاته، أفردت له المصنفات، قديماً وحديثاً، كعلم القراءات، وأسباب النزول، وغيرها، ولعل هذا السبب الذي جعل بعض العلماء قديماً لا يعدون مجموع هذه العلوم؛ علماً مستقلاً يسمى بـ "علوم القرآن"، بل لكل علم خصوصيته كسائر العلوم.

ومن هنا إذا أردت أن أضع تعريفاً يدل على هذا المصطلح، فهو: **علم يبحث في العلوم الكلية المتصلة بالقرآن الكريم اتصالاً مباشراً.**

والقيد: (اتصالاً مباشراً)، من أجل إخراج العلوم الأخرى التي لا صلة مباشرة لها بالقرآن الكريم إذ إن جميع العلوم مرتبطة بالقرآن الكريم بشكل أو بآخر؛ كعلم الفقه وأصوله والعقيدة ومباحثها، وعلوم اللغة ومتعلقاتها، وعلوم التزكية والأخلاق، وغيرها رغم استمدادها جميعها من القرآن الكريم، لكنها لا تُعدُّ من العلوم التي يبحثها هذا العلم.

والذي دعاني لجعل هذا العلم من ضوابط التفسير، بل أولها، لأنه الميزان الذي يستعين به المفسر على فهم كلام الله عز وجل، فبه يميز المفسر بين مختلف الأقوال، وإزالة الإشكالات، ودحض الشبهات، وإبراز الإعجاز، والأحكام، وإظهار القرآن بمظهر

(١) مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، ص ١٠.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، ح ١ ص ٢٠.

متناسب ومفاهيم الناس والثقافات والمعتقدات على مر العصور والأزمان، فلا يمكن لمن أراد أن يخوض بحور التفسير أن يكون بعيداً عن هذا العلم، فهو كالهواء لحياة الإنسان.

## نشأة هذا العلم وتطوره:

### ١. في عصر النبوة والخلفاء الراشدين:

وهو عصر نزول القرآن، ولذلك علم الصحابة رضي الله عنهم، أكثر علوم القرآن إما معاصرة لها أو تفسيراً من النبي ﷺ، فقد أدركوا معاني الألفاظ بفطرتهم العربية الأصلية، وعاصروا تدرج نزول القرآن، وعلموا أحرفه وقراءته من النبي ﷺ، حتى إذا اختلفوا منها في شيء رده إلى رسول الله ﷺ، وكذلك علموا مكان وسبب نزول كل آية من آيات التنزيل الحكيم، وهذا كله من علوم القرآن، حتى إذا كثرت الفتوحات بعد انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى، واختلف بعض الناس في شيء من القرآن الكريم؛ قام عثمان رضي الله عنه فجمعهم على مصحف واحد، مرسوم بدقة، عرف فيما بعد بالرسم العثماني، لكن هذا لم يبلغ عند من بقي من الصحابة رضي الله عنهم ما علموه من علوم القرآن المختلفة التي نقلوها إلى التابعين<sup>(١)</sup>.

### ٢. علوم القرآن بعد عصر الخلفاء الراشدين:

بعد عصر الخلفاء الراشدين مباشرة، نُقط المصحف وشُكل<sup>(٢)</sup> وُضبط صيانة للنطق، فكانت هذه بداية لإعراب القرآن، وقد اشتهر من التابعين في دراسة القرآن، مجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، غير أن مؤلفاتهم لم تستقل كثيراً عن التفسير إلا في بعض المؤلفات، فكان الغالب في ذلك العصر الرواية

(١) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص ٩.

(٢) قيل: إن أبا الأسود الدؤلي أول من نقط القرآن، وقيل: نصر بن عاصم الليثي، وقيل: يحيى بن يعمر، والعلماء يرجحون أبا الأسود الدؤلي، وأن الخليل بن أحمد الفراهيدي هو الذي جعل الهمز والتشديد والروم والإشمام. البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ح ١ ص ٤٥٩.

والنقل، ثم تتالت بعد ذلك المؤلفات الخاصة في علوم القرآن المختلفة؛ في القراءات، والناسخ والمنسوخ، وإعراب القرآن، والتفاسير المختلفة التي ضمت بين طياتها أبحاثاً من علوم القرآن، كتفسير الطبري، ومن بعده ابن الجوزي في "فنون الأفتان في عيون علوم القرآن"، ومن بعده السخاوي في "جمال القرآن وكمال الإقراء"، ثم جاء الطوفي فألف "الإكسير في علوم التفسير" حتى جاء الزركشي فألف "البرهان في علوم القرآن" الذي يعتبر من أشهر ما ألف في هذا الفن، والذي كان أساساً لمن بعده كجلال الدين البلقيني في "مواقع العلوم من مواقع النجوم" والسيوطي في "التحبير في علوم التفسير" و"الإتقان في علوم القرآن"، وغيرها كثير جداً لا يمكن حصره.

### ٣. علوم القرآن في العصر الحديث:

ضعف التأليف بعد عصر السيوطي، حتى بدايات العصر الحديث؛ الذي ظهر فيه كثير من المؤلفات المهمة في هذا الفن، منها:

١. التبيان في علوم القرآن، للشيخ طاهر الجزائري.

٢. مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد بن عبد العظيم الزرقاني.

٣. مباحث في علوم القرآن، لصبحي الصالح.

٤. مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان.

٥. المدخل إلى دراسة القرآن الكريم، للشيخ محمد أبو شهبه.

بالإضافة إلى عدد كبير من الكتب المؤلفة من أحد فروع هذا الفن، من العلوم المستقلة؛ "كالوحي المحمدي" لمحمد رشيد رضا، و"التصوير الفني" لسيد قطب، و"رسم المصحف" لعبد الفتاح إسماعيل شلبي، وغيرهم كثير. غير أن الكثيرين ممن كتبوا في هذه العلوم مالوا إلى النقل عن القدماء، فكانت مؤلفاتهم مائلة إلى الإعداد والترتيب أكثر منها إلى التأليف وقد تميزت بما يلي:

١. مناقشتها لبعض الموضوعات وإشباعها بالدراسة والتحليل<sup>(١)</sup>.

٢. لم يتطرق أحد من المعاصرين إلى إيجاد موسوعة في علوم القرآن على غرار ما فعل الزركشي في " البرهان " أو السيوطي في " الإتيقان " .

٣. أكثرها ناقش شبهات المستشرقين، ورد عليها.

### أهمية العلم بأسباب النزول:

ليس المقصود من هذا المطلب الدراسة التأصيلية لأسباب النزول، والوقوف على تعريفه وأنواعه، وما يختص به من مواضيع، فقد سبق وتحدثت عن ذلك، لكن المراد هنا تحقيق مدى أهمية هذا العلم بالنسبة لمن يفسر القرآن الكريم، والفائدة المرجوة من معرفة أسباب النزول. وهو من أهم مباحث علوم القرآن المرتبطة بالتفسير.

إذا أمعنا النظر لوجدنا أن هذا العلم لا يقتصر على معرفة بعض الأحداث التاريخية المرتبطة بنزول الوحي الإلهي، بل إن العلوم الشرعية وحدة متماسكة، فهذا العلم، كسائر العلوم الإسلامية يخدم بعضها بعضاً، ويربط بعضها ببعض، فهو مرتبط بالتفسير، وأصول الفقه، وعلم الاختلاف.

يقول الزركشي: وأخطأ من زعم أنه لا طائل تحته لجريانه مجرى التاريخ، وليس كذلك، بل له فوائد<sup>(٢)</sup>.

ومن أهم فوائد هذا العلم بالنسبة للمفسر<sup>(٣)</sup>:

---

(١) كما فعل خالد السبب في دراسة وتحليل كتاب الشيخ الزرقاني "مناهل العرفان في علوم القرآن". وكما فعل عماد الدين الرشيد في "أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص". وناديا العمري في "النسخ في دراسات الأصوليين"، ورزق الطويل في "علوم القراءات"، وغيرهم.

(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ح ١، ص ٢٢.

(٣) ذكر السيوطي عدداً من الفوائد لهذا العلم، كما ذكر بعضاً من أقوال السابقين في أهمية أسباب النزول، يُحْسُنُ الرجوع إليها. الإتيقان في علوم القرآن، السيوطي، ح ١ ص ٧١-٧٢.

بالإضافة إلى ما سبق ذكره من فوائد معرفة أسباب النزول، عندما تكلمنا عن أسباب النزول، نذكر هنا ما يفيد المفسر أيضاً:

١. يجسد سبب النزول الحكمة من التشريع في صورة واقعية، يمكن للمفسر أن يجعلها أمامه أداة للقياس، ويحمل بين طياته تفصيلاً للأحداث التي تتحدث عنها الآية وتحليلاً للملابسات التي أحاطت بالآيات القرآنية، والتي استدعت إلى نزولها وتشريعها، فالنص الذي تجده في المصحف لا يتجاوز الآية أو أكثر بقليل، يحكي قصة مفصلة في سبب النزول يغفل عنها من لم يطلع عليه.

ومن ذلك ما جاء في سبب نزول قوله تعالى<sup>(١)</sup>: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم﴾ [آل عمران: ٧٧]، قال الأشعب بن قيس: فيّ والله نزلت؛ كان بيني وبين رجل من اليهود أرض فجددني، فقدمته إلى النبي ﷺ فقال: ألك بينة؟ قلت: لا. فقال لليهودي: أتحلف؟ فقلت: يا رسول الله إذن يحلف فيذهب بمالي، فأنزل الله هذه الآية. ثم قال النبي ﷺ: من حلف على يمين وهو فيها فاجر ليقطع بها مالاً لقي الله وهو عليه غضبان<sup>(٢)</sup>.

فانظر الحكمة العظيمة الجلية في سبب نزول هذه الآية، وكيف بيّن الحديث الشريف معان سامية للآية.

٢. يُساعد سبب نزول على الفهم الصحيح للنص القرآني: فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب، ولهذا كان أصح قولي الفقهاء أنه إذا لم يعرف ما نواه الحالف؛ رجع إلى سبب يمينه<sup>(٣)</sup>.

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي، ص ١١٢.

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب المساقاة، باب الخصومة في البئر والقضاء فيها.

(٣) مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، ص ٤٧.

فسبب النزول هو الواقعة التي بسببها نزل النص، وبالتالي فإن فهم ما في النص حتماً يعود إلى ما في الواقعة، حتى وإن قلنا بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فإن للحدث عند المفسر أهمية كبرى في بيان الأحكام التي من أجلها نزلت الآيات. وعندما يعود المفسر والفقهاء في أثناء دراسته النص القرآني إلى سبب نزوله، فإنه سيجد أنه في كثير من الأحيان يقع بينهما تأزر معنوي إلى درجة التكامل، فضلاً عن إثراء سبب النزول لمعنى النص القرآني ولو كان واضحاً، مما يعين على فهمه فهماً صحيحاً<sup>(١)</sup>.

فإذا أمعنت النظر في قوله تعالى: ﴿وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ [البقرة: ١٩٥]، والآية تتحدث عن الإنفاق في سبيل الله، لكن ما معنى التهلكة بعدها؟ لنترك بيان ذلك إلى سبب النزول، وسنجد فرقاً كبيراً بين ما يتبادر إلى الذهن، وبين حقيقة المعنى الذي نزلت من أجله الآية.

وملخص القصة؛ أن رجلاً من المسلمين دخل في صف من صفوف الروم في القتال وحده، فصاح الناس: إنه يلقي بنفسه إلى التهلكة؟! فقام أبو أيوب الأنصاري فقال: أيها الناس إنكم لتأولون هذه الآية هذا التأويل، وإنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما أعز الله الإسلام، فقال بعضنا سراً دون رسول الله ﷺ: إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله قد أعز الإسلام، فلو قمنا إلى أموالنا فأصلحناها، فنزلت<sup>(٢)</sup>.

إذن: فالتهلكة ليس كما ظنها أولئك الناس، مع قرب عهدهم بالصحابة رضي الله عنهم، بل التهلكة هي: الإقامة على صلاح الأموال وترك الجهاد في سبيل الله.

**٣.** سبب النزول يزِيل ما يوهَم الإشكال في ظاهر النص: فالنصوص ليست كلها محكمة لا تحتل إلا معنى واحداً، بل فيها من التشابه الذي يحمل أكثر من معنى، فإن سبب النزول يزِيل عند المفسر هذا الإشكال، فقد جاء في سبب نزول قول الله تعالى: ﴿لا

(١) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، ح ١ ص ٢٤.

(٢) أخرجه الترمذي في السنن، باب التفسير. وقال حسن صحيح غريب.

تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم ﴿آل عمران: ١٨٨﴾، قال ابن عباس: مالكم ولهذه الآية، إنما دعا النبي ﷺ يهوداً وسألهم عن شيء فكتموه إياه، وأخبروه بغيره، فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم<sup>(١)</sup>. وكان جواب ابن عباس للسائل الذي بعثه مروان بن الحكم إليه فقال: لئن كان كل امرئ بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً لنعذب أجمعون؟ فكان سبب النزول هو الجواب الشافعي؛ الذي أزال إشكال ظاهر النص.

٤. سبب النزول يفيد في إدراك بلاغة القرآن الكريم، وحسن بيانه:

يقول ابن عاشور: ومنها ما ينبه المفسر إلى إدراك خصوصيات بلاغية تتبع مقتضى المقامات، فإن من أسباب النزول ما يعين على تصوير مقام الكلام<sup>(٢)</sup>.

٥. سبب النزول يفيد في بعض مسائل الأصول كالحصر مثلاً، أو التخصيص، أو العموم، وغير ذلك<sup>(٣)</sup>.

يقول السيوطي: ومنها، أي الفوائد: دفع توهم الحصر، قال الشافعي في قوله تعالى: ﴿قل لا أجد في ما أوحى إلي محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقاً أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم﴾ [الأنعام: ١٤٥]، إن الكفار لما حرموا ما أحل الله، وأحلوا ما حرم الله، جاءت الآية مناقضة لغرضهم، فكأنه قال: لا حرام إلا ما أحلتموه من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به، ولم يقصد حل ما وراءه، إذ القصد إثبات التحريم لا إثبات الحل<sup>(٤)</sup>.

(١) أسباب النزول، السيوطي، ص ٦٨.

(٢) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ح ١ ص ٤٧. والمواقفات، ح ٣ ص ٣٥٨.

(٣) ينظر: الأمثلة في: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ح ١ ص ٤٧.

(٤) الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ح ١ ص ٧٣.



٦. سبب النزول يدل على معرفة اسم المعين في الآية، ورفع الإبهام، ومن ذلك ما نزل من سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَاذِيهِ أَفْ لَكَمَا أَتَعَدَّانِي أَنْ أَخْرَجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهَذَا يُسْتَعِيثَانِ اللَّهُ بِكَ آمَنَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأحقاف: ١٧]؛ فقيل إنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وقال لأبويه وكانا قد أسلما وأبى هو أن يسلم، فكانا يأمرانه بالإسلام فيرد عليهما ويكذبهما، ويقول: فأين فلان، وأين فلان، يعني مشايخ قريش ممن قد مات، ثم أسلم وحسن إسلامه. إلا أن عائشة ردت القصة، ونفت أن يكون المقصود أباها، وذلك عندما رفض مبايعة مروان ابن الحكم، فقال: أليس هو من نزل به كذا وكذا، فلما بلغ قوله عائشة نفت ذلك، وقال الحافظ ابن حجر: ونفي عائشة أصح إسناداً وأولى بالقبول<sup>(١)</sup>.

هذا وإن معرفة أسباب النزول بسيطة جداً، ليس فيها مزيداً من الجهد والتعب، إذ هي مما نقل عن الصحابة رضي الله عنهم، ولا اجتهاد في استنباطها، فيمكن للباحث عنها أن يرجع إلى مصادرها المعروفة، ليستقي ما يفيد منها في أبحاثه.

### أهمية العلم بمكان وتاريخ النزول:

إن معرفة أماكن نزول الوحي الإلهي، ومراعاة البعد الزمني للآيات القرآنية، والتيقن من تواريخ نزولها<sup>(٢)</sup>، له أثره البالغ في صحة تفسير القرآن الكريم، ومن هنا جاءت العناية بهذا الباب من العلم، ومن هنا وُضِعَ هذا البند في ضوابط التفسير، فمن الضروري ترتيب الآيات المنتقاة في الموضوع الواحد؛ حسب تاريخ النزول، وتزداد حاجة المفسر إلى العلم بتاريخ نزول النصوص القرآنية، عند تعارض بعض الآيات في الموضوع الواحد.

ومما لا يخفى على الباحث في التفسير أهمية معرفة الأحوال التي احتفت بنزول القرآن في فهمه وتفسيره، حتى صرحوا بأنه لا يحل لمن ابتعد عن علمها أن يتكلم في تفسير القرآن الكريم.

(١) أسباب النزول، السيوطي، ص ٢٣٣.

(٢) وهو ما يعرف عند العلماء بالمكي والمدني، وقد سبق الكلام عنه مفصلاً.

قال أبو القاسم النيسابوري: من أشرف علوم القرآن: علم نزوله، وجهاته، وترتيب ما نزل بمكة ابتداءً ووسطاً وانتهاءً، ثم ما نزل بمكة وحكمه مدني، وما نزل بالمدينة وحكمه مكّي، وما نزل بمكة في أهل المدينة، وما نزل بالمدينة في أهل مكة، ثم ما يشبه نزول المكّي في المدني، وما يشبه نزول المدني في المكّي، ثم ما نزل بالجحفة، وما نزل ببيت المقدس، وما نزل بالطائف، وما نزل في الحديبية، ثم ما نزل ليلاً، وما نزل نهاراً، وما نزل مشيئاً، وما نزل مفرداً، ثم الآيات المدنيات في السور المكّية، والآيات المكّية في السور المدنية، ثم ما حمل من مكة إلى المدينة، وما حمل من المدينة إلى مكة، وما حمل من المدينة إلى أرض الحبشة، ثم ما نزل مجملاً، وما نزل مفسراً، وما نزل مرموزاً، ثم ما اختلفوا فيه، فقال بعضهم مدني، وبعضهم: مكّي، هذه خمسة وعشرون وجهاً؛ من لم يعرفها ويميز بينها لم يحل له أن يتكلم في كتاب الله تعالى<sup>(١)</sup>.

**وسأوضح أهمية هذا العلم من ناحيتين:**

### **الأولى: التدرج في التشريع:**

وهو من أبرز سمات التشريع الإسلامي، ذلك أن القرآن نزل على قوم لم يسبق لهم التدين، فكان لا بد من مراعاة حالهم، وتهينة نفوسهم، لأن ذلك أقرب إلى استجابتهم، كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: إنما نزل أول ما نزل من القرآن سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنى أبداً<sup>(٢)</sup>.

وأكد هذا المعنى الشاطبي، فقال: ومن هنا كان نزول القرآن نجوماً في عشرين سنة، ووردت الأحكام التكليفية، ولم تنزل دفعة واحدة، وذلك لئلا تنفر عنها النفوس دفعة واحدة<sup>(٣)</sup>. ولذا فإنه يجب على المفسر أن ينتبه إلى هذه الحكمة في التدرج، فنزول القرآن

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ح ١، ص ٢٤٨. والإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ح ١ ص ٣١.

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن.

(٣) الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، ح ٢ ص ٧١.

على مدى سنوات طويلة مفرقاً، حسب الحوادث والمناسبات...، فمن لم يسلك طريق التدقيق والتمحيص والموازنة والمقارنة ومعرفة السابق واللاحق، فإنه سيقع في مزلق وأخطاء خطيرة وسيئة العواقب.

### الثانية: النسخ:

ليس الحديث هنا عن موضوع "النسخ" دراسةً أصولية، فقد سبق الحديث عنه، لكن ما يهمنا هنا هو فائدة معرفة تاريخ نزول الوحي الإلهي، فهو يفيد النسخ أو التخصص في بعض المسائل، وله أثر كبير في جودة التفسير وذلك من خلال ما يلي:

١. إن معرفة تاريخ النزول يؤكد صحة القول بالنسخ من خلال النظر في الآيات التي قال عنها العلماء أنها منسوخة، فالسابق منسوخ، واللاحق هو الناسخ، وبالتالي فإن المفسر لن يخطئ ويستخرج حكماً من آيات منسوخة؛ لأنه عالم بنسخها، فإن جهل ذلك أخطأ خطأ ظاهراً، وتكلم في القرآن بغير علم.

يقول القرطبي: ومعرفة هذا الباب أكيدة، وفائدته عظيمة، لا يستغني عن معرفته العلماء، ولا ينكره إلا الجهلة الأغبياء؛ لما يترتب عليه من النوازل في الأحكام، ومعرفة الحلال من الحرام<sup>(١)</sup>.

٢. إن الآيات المنسوخة لا يعني عدم الاهتمام بها وإهمالها، بل لا بد من ذكرها وبيان أنها كانت يوماً ما مرحلة من مراحل التشريع، وأنها اليوم منسوخة لحكمة بالغة من المشرع سبحانه وتعالى، ولا سيما بعد أن يذكر ما نسخها من آيات، وهذا يُعزِّفنا على طريقة القرآن في تنشئة الأمة وتربيتها، وفي ذلك دروسٌ لعلماء الأمة للسير بالأمة في الاتجاه الصحيح.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ح ٢ ص ٤٣.

## المبحث الثاني

### مراجعة تفسير السنة للنصوص القرآنية

#### مفهوم السنة وأنواعها وحجيتها:

يختلف معناها عند العلماء، فهي عند الفقهاء: ما نقل عن النبي ﷺ من نوافل، وعبادات غير واجبة<sup>(١)</sup>، كما يطلق لفظ السنة مقابل البدعة، فيقال: فلان على سنة إذا عمل على وفق عمل النبي ﷺ، سواء ذلك مما نص عليه القرآن أو لا، ويقال: فلان على بدعة، إذا عمل خلاف ذلك.

وهي عند الأصوليين: كل ما صدر عن النبي ﷺ، غير القرآن، من قول أو فعل أو تقرير، وعَبَّرَ عنه الشاطبي بقوله: يطلق لفظ السنة على ما جاء منقولاً عن النبي ﷺ على الخصوص، مما لم ينص عليه في الكتاب العزيز، بل إنما نص عليه من جهته عليه الصلاة والسلام، كان بياناً لما في الكتاب أو لا<sup>(٢)</sup>.

#### أما أنواعها فثلاثة أنواع:

١. السنة القولية: وهي مختلف أقوال النبي ﷺ الواردة إلينا.
٢. السنة الفعلية: وهي أفعاله ﷺ غير الخاصة به.
٣. السنة التقريرية: وهي ما أقره النبي ﷺ صراحة، أو سكت عن إنكاره بعد أن صدر أمامه، أو حدث في عصره وعلم به، أو ظهر منه ما يدل على استحسانه.

#### أما من حيث السند فهي قسمان<sup>(٣)</sup>: سنة متواترة وآحاد:

---

(١) الوجيز في أصول الفقه، عبد الكريم زيدان، ص ١٦١.  
(٢) الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، ح ٤ ص ٥، وتطبق أيضاً على فعل الصحابة رضي الله عنهم، على أنها اتباع لفعل النبي ﷺ، أو اجتهاداً مجمعاً عليه.  
(٣) الوجيز في أصول الفقه، وهبة الزحيلي، ص ٣٦.

**فأما المتواترة:** فهي ما رواها عن النبي ﷺ جمع يمتنع في العادة تواطؤهم على الكذب، وحكمها إفادة العلم اليقيني، فيكفر جاحداها.

**وأما الآحاد:** فهو ما روي عن النبي ﷺ ولم يبلغ حد التواتر، فتفيد الظن لا اليقين مع وجوب العمل بها.

واتفق العلماء أن السنة واجبة الاتباع كالقرآن في استنباط الأحكام الشرعية، وقد استدل العلماء على ذلك بأدلة من القرآن والإجماع والمعقول<sup>(١)</sup>.

١. أما من القرآن: فهي كثيرة جداً؛ منها قوله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾ [الحشر: ٧].

٢. ومن إجماع الصحابة: لم يخالف الصحابة سنته ﷺ قولاً ولا فعلاً.

٣. أما من المعقول: فإنه لا يمكن العمل في كثير من آيات الوحي الإلهي إلا ببيان من السنة، كما في قوله تعالى: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين﴾ [البقرة: ٤٣]، فبيان ذلك في السنة حتماً يقضي بذلك العقل السليم.

ولذلك فإن السنة هي مصدر التشريع الثاني بعد القرآن الكريم، على أن تأخر الرتبة في الاعتبار ليس إلا، أما من حيث العمل فهي مبينة وشارحة للقرآن.

وذلك من خلال الأحكام التي جاءت بها<sup>(٢)</sup>:

١. السنة مؤكدة للقرآن: فإن قوله ﷺ: استوصوا بالنساء خيراً<sup>(٣)</sup>، مؤكد لقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما

---

(١) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، الشوكاني، ص ٥٧. والإحكام في أصول الأحكام، الأمدى، ح ١ ص ٨٥ وما بعدها.

(٢) الوجيز في أصول الفقه، عبد الكريم زيدان، ص ١٧٦.

(٣) أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء.

أتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تکرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ﴿ [النساء: ١٩].

٢. السنة مبينة للقرآن:

أ- بيان مجمله: كبيان كيفية العبادات، الصلاة، الحج... .

ب- مخصصة لعام القرآن: كحديث: لا تتكح المرأة على عمتها ولا على خالتها ولا على ابنة أخيها ولا على ابنة أختها<sup>(١)</sup>؛ فإنه مخصص لقوله تعالى: ﴿والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فاتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة إن الله كان عليمًا حكيمًا ﴿ [النساء: ٢٤].

ت- مقيدة لمطلق القرآن: كتحديد موضع قطع يد السارق من الرسغ، في قوله تعالى: ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم ﴿ [المائدة: ٣٨].

٣. السنة ناسخة للقرآن: ومنه قوله ﷺ: لا وصية لوارث<sup>(٢)</sup>، فهو ناسخ لقوله تعالى: ﴿كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين ﴿ [البقرة: ١٨٠].

٤. أن تأتي السنة بحكم جديد: كرجم الزاني المحصن، وتحريم لبس الذهب والحريير للرجال وصدقة الفطر، وغيرها.

والحاصل أن ثبوت حجية السنة، واستقلالها بتشريع الأحكام، ضرورة دينية، ولا يخالف في ذلك إلا من لا حظ له في دين الإسلام، والعلماء في شتى صنوف العلم، وفي أي

(١) أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب النكاح، باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها.

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الوصايا، باب لا وصية لوارث.

مذهب من المذاهب يحتكمون إلى السنة الشريفة، والخلاف إنما هو في التفصيل والتطبيق، نتيجة لاختلافهم في شروط قبول الحديث، والعمل به<sup>(١)</sup>.

### مبادئ التعامل مع السنة النبوية:

تُعَدُّ السنة مصدراً رئيسياً من مصادر التشريع الإسلامي، وهي التي تبين القرآن وتشرحه، وهي التي يستدل بها الفقيه على اجتهاده، ويستنبط منها المفسر والداعي وجوه الخير والقيم والحكم.

ولابد للسنة التي تُسْتَنْبَطُ منها هذه الأحكام أن تكون ثابتة ثبوتاً يقينياً من جهة النقل، ولا يكفي النقل بدون تثبت، وهذا ما قرره الفقهاء وعلى مر العصور، في تقرير الأحكام العملية، ولذلك وضعوا عدة مبادئ للتحقق من ثبوت الحديث الشريف منها:

١. التأكد من ثبوت السنة حسب المقاييس العلمية التي وضعها أئمة الحديث، بما في ذلك السند والمتن، وحال الرواة، في كل طبقة من السند، وهو ما يعرف عند علماء الحديث "بعلم الحديث رواية، وعلم الحديث دراية"<sup>(٢)</sup>. فلا بد لمن يتعامل مع السنة من معرفة العلم بأصول الحديث وعلومه، والاطلاع على علم الرجال، وشروط القبول، وأسباب رد الحديث، ومراتب الجرح والتعديل، وغيرها مما يتضمنه علم المصطلح، ثم تطبيق ذلك على ما يستدل به من الحديث<sup>(٣)</sup>.

---

(١) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، الشوكاني، ص ٣٣. وينظر خلاف العلماء في قبول خبر الأحاد، في مظانه من كتب أصول الفقه المختلفة.

(٢) علم الحديث رواية: علم يشتمل على أقوال النبي ﷺ، وأفعاله، وأوصافه، وتقريراته؛ وروايتها، وضبطها، وتحرير ألفاظها. وعلم الحديث دراية: وهو علم يعرف به حقيقة الرواية، وشروطها، وأنواعها، وأحكامها، وحال الرواة، وشروطهم، وأصناف المرويات وما يتعلق بها. شرح المنظومة البيقونية في مصطلح الحديث، عبد الله سراج الدين، ص ٧.

(٣) الاجتهاد في الشريعة الإسلامية، يوسف القرضاوي، ص ٢٧.

٢. فهم النص النبوي، مستعيناً بلغة العرب، وهي لغة النبي ﷺ، والانتباه إلى سبب ورود الحديث، فهو بمثابة سبب نزول القرآن بالنسبة لتفسير القرآن كما مر، ومن خلال المقاصد العامة للإسلام، والاستعانة على فهمها بالنصوص القرآنية والأحاديث الواردة في باب الحديث نفسه.

٣. التأكد من عدم معارضة النص بغيره، أو بالقرآن الكريم، وهو باب من أبواب التعارض والترجيح في الحديث وليس المكان بحثاً له، وكذلك الانتباه ومعرفة الناسخ والمنسوخ من الحديث، وهو بأهمية بحث الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، وهو فرع منه، ومعرفة مختلف الحديث، وعامها، وخاصها، ومقيدها، ومطلقها، وما إلى ذلك من أصول علم الحديث الشريف<sup>(١)</sup>.

هذه المبادئ والشروط إنما يتمسك بها العلماء إذا تعلق الأمر بالأحكام، والحلال والحرام، لكنهم يتساهلون إذا تعلق الأمر بفضائل الأعمال والرقائق، حتى عَجَبَتْ بعض كتب التفسير من هذه الأصناف من الحديث، كما فعل البيضاوي والزمخشري، عندما ذكر فضائل لبعض سور القرآن وهي أحاديث موضوعية، حتى إن بعضهم أصر على إدراج الحديث المكذوب في ذلك.

### **دعوى تعارض السنة الصحيحة للقرآن الكريم:**

لقد تقرر أن السنة الصحيحة مبينة للقرآن، فهي البيان النظري والتطبيق العملي له، " وما كان للبيان أن يناقض المبين، ولا للفرع أن يعارض الأصل، فالبيان النبوي يدور أبداً قي فلك الكتاب ولا يتخطاه"<sup>(٢)</sup>.

ومما هو ثابت أيضاً عند علماء التفسير والحديث، أن السنة الثابتة لا تعارض محكمات القرآن فإن حصل التعارض فإن مرجعه لأحد أمور: إما أن تكون السنة غير ثابتة، أو

(١) كيف نتعامل مع السنة، يوسف القرضاوي، ص ٣٤.

(٢) يوسف القرضاوي، كيف نتعامل مع السنة، ص ٩٣.



يكون فهما لها غير صحيح، فيجب إعادة النظر في ذلك، أو أن يكون التعارض متوهماً، أو يكون أحدهما ناسخاً للآخر. لكن الخطر يكمن في رد الأحاديث الصحيحة الثابتة؛ بدعوى أنها معارضة للنصوص القرآنية، ولا سبيل إلى الجمع بينهما، أو اتباعاً للهوى، أو تعصباً للمذهب.

ومن أمثلة ذلك إنكار المعتزلة الشفاعة لأصحاب الكبائر في إخراجهم من النار في الآخرة، رغم ورود عدد من الأحاديث الصحيحة في ذلك<sup>(١)</sup>.

### **الانتباه إلى مدلولات ألفاظ الحديث الشريف:**

نبه الغزالي على تبدل أسامي بعض العلوم والمعاني عما كانت عليه في عهود السلف، وحذر من خطر هذا التبدل وتضليله لأفهام من لا يتعمقون في تحديد المفاهيم<sup>(٢)</sup>. فمن المهم جداً لفهم السنة فهماً صحيحاً؛ التأكد من مدلولات ألفاظها، فإن الألفاظ تتغير بتغير الزمن، ومن مكان لآخر، حسب العرف المتعامل به في بلد ما، أو زمن ما.

ومن أمثلة ذلك الأحاديث التي توعدت المصورين بالعذاب الشديد<sup>(٣)</sup>، لكن هل التصوير في الأحاديث تدل على مدلول التصوير في زمننا؟ وهل التصوير الفوتوغرافي هو عرف التصوير في زمن التشريع؟ وهل كان معروفاً عند الصحابة تلك الأمثلة التي ينسب إليها المصور؟

إن الإجابة عن هذه الأسئلة تعطيك مدلولاً لألفاظ الحديث وما يقصد به.

### **فهم الحديث في سياقه ومقاصده وأسبابه:**

لا بد لفهم الحديث الشريف فهماً سليماً، من معرفة الملابسات التي سيق من أجلها الحديث، وجاء لتقرير حكمها، وهذا يحتاج من المفسر دقة في الفهم، وعمق نظر في

---

(١) الأحاديث في الشفاعة مستفيضة جداً في مواضعها من كتب الحديث، والعقيدة، وغيرها.

(٢) إحياء علوم الدين، الغزالي، ح ١ ص ٥٣.

(٣) من هذه الأحاديث: قال ﷺ: إن الذين يصنعون هذه الصور، يعذبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم. أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب اللباس، باب عذاب المصورين يوم القيامة.

ما يمكن أن يستنبط من الحديث، أو من الواقع الذي سيق من أجله، لكي يتحدد المراد من الحديث بدقة متناهية، ليصار إلى المقصود من الاستدلال به على النص القرآني، تأييداً له، أو رداً لفهم خاطئ قيل فيه، ومن ذلك قوله ﷺ: أنتم اعلم بأمر دنياكم<sup>(١)</sup>، فللهولة الأولى نجد أن الحديث يبين عدم تدخل الدين في أمور الدنيا، لأن الحديث يوكلها إلى الناس، لكن هل هذا حقاً ما يعنيه الحديث؟

جاءت الأحاديث الكثيرة، والنصوص القرآنية في تبيان معاملات الناس، من بيع وشراء وعقود وقروض...، وبالتالي كأن تعارضاً بين هذه الأدلة وهذا الحديث!!

والحق أنه لا تعارض، فلو نظرنا في قصة الحديث، وهي قصة تأبير النخل، لظهر لنا مقصود قوله ﷺ: أنتم أعلم بأمر دينكم، فقد أشار على الصحابة الأنصار بعد تأبير النخل، ظناً منه ﷺ أنه لا يفيد، أو كان ذلك إرشاداً للصحابة لتعليق قلوبهم بالمؤثر الحقيقي وهو الله تعالى وليس ترك التأبير من أصله، فظن الأنصار أنه وحي، فعملوا به، فكان تأثيره سيئاً على نخلهم، فلما سئل قال: إنما ظننت ظناً... أنتم أعلم بأمر دنياكم. فظهر عدم فهمهم لمراده ﷺ.

### شبهة استقلال القرآن عن السنة والرد عليها:

تقول الشبهة: إن القرآن مستغن عن السنة في كل شيء، ولا حاجة للسنة أبداً، في تقرير الأحكام، وتشريع الشرائع.

وأدلتهم في ذلك: أن السنة ظنية، فكيف نركن لأحكامها، والقرآن قطعي، والحكم له. كما استدلوا بقوله تعالى: ﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون﴾ [الزمر: ٢٧].

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره من معاش الدنيا على سبيل الرأي. وتامه: أن النبي ﷺ مر بقوم يلحقون، فقال: لو لم تفعلوا لصلح، فخرج شيصاً، فمر بهم، فقال: ما لنخلكم، قالوا: قلت كذا وكذا، قال: أنتم أعلم بأمر دنياكم.

وقوله تعالى: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ [الأنعام: ٣٨].

وقوله تعالى: ﴿الر تلك آيات الكتاب المبين﴾ [يوسف: ١]. فكيف يكون مبيناً وهو محتاج لغيره<sup>(١)</sup>؟

وقبل الرد على هذه الشبهة، فإن النبي ﷺ كأنه أشار لمثل هذه الطائفة الضالة، عندما قال: لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته، يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به، وأنهيت عنه، فيقول: لا أدري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية: ما وجدنا فيه حلالاً استحللناه، وما وجدنا فيه حراماً حرمانه<sup>(٣)</sup>.

وفي رواية ثالثة: ألا إن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله<sup>(٤)</sup>.

### والرد عن الشبهة باختصار:

**أولاً:** فمن كتاب الله عز وجل: والذي يدعون أنه هو من فصل السنة عن القرآن، وأبطل حجبتها:

١. قال تعالى: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً﴾ [الأحزاب: ٣٦].

---

(١) وأصحاب الشبهة طائفة تسمى نفسها "القرآنيون": ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر، يقولون: إن أماننا القرآن، نحل حلاله ونحرم حرامه، أما السنة فهي مدسوسة على رسول الله ﷺ، فلا نأخذ منها شيئاً، أبرز شخصياتهم: "عبد الله الجكرالوي" مؤسس جماعة أهل الذكر، و"أحمد الدين الأمرتسي" مؤسس فرقة الأمة الإسلامية، و"غلام أحمد برويز" مؤسس جمعية أهل القرآن، ومن مصر "أحمد صبحي منصور" الذي يعتبر الأب الروحي لهم في مصر. شبهات القرآنيين حول السنة النبوية، محمود محمد مزروعة، بحث مقدم لندوة عناية المملكة بالقرآن الكريم وعلومه، التي نظمها مجمع الملك فهد لطباعة المصحف في المدينة المنورة، (غير مطبوع)، في الفترة بين: ٤ - ٧ / ٦ / ١٤٢١هـ.

(٢) أخرجه ابن ماجه في السنن، باب في لزوم السنة، ح ١٢ ص ٢٠٩. وأخرجه أبو داود في السنن، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ، ح ٤٢٠٩.

(٣) أخرجه الترمذي في السنن، باب ما نهى عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ، ح ٣ ص ٢٦٧.

(٤) المرجع السابق نفسه.

٢. قال تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾ [النساء: ٦٥].

٣. قال تعالى: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً﴾ [النساء: ٨٠].

٤. قال تعالى: ﴿ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾ [الحشر: ٧].

يقول الزركشي: السنة راجعة من معناها إلى الكتاب، فهي تفصيل مجمله، وبيان مشكله، وبسط مختصره، وهو ما دل عليه قوله تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾ [النحل: ٤٤]<sup>(١)</sup>.

**ثانياً:** دلت السنة على أمور كثيرة لم ينص عليها القرآن الكريم، كتحرим الحُر الأهلية، وتحریم نكاح المرأة على عمتها وخالتها، وغيرها كثير.

**ثالثاً:** فصّلت السنة كثيراً مما أُجمل في القرآن، فعلى سبيل المثال: مناسك الحج،

وإلحاق ماء البحر بالطهور، وهو ما لم يرو عنه شيء في القرآن الكريم، فقال فيه ﷺ: هو الطهور مأوه، الحل ميتته<sup>(٢)</sup>.

جاءت امرأة إلى عبد الله بن مسعود، فقالت: أنت تقول: لعن الله النامصات والمتمصصات، والواشحات والمستوشحات...<sup>(٣)</sup>؟ قال: نعم، قالت: فإني قرأت كتاب الله من أوله إلى آخره، فلم أجد فيه ما تقول. فقال لها: إن كنت قرأته لقد وجدته، أما قرأت: ﴿ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾ [الحشر: ٧]، قالت: بلى، قال: فقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: لعن الله النامصات... الحديث.

(١) الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، ح ٤ ص ٩.

(٢) أخرجه أبو داود في السنن، باب الوضوء بماء البحر، ح ١ ص ١٨.

(٣) أخرجه ابن ماجه في السنن، باب من حدّث عن رسول الله وهو يرى أنه كذب، ح ١ ص ١٨.

**رابعاً:** أما من السنة النبوية الصحيحة، فكثير، وسأتزك الاستدلال بها، لأنهم ينكرونها أصلاً، لكن أهل الحق يعلمون أنه لا يمكن الاستغناء عن السنة في بيان أحكام القرآن، وتقصيله، وشرحه، وبيان ما خفي منه، ولذلك كان التفسير بصحيح المأثور هو من أجود ما يفسر به القرآن الكريم.

**خامساً:** من المعقول: فما الداعي لإرسال الرسول ﷺ، إذا لم يكن لقوله حاجة، بل لماذا جعل الله عز وجل صحابته خير الناس؟ أليس لأنهم عاصروه، ونقلوا عنه سنته؟ وعلى الرغم من بيان سبب إرسال الرسول في القرآن نفسه، كما قال تعالى: وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴿ [النحل: ٤٤]، فهم ينكرون السنة، فهل يكون البيان بلا كلام؟ ثم إن العلماء أكثروا في الرد على هذه الشبهة، وأمثالها، ودحضوا مزاعم أهل الزيغ والضلال، وأثبتوا مكانة السنة من القرآن والتشريع.

## المبحث الثالث

### الإلمام التام بلغة العرب

#### عربية القرآن الكريم والتفسير:

نزل القرآن الكريم بلسان العرب على الجملة<sup>(١)</sup>. وبالتالي فإن فهمه سيكون من هذا الطريق حتماً، يقول تعالى: ﴿إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾ [يوسف: ٢]، ولا يعقل إدراك معانيه من غير لغة العرب، لأن علم العربية إنما يفيد مقتضيات الألفاظ بحسب ما يفهم من الألفاظ الشرعية، وألفاظ الشارع المؤدية إلى هذه المقتضيات عربية.

---

(١) أقصد بـ "على الجملة": إشارة إلى اختلاف العلماء بألفاظ القرآن، هل فيها شيء أعجمي؟ أم كلها عربية؟ وهذا غير مقصود من مطلبنا، لذلك أشرت له إشارة خفية. وهذا البحث معروف في مباحث علوم القرآن فيمكن الرجوع إليها في مظانها منه.

أما القصد من قولنا معرفة لغة العرب، فقد بينها الشاطبي في قوله: ولا أعني بذلك النحو وحده، ولا التصريف وحده، ولا اللغة، ولا علم المعاني، ولا غير ذلك من أنواع العلوم المتعلقة باللسان، بل المراد جملة علم اللسان ألفاظ أو معاني كيف تصورت<sup>(١)</sup>.

وبالتالي فإن المبتدئ في فهم العربية هو مبتدئ في التفسير، وكلما ارتقى في فهم العربية ارتقى في التفسير، لكني لا اشتراط هنا الوصول إلى درجة المجتهد في اللغة، فهو من باب التضييق على المفسر، لكن أقوال بالتخفيف، بمعنى أن يكون قادراً على فهم الخطاب، وعادة العرب في استعمال الألفاظ، والتمييز بين مختلف الكلام؛ الظاهر والمجمل والحقيقة والمجاز والعام والخاص... .

وإذا ثبت هذا فإن من الواجب على المفسر أن يكون معتقياً بلغة العرب، وعبرت عنه في عنوان المبحث بـ "الإلمام التام بلغة العرب"، عارفاً بعلومها، عالماً بدلالات ألفاظها، مدركاً لمقاصدها.

ومما يؤكد على أهمية هذا الشرط أسباب، منها:

١. إن معرفة المفسر لوجوه البلاغة العربية وعلومها من البديع والبيان والتشبيه والاستعارة، ومعرفة علم الصرف، واشتقاق الأسماء والأفعال، وغير ذلك من هذه العلوم العربية، يخول المفسر إبراز الإعجاز اللغوي بشكله الصحيح المتقن، وهو أحد فروع التفسير الأصلية.

هذا الفهم للعلاقة بين علوم اللغة والتفسير، يجب أن يكون عارياً عن التكلف، فلا يتكلف المفسر فوق مفهوم الناس للعربية، بحسب ما يفهمون من الألفاظ والمعاني؛ وإذا كان العرب متفاوتون في معرفة معاني العربية، إلا أنهم يتقاربون، أو يتقارب معظمهم فيما يقتضي فهمهم لعبارات وتراكيب القرآن الكريم. فكذاك يلزم أن ينزل فهم الكتاب والسنة،

---

(١) الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، ح ٤ ص ٦٧.

بحيث تكون معانيه مشتركة لجميع العرب، ولذلك، أنزل القرآن على سبعة أحرف، واشتركت فيه اللغات حتى كانت قبائل العرب تفهمه<sup>(١)</sup>.

ولما كانت ألفاظ اللغة تختلف في الدلالة على معانيها، ولعل هذا في سائر اللغات المعروفة عند البشر، عربهم وأعجميهم، إلا أن بعض الدلالات مختصة بالعربية، وهذا على غاية من الأهمية بالنسبة لمفسر القرآن الكريم، خاصة في الإخبار، فيأتي على حسب حال المخبر والمخبر عنه والمخبر به، والإخبار نفسه، في الحال والمساق، والأسلوب، والإيجاز والإطناب، ومثال على ذلك قوله تعالى في سورة القصص: ﴿وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى﴾ [القصص: ٢٠]، وقوله تعالى في سورة يس: ﴿وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى﴾ [يس: ٢٠]، فإن العرب يفهمون كل من الآيتين بشكل مختلف من الأخرى، ففي الأولى: كان الاهتمام بالمخبر به، وليس بالمخبر عنه، فكان القصد إخبار موسى بتأمر القوم وتشاورهم على قتله، كما قال تعالى: ﴿وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملائمة يأترون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين﴾ [القصص: ٢٠]، أما في الثانية: كان الاهتمام بالمخبر عنه، وهو من يكون ذلك الرجل<sup>(٢)</sup>.

وتعتبر هذه الأشياء من مكملات المقصود الإلهي، وليس من مقاصده الأصلية، إلا أنه يجب على مفسر القرآن العلم بها، لإبراز بلاغة القرآن، ومن هنا يبرز أيضاً اختلاف القصص القرآني من سورة إلى أخرى، حيث يأتي مساقها في بعض السور على وجه معين، وفي سورة أخرى على وجه آخر، غير الوجه الأول، مما يثري النص القرآني، والمعاني المستفادة منه، ويدعونا للقول بعدم التكرار في النظم القرآني، وإن تعددت العبارات في السور المختلفة<sup>(٣)</sup>.

(١) الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، ح ٢ ص ٦٢.

(٢) يقال إنه حبيب النجار، كان يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ح ٢ ص ٢٧٩.

(٣) تنقسم دلالة الألفاظ على المعاني إلى ثلاثة أقسام:

ولقد سار الصحابة رضي الله عنهم، وأخص هنا من اشتهروا بالتفسير، كابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم، على فهم كثير من معاني القرآن الكريم على ما علموا من لغة العرب، وهي لغتهم الأصلية ولغة القرآن التي نزل بها، بل كانوا يستدلون بشعر العرب وكلامهم، قال ابن عباس: الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن، الذي أنزله الله بلغة العرب، رجعنا إلى ديوانها، فالتمسنا معرفة ذلك منه<sup>(١)</sup>.

فإذا كان من عاصر النبي ﷺ يرجع إلى ديوان العرب ولغتهم، لفهم بعض ما خفي من القرآن الكريم، فلا بأس إذن أن يفعله مفسرونا من بعدهم، فهم القدوة والمثل.

ومن أمثلة ذلك: ما جاء عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ [المعارج: ٣٧]، قال: العزون: حلق الرفاق، وأستدل على ذلك بقول: الشاعر<sup>(٢)</sup>:

فجأؤوا يهرعون إليه حتى يكونوا حول منبره عزينا

وكذلك سار التابعون من بعد الصحابة في الاستدلال على القرآن بما كان عندهم من شواهد شعرية، أو نثرية، من كلام فصحاء العرب، في الجاهلية وفي الإسلام، حتى كثرت المصنفات والتفاسير التي أختصت بعد ذلك بما عرف بالتفاسير اللغوية، التي

---

١. دلالة مطابقة: وهو أن يدل اللفظ على معنى معين لا ينصرف إلى غيره، كدلالة لفظ البشر على الإنسان.

٢. دلالة تضمن: وهو أن يدل اللفظ على أحد معانيه المختلفة، فهو متضمن بها، كدلالة لفظ الحيوان على الإنسان عند تخصيصه بالنطق.

٣. دلالة التزام: وهو أن يدل اللفظ على أحد لوازمه، كدلالة لفظ الأسد على الشجاعة، والبحر على الكرم. الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، ح ٢ ص ٤٩.

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ح ٢ ص ١٦٤.

(٢) وهو عبيد بن الأبرص. وأمثلة ذلك كثير، منها مسائل نافع بن الأزرق وهو من زعماء الخوارج، التي سألتها لابن عباس يريد دلالتها من كلام العرب، ينظر هذه المسائل في: الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ح ١ ص ٣٨٣.



اعتمد بعضها كلياً على اللغة، واكتفى بها<sup>(١)</sup>، كتفسير أبي حيان الأندلسي، ولذلك عرف أبو حيان التفسير بقوله: هو علم يُبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تُحمل عليها حالة التركيب، وتتمت لذلك<sup>(٢)</sup>.

واستعانت بعض التفاسير الأخرى باللغة، ولم تعتمد عليها كلياً، كمعظم التفاسير، ومنها: تفسير الطبري، الذي كانت اللغة عنده في خدمة التأويل الذي يريجه، فكان يستدل على المعاني بلغة العرب وأشعارهم.

وهكذا سار المفسرون لا يستغنون جزئياً ولا كلياً عن علوم اللغة، حتى قال الإمام مالك: لا أوتى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالا<sup>(٣)</sup>.

وقال السكاكي: لا أعلم في باب التفسير بعد علم الأصول أقرأ على المرء لمراد الله من كلامه؛ من علمي المعاني والبيان، ولا أعون على تأويل متشابهاته، ولا أنفع في درك لطائف نكته وأسراره، ولا أكشف للقناع عن وجه إعجازه، ولكم آية من آيات القرآن تراها قد ضيقت حقها، واستبلت ماءها وروبقها إن وقعت إلى من ليسوا من أهل هذا العلم<sup>(٤)</sup>.

### معرفة إعراب القرآن الكريم:

سبق وتحدثنا عن إعراب القرآن، كعلم من العلوم القرآنية، وهنا أبين أهمية هذا العلم عند مفسر القرآن، فكيف يُفهم النص القرآني من غير نطق صحيح؟ والإعراب سبيل ذلك.

---

(١) وينسب أكثر هذه التفاسير إلى رجال اللغة والنحو، كما نسب إلى الزجاج (ت: ٣١٦)، كتابان هما: "معاني القرآن" و"إعراب القرآن". مقدمة التحقيق لفؤاد سركين في مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى، ص ١٧. وكشف الظنون، حاجي خليفة، ح ٢ ص ١٢٠٧.

(٢) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ح ١ ص ١٤.

(٣) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ح ١ ص ٢٩٢.

(٤) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ح ١ ص ١٨.

السكاكي: يوسف بن أبي بكر بن محمد علي السكاكي الخوارزمي، (٥٥٠ - ٦٢٦ هـ)، عالم في النحو والتصريف والمعاني والبيان والعروض والشعر.

بالإضافة إلى المعاني الجديدة التي تظهر للمفسر عند اختلاف إعراب بعض الكلمات، وهو كثير في القرآن الكريم.

ومما يروى: أن رجلاً قرأ أمام أعرابي قوله تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ٣]، بجر "ورسوله"، فقال الأعرابي: أو قد برئ الله من رسوله؟ إن يكن الله بريء من رسوله فأنا أبرئ منه، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، فدعاه، فأخبره الأعرابي بالقصة، فقال عمر: ليس هكذا، إنما هي بالرفع، فقال الأعرابي: وأنا والله أبرأ مما برئ الله ورسوله منهم. ثم أمر عمر ألا يُقَرِّئ القرآن إلا عالم باللغة<sup>(١)</sup>.

وقد سبق وأكدنا على ما يجب على المعرب والمفسر مراعاته عند التفسير باللغة، فيرجع إليها في موضعها.

### معرفة الوجوه والأشباه والنظائر:

ولعل أول معنى اصطلاحي لعلم الوجوه والأشباه والنظائر، مقتبس من قول أبي الدرداء: إنك لن تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً كثيرة<sup>(٢)</sup>.

وكذلك من قول ابن قتيبة: أصل التشابه أن يشبه اللفظ اللفظ في الظاهر، والمعنيان مختلفان<sup>(٣)</sup>.

ثم عرفها ابن الجوزي، فقال: واعلم أن معنى الوجوه والنظائر أن تكون الكلمة واحدة، ذكرت في مواضع من القرآن على لفظ واحد وحركة واحدة، وأريد بكل مكان معنى غير الآخر<sup>(٤)</sup>.

(١) نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ابن الأثير، ص ١٩.

(٢) نواذر الأصول في معرفة أحاديث الرسول، الحكيم الترمذي، بيروت، ح ١ ص ٢٧.

(٣) تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص ١٠١.

(٤) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والأشباه والنظائر، ابن الجوزي، ص ٨٣.

وعرفه الزركشي: الوجوه اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان كلفظ الأمة، والنظائر كالألفاظ المتواطئة<sup>(١)</sup>. وبذلك يكون: الوجوه اسم للمعاني والنظائر اسم للألفاظ. وبالتالي فإن الوجوه والنظائر هي: بيان معنى الألفاظ المتشابهة في مواضعها المختلفة من القرآن وتكمن أهمية هذا العلم في إبراز وجوه الإعجاز، فهو من أنواع معجزات القرآن الكريم، وتظهر أهميته في معرفة مدلول الألفاظ وأنه لا يجوز لأحد أن يفسر القرآن إلا إذا علم مدلول كل لفظ، وعرف معناه، وأدرك استعمالات الألفاظ، وربما ترتب عليه اختلاف في فهم العقيدة الصحيحة، واستنباط الأحكام الشرعية، لذا يجب التنبيه إلى ذلك، وهذا النوع تظهر أهميته عند المفسر، عند النظر في "المصطلحات القرآنية"، فعندما تأخذ مادة: "جهل" أو "علم"...، فلا بد من معرفة أشباهها في القرآن الكريم، لتصل إلى معنى كل وجه من الوجوه في كل موضع من المواضع، فمن لم يعرف الوجوه لم يعرف الحق، والتبس عليه بالباطل، فكيف يدعى تفسير الكتاب العزيز من غاب عنه معرفة الوجوه والنظائر.

" فالرؤية" مثلاً على ثلاثة أوجه<sup>(٢)</sup>: العلم، المشاهدة، الاعتبار.

١. الرؤية: تعني العلم؛ كقول الله تعالى: ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً﴾ [النساء: ١٠٥]، وقوله: ﴿وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم﴾ [البقرة: ١٢٨].

٢. الرؤية: تعني المشاهدة؛ كقول الله تعالى: ﴿ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين﴾ [الزمر: ٦٠]، وقول الله تعالى: ﴿قد

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ح ١ ص ١٩٣.

(٢) الوجوه والنظائر، الدامغاني، ص ٣٧٥.

كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار ﴿آل عمران: ١٣﴾،  
٣. الرؤية: تعني الاعتبار؛ كقول الله تعالى: ﴿ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ [النحل: ٧٩].

وعلى الرغم من تأخر التدوين في هذا العلم، إلى ما بعد عصر الصحابة رضي الله عنهم، إلا أن معناه كان عندهم، وكانوا يعملون بمقتضاه، فلما أرسل علي بن أبي طالب إلى الخوارج ابن عباس، قال له: اذهب إليهم فخاصمهم ولا تحاجهم بالقرآن فإنه ذو وجوه، ولكن خاصمهم بالسنة.... فإنهم لن يجدوا عنها محيصاً...<sup>(١)</sup>.

وروي عن أبي بن كعب رضي الله عنه، أنه قال: كل شيء في القرآن من الرياح فهي رحمة، وكل شيء منه من الريح فهو عذاب، وروي عن ابن عباس قوله: كل ريب: شك، إلا مكاناً واحداً، قوله تعالى في الطور: ﴿أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون﴾ [الطور: ٣٠]، يعني حوادث الأمور<sup>(٢)</sup>.

هذا ولم يقتصر علم الوجوه والأشباه والنظائر على ألفاظ القرآن الكريم، بل تعداه إلى مجالات العلوم العربية الأخرى، وألفت فيها كتب كثيرة<sup>(٣)</sup>.

### معرفة غريب القرآن:

الغريب في اللغة: الغامض من الكلام: ومنه كلمة غريبة، ورجل غريب: بعيد عن أهله<sup>(٤)</sup>.

(١) الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ح ١ ص ١٤٢.

(٢) المرجع السابق، ح ١ ص ١٤٤.

(٣) ككتاب: "الأشباه والنظائر" لابن نجيم المصري، في الفقه الحنفي، وكتاب: "الأشباه والنظائر" محمد

وسعيد ابني هاشم، في الشعر، وكتاب: "الأشباه والنظائر" للسيوطي، في النحو، وغيرها.

(٤) لسان العرب، ابن منظور، مادة: ( غ ر ب ).

وهو علم يختص بتفسير الألفاظ الغامضة في القرآن الكريم، وبيان معانيها يقول الزركشي: "وهو معرفة المدلول... وهو يتصيد المعاني من السياق؛ لأنه مدلولات القرآن خاصة...، ويحتاج الكاشف عن ذلك إلى معرفة علم اللغة: اسماً وفعلاً وحرفاً؛ فالحروف لقلتها تكلم النحاة على معانيها؛ فيؤخذ ذلك من كتبهم، وأما الأسماء والأفعال فيؤخذ ذلك من كتب اللغة"<sup>(١)</sup>.

ومعرفة هذا العلم ضروري للمفسر، وإلا فلا يحل له الإقدام على كتاب الله تعالى، ولا الخوض في تفسيره.

ولا يراد بالغريب، غير المؤلف، إنما هو الذي لا علاقة للرأي في بيانه، بل مرجع معرفته إلى النقل عن العرب:

قال ابن عباس: ما كنت أدري ما فطر السماوات والأرض، حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، يعني ابتدأتها.

وكان الأصمعي، وهو إمام في اللغة لا يفسر من غريب القرآن، خوفاً من الوقوع في غير مراد الله عز وجل.

وروي أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿وقال نسوة في المدينة امرأت العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا إنا لنراها في ضلال مبين﴾ [يوسف: ٣٠]، فسكت، وقال: هذا في القرآن، ثم ذكر قولاً لبعض العرب في جارية لقوم أرادوا بيعها: أتبيعونها وهي لكم شغاف، ولم يزد على هذا<sup>(٢)</sup>.

---

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ح ١ ص ٣٦٥. ومن أحسن الكتب: "المفردات" للراغب، و"الصاحح" للجوهري، و"مجمع البحرين" للصاغاني، وغيرهم.

(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ح ١ ص ٣٧٠.

من المعلوم أن اللغة اصطلاحية، والألفاظ المستخدمة في كلامهم من وضعهم، إلا أن ذلك لا يمنع أن ينغلق المعنى أحياناً، كما حصل مع ابن عباس كما مر، لكن هذا لا يدعونا إلى القول بأن الله عز وجل غرب ألفاظ القرآن، ولا يدعونا إلى تحميل الله عز وجل إبهام بعض ألفاظ القرآن أو تغميضها، لكن ربما يكون السبب اتساع اللغة التي لا يحيط بها إلا نبي مأمور بالتبليغ، فكيف وقد نزل القرآن على لغات العرب، وهي كثيرة، أن يحيط بها واحد منهم دون الرجوع إليهم فيما غمض عنه<sup>(١)</sup>.

ثم إن غريب القرآن لم يكن دائماً من الألفاظ قليلة الاستعمال، لكن أحياناً تنشأ الغرابة من لفظ مستعمل كثيراً، غير أنه استعمل في سياق آخر لا عهد لمن سمعه في استعماله، إلا أنه لا بد من أحد يستعمله من أهل اللغة، وخاصة فيما ورد في القرآن الكريم، إذ لا يمكن أن يرد في النص القرآني الغريب غير المستعمل، لأن ذلك يخل بالتبليغ والإفهام؛ الذي هو أساس نزول القرآن، بل لا يمكن أن يكون غائباً حتى عن المبلغ عن الله، وهو النبي محمد ﷺ، حيث إن مهمته بيان ما أنزل إليه، فلا يعقل أن ينزل إليه ما لا يستطيع إفهامه للمبلغين.

إن المفسرين في غريب القرآن، عندما يبدون تأويلاً لبعض غريبه، فهم يريدون بذلك بيان النص في لغة عصرية مفهومة لأهل الزمان، ولهذا ربما تكلفوا ما لم يؤمروا، ولذلك توقف أبو بكر وعمر رضي الله عنهما في تفسير معنى "الأب"؛ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وفاكهة وأباً﴾ [عبس: ٣١]، فقال أبو بكر: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كلام الله ما لا أعلم. وقال عمر: الفاكهة عرفناها، فما الأب؟ ثم قال: لعمر ك يا ابن الخطاب إن هذا لهو التكلف<sup>(٢)</sup>.

(١) قضايا اللغة في كتب التفسير، عبد الهادي الجطلاوي، ص ٢٥٧.

(٢) الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ح ١ ص ١١٥.

## المبحث الرابع

### معرفة مقاصد الشريعة ومقاصد القرآن

**مفهوم مقاصد الشريعة وعلاقتها بمقاصد القرآن:**

المقاصد: جمع مقصد، والقصد إتيان الشيء، تقول: قصدته، وقصدت له، وقصدت إليه، وقصدت قصده: نحت نحوه<sup>(١)</sup>.

ثم نقل معناه إلى استعمالات متعددة في القرآن الكريم، كالاستقامة، والاعتدال، والاعتماد، والأَم، والانكسار، وغيرها من المعاني<sup>(٢)</sup>.

يقول الإمام محمد الطاهر بن عاشور: مقاصد الشريعة العامة هي: المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة، فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغايتها العامة والمعاني التي لا يخلو التشريع عن ملاحظتها، ويدخل في هذا أيضاً معانٍ من الحكم ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام ولكنها ملحوظة في أنواع كثيرة منها<sup>(٣)</sup>.

ومن هنا استخلص تعريفاً مختصراً لمقاصد الشريعة:

**مقاصد الشريعة: هي غايات الشارع من وضع الشرائع تحقيقاً لمصالح العباد.**

**تعريف مصطلح "مقاصد القرآن":**

دأب العلماء على استنباط المقاصد من مباحث الفقه والأصول. إلا أن استمداد المقاصد من القرآن الكريم أولى، فهو الأساس في تبيان مقاصد القرآن والشريعة، ومن هنا يقول

---

(١) الصحاح، الجوهري، مادة (ق ص د).

(٢) أساس البلاغة، الزمخشري، ص ٣٦٧.

(٣) مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، ص ٤٩.

الشاطبي: إن الكتاب قد تقرر أنه كلية الشريعة، وعمدة الملة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة... وإذا كان كذلك لزم ضرورة عند من رام الاطلاع على كليات الشريعة، وطمع في إدراك مقاصدها واللاحاق بأهلها، أن يتخذ سميره وأنيسه...<sup>(١)</sup>.

لكن مصطلح "مقاصد القرآن" يختلف عن مفهوم "مقاصد الشريعة"، كما سأبين لاحقاً. إن تعريف مصطلح "مقاصد القرآن" لا يبدو ظاهراً عند العلماء الأقدمين، بالرغم أن كتبهم لم تخل منه:

يقول العز بن عبد السلام: ومعظم مقاصد القرآن الأمر باكتساب المصالح وأسبابها، والزجر عن اكتساب المقاصد وأسبابها...<sup>(٢)</sup>.

وبالاعتماد على تعريف مقاصد الشريعة يمكن أن أقول:

### **مقاصد القرآن: هي غايات الشارع من إنزال القرآن تحقيقاً لمصالح العباد.**

والغايات هنا تشمل جميع الحكم والمعاني والأسرار التي من أجلها أنزل القرآن.

إن أصل طلب البحث عن مقاصد الشريعة يعرف من القرآن الكريم، فلا بد للشارع من إبراز مقصد وضع الشريعة فيما نزل إليه من كتاب، وهذا أدعى لقبوله، والعمل بأحكامه، حتى وإن خفيت مقاصد بعض الأحكام إلا أنه من المقرر أن لكل حكم مقصداً جليلاً للشارع الحكيم.

ولا ريب في أن الشريعة إنما وضعت من أجل مصالح العباد، وهي أصل من أصول الشرع، وهذا الذي يقرره الحديث الشريف: لا ضرر ولا ضرار<sup>(٣)</sup>. إثباتاً ونفياً لرعاية

---

(١) الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، ح ٣ ص ٢١٣.

(٢) القواعد الكبرى، الموسومة بقواعد الأحكام في إصلاح الأنام، العز بن عبد السلام، ح ١ ص ١١.

(٣) أخرجه ابن ماجه في السنن، باب من بني في حقه ما يضر بجاره، ح ٣ ص ١٤٣.



المصالح، ولذلك يقول الطوفي: وبحسب الشرع: هي السبب المؤدي إلى مقصود الشارع، عبارة أو عادة<sup>(١)</sup>.

ويقول الشاطبي: إن وضع الشرائع إنما هو لمصالح العباد في العاجل والآجل معاً، وهذه دعوى لا بد من إقامة البرهان عليها صحة أو فساداً - ثم يُبين الشاطبي رأي الرازي في ردها- والمعتمد هو أنا استقرينا من الشريعة أنها وضعت لمصالح العباد، استقراء لا يناع فيه الرازي ولا غيره، فإن الله يقول: ﴿لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً﴾ [النساء: ١٦٥]...<sup>(٢)</sup>، وإذا دل الاستقراء على هذا، وكان في مثل هذه القضية مفيداً للعلم، فنحن نقطع بأن الأمر مستمر في جميع تفاصيل الشريعة". وهنا يجب أن نميز بين أمرين:

**الأمر الأول:** هو ما عرفت حكمته والمصلحة منه، واتضحت للعقول علتها، وهو ما يعرف عند العلماء بالمعلل، ويأتي ذلك واضحاً في النص، أو في العقل.

**الأمر الثاني:** وهو الذي لم تعرف حكمته، أو المصلحة منه، وضوحاً جلياً، لأن الحكمة موجودة ولو لم تعرف، وهذا ما يعرف عند العلماء بالتعدي.

وهذه المقاصد التي أصلها الكتاب والسنة، تجلت في فقه الراسخين في العلم من الخلفاء الراشدين، كعمر بن الخطاب، ثم من بعده فقهاء المدينة، والذي كان في تجلياته الناصعة ما اختص به الإمام مالك من أعمال المصالح المرسلة، ودرء المفسدات والذي يمثل الجانب الآخر للنظرية المقصدية<sup>(٣)</sup>.

---

(١) رسالة في رعاية المصلحة، الطوفي، سليمان بن عبد القوي، ص ٢٥. حتى إن الطوفي يقدم المصلحة على النصوص والإجماع، ويستدل على ذلك باستدلالات من السنة والمعقول.

(٢) الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، ح ٢ ص ٥.

(٣) المصالح المرسلة، محمد الأمين الشنقيطي، ص ١٩. والمصالح المرسلة: ألا يدل دليل خاص على اعتبار مناسبة ذلك الوصف ولا على إهدارها، وإنما قيل لها مصلحة لأن المفروض تضمين الوصف المذكور لإحدى المصالح". ويسمونها بعضهم: بالاستدلال، أو الاستصلاح.

لكن هذا لا يعني ترك الدليل، فإن مقاصد الشريعة يجب أن تخضع إلى الدليل، فكل ما لا نجده، أو لا نجد أصله في الكتاب والسنة فليس من مقاصد الشريعة في شيء، إلا أن العلماء في طريقة استخراجهم من الكتاب والسنة يتفاوتون، وكل يستخرج حسب علمه وجهده ومنهجه.

وتشتد الحاجة اليوم إلى معرفة المقاصد عند المفسر، في زمن أصبح الناس فيه غرباء عن لغتهم التي استخدمها الصحابة رضي الله عنهم من إدراك المقاصد من النصوص، ومن هنا كان لا بد من تفسير النصوص في ضوء المقاصد التي من أجلها كانت النصوص أصلاً، وحتى يكون تفسير النص صحيحاً لا بد من معرفة المصالح التي لأجلها نزلت، فمقاصد الشريعة خير دليل على فهم نصوص الشريعة وتفسيرها، وتحديد مدلولات الألفاظ، ومعرفة معانيها لتعيين المعنى المقصود منها، لأن الألفاظ والعبارات قد تتعدد معانيها، وتختلف مدلولاتها، كما هو معروف في أسباب اختلاف الفقهاء، فتأتي المقاصد لتحديد المعنى المقصود للشارع الحكيم. فالميزان الذي يعمل على استنباط الأحكام من النصوص الشرعية المتعددة المدلولات هو ميزان مقاصد الشريعة التي من أجلها جاءت النصوص؛ لتحقيق مصالح العباد في الدارين، واستخلاص الأحكام والعبر واستنباط الفوائد المقصودة من النصوص<sup>(١)</sup>.

### **أبرز المؤلفين في مقاصد القرآن:**

على الرغم من قلة من كتب في "مقاصد القرآن" بالمقارنة مع من كتب في "مقاصد التشريع" إلا أن العلماء سلكوا في كتابة "مقاصد القرآن" طريقتين:

**١. الطريق الأول:** من خلال كتب التفسير، حيث تضمنت تلك المقاصد دون تخصيص أو أفراد أبواب أو فصول، ومنها تفسير "فتح البيان في مقاصد القرآن" لأبي الطيب صديق بن حسن القنوجي البخاري.

(١) أصول الفقه، عبد الكريم زيدان، ص ٢٩٩. والاجتهاد المقاصدي، نور الدين الخادمي، ص ٧٤.

**٢. الطريق الثاني:** من خلال الدراسات التي تناولت مقاصد القرآن في مؤلفات مختصة، من خلال تعريفها، ووضع أسسها، وإقرارها بالدرس والتحليل، ومن هذه المؤلفات: دراسة للإمام العز بن عبد السلام، بعنوان "نبذ من مقاصد الكتب العزيز"، إلا أنه لم يأت على كل المقاصد، وكان أقرب إلى علوم القرآن منه إلى المقاصد، إلا أن هذا الكتاب مرجع من مراجع كثير من الكتب التي ألفت بعد الإمام العز بن عبد السلام، فقد استفاد منه "ابن القيم" في كتابه "بدائع الفوائد"، و"الزركشي" في "البرهان في علوم القرآن"، والسيوطي، في "معترك الأقران في إعجاز القرآن" وفي "الأشباه والنظائر"، وفي "الإتقان في علوم القرآن".

ومن أهم المؤلفات عند المتأخرين: كتاب "الوحي المحمدي" لمحمد رشيد رضا، والذي تضمن عشرة مقاصد، يقول في مقدمته: إنما مزية هذا الكتاب أنه بين إعجاز القرآن للبشر بالدلائل العلمية والعصرية التي يفهمها كل قارئ، وأبرز لهم خلاصة إصلاحه للبشر مفصلة في عشرة مقاصد<sup>(١)</sup>.

ومن العلماء المعاصرين الدكتور يوسف القرضاوي في "كيف نتعامل مع القرآن"، تحدث في البداية عن تصحيح العقائد، وختم بالعودة إلى العالم الإنساني المتعاون، من خلال سبعة مقاصد، يقول في بداية كلامه عن المقاصد: ومما يؤسف له أن هذا المجال قد وقع فيه خلل خطير في الفهم والتفسير، ولهذا كان لابد من وضع معالم مضيئة على الطريق، وضوابط عاصمة من كل قاصمة، ومن التحذير من المزالق التي توقع في الهاوية، وما أدراك ما هيه؟<sup>(٢)</sup>.

### **مقاصد الشريعة وعلاقتها بمقاصد القرآن:**

من خلال تعريف مقاصد الشريعة وتعريف مقاصد القرآن؛ كما مر معنا سابقاً، يبدو جلياً وجود علاقة وطيدة بينهما، بل ربما كانا متداخلين بحيث لا يمكن الفصل بينهما، بل أكثر من ذلك حيث يمكن استعارة أحدهما مكان الآخر في التبدليل.

(١) الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا، ص ٧.

(٢) كيف نتعامل مع القرآن العظيم، يوسف القرضاوي، ص ١٢.

وبالرجوع إلى مقاصد الشريعة، والنظر فيه بتمعن وتدقيق، أجد أن أصول هذه المقاصد موجودة في القرآن الكريم، إلا أن القرآن الكريم أتى بها على شكل قواعد وأصول، أما العلماء في مقاصد التشريع فقد شرحوا وبينوا وفصلوا هذه القواعد، فلا يعدو ذلك إلا بياناً لما في القرآن.

يقول الشاطبي: وذلك أن القرآن الكريم أتى بالتعريف بمصالح الدارين جلباً لها، والتعريف بمفاسدها دفعاً لها، وقد مر أن المصالح لا تعدو ثلاثة أقسام وهي:

**الضروريات:** ويلحق بها مكملاتها.

**والحاجيات:** ويضاف إليها مكملاته.

**والتحسينات:** ويليهما مكملاتها.

ولا زائدة على هذه الثلاثة المقررة في كتاب المقاصد. وإذا نظرنا إلى السنة وجدناها لا تزيد على هذه الأمور أيضاً، فالكتاب أتى بها أصولاً يرجع إليها، والسنة أتت بها تقييداً على الكتاب وبياناً لما فيه منها<sup>(١)</sup>.

إن كثيراً مما نُعِدُّه من مقاصد الشريعة العامة والخاصة، هو بالأصل مستخلص من القرآن الكريم، فمقصد رفع الحرج، ومقصد جلب المصالح، و مقصد درء المفاسد، ومقصد العدالة والحرية، وغيره من المقاصد كلها ذات أصول قرآنية، و من ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

قال تعالى: ﴿ مَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [المائدة: ٦٠]، وهو مقصد رفع الحرج. وقوله تعالى: ﴿ إِنْ الصَّلَاةَ تَنَهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، دلالة على بعض المقاصد الجزئية كالنهى عن الفحشاء والمنكر. وفي ترسيخ مقصد حق الحياة، يقول تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٩].

(١) الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، ح ٤ ص ١٨.

إن: فإن المقرر شرعاً وعقلاً واعتقاداً؛ هو أن القرآن الكريم يضم أعظم المقاصد وأجلها، ويأمر بما يرقى بالعبد إلى ما فيه مصلحته الدنيوية والأخروية، ويدفع عنه المفساد الظاهرة والباطنة، ويرقى به إلى غايات الشريعة المقررة.

وجميع المقاصد الشرعية، والمعلومة والمقررة، في الدراسات الشرعية، إنما هي راجعة في جملتها أو تفصيلها، تصريحاً أو تضميناً، إلى هدي القرآن وتعاليمه، وأسراره وتوجيهاته<sup>(١)</sup>.

### أهمية مقاصد القرآن عند مفسر القرآن:

بذل علماء التفسير السابقون جهوداً كبيرة في إبراز مقاصد القرآن الكريم، وما ذاك إلا للوصول إلى فهم صحيح عن الله عز وجل فيما أنزل.

فقد وقف العلماء قديماً عند قول النبي ﷺ: كان الكتاب الأول نزل من باب واحد وعلى حرف واحد، ونزل القرآن من سبعة أبواب وعلى سبعة أحرف، زاجر وأمر، وحلال وحرام، ومحكم ومتشابه، وأمثال، فأحلوا حلاله وحرّموا حرامه وافعلوا ما أمرتم به، وانتهوا عما نهيتم عنه، واعتبروا بأمثاله، واعملوا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه، وقولوا: آما به كل من عند ربنا<sup>(٢)</sup>.

وبناءً عليه أثبت العلماء: أن القرآن أنزل على سبعة أصناف من المعاني هي:

الأمر والنهي، الوعد والوعيد، الحلال والحرام، المحكم والمتشابه، والأمثال.

وهذه التقسيمات أعطت فكرة واضحة عن المقاصد الرئيسية التي يدور حولها القرآن.

ورغم اختلاف المفسرين في بيان مقاصد القرآن؛ إلا أنهم اشتركوا في بيان أهمية هذه المقاصد في تفسير القرآن الكريم:

(١) الاجتهاد المقاصدي، نور الدين الخادمي، ص ٥٧.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه ج ٣ ص ٤٨٤.

فالطبري يرى أن القرآن يشتمل على ثلاثة أشياء: التوحيد، والأخبار، والديانات، ولهذا كانت سورة الإخلاص ثلثه<sup>(١)</sup>.

وأما أبو بكر بن العربي المالكي فيقول: وأما علوم القرآن ثلاثة: توحيد وتذكير وأحكام<sup>(٢)</sup>.  
وأما الفخر الرازي فيرى أن مقصد القرآن تقرير أمور أربعة: الإلهيات، والمعاد، والنبوات، وإثبات القضاء والقدر لله تعالى<sup>(٣)</sup>.

وبالجملة وبالرجوع إلى تقسيمات العلماء أجد أن أصول مقاصد القرآن الأساسية ترجع إلى:

١. الإيمان وما يتعلق به من (الإلهيات والنبوات واليوم الآخر).

٢. العبادات والمعاملات.

٣. الأخلاق.

٤. سياسة الأمة.

٥. أخبار الأمم السابقة.

### **المقاصد الكلية للقرآن الكريم:**

إن جميع مقاصد القرآن هي في الحقيقة عبارة عن وسائل للوصول إلى المقصد الكلي منها، وهو مقصد واحد هو المقصد الذي من أجله كان وجود الإنسان على ظهر البسيطة، وهو مقصد تحقيق الخلافة في الأرض، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نَسْبَحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

(١) الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ج ٥ ص ١١٩.

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، ج ١ ص ١٧٩.

**فالمقصد الكلي للقرآن: هو الغاية التي تسعى جميع المقاصد القرآنية إلى تحقيقها.**

ومثال ذلك: المقصد الخاص لكل عبادة:

فالصلاة لها مقاصد منها: مقصد تحقيق الطمأنينة، ومقصد تحقيق العبودية، ومقصد تحقيق الخضوع.

والصيام له مقاصد منها: مقصد تحقيق الصبر، ومقصد تحقيق الشعور بالفقراء.

والحج له مقاصد منها: مقصد تحقيق اجتماع كلمة المسلمين.

والزكاة لها مقاصد منها: مقصد تحقيق النظام التكافلي.

لكن جميع هذه المقاصد تسعى لتحقيق غاية واحدة من هذه العبادات ألا وهو:

تحقيق مقصد رضوان الله عز وجل، وهو ما أسميه بالمقصد الكلي من العبادة.

وكذلك هناك المقصد الكلي من المعاملات، والمقصد الكلي من الأخلاق، والمقصد

الكلي من النظام السياسي والعسكري... .

**تقسيمات مقاصد القرآن الكلية عند العلماء المعاصرين:**

**أولاً: تقسيم الإمام محمد رشيد رضا:**

ذكر الإمام محمد رشيد رضا هذه التقسيمات في "تفسير المنار"<sup>(١)</sup>، لكنه كان أكثر

وضوحاً في كتابه "الوحي المحمدي"<sup>(٢)</sup>، حيث جعلها في عشرة أنواع وهي:

١. مقصد تحقيق أركان الدين الثلاثة وهي: الإيمان بالله، والبعث والجزاء، والعمل الصالح.

---

(١) تفسير القرآن الحكيم المعروف بتفسير المنار، محمد رشيد رضا، ج ١١ ص ٢٠٦ وما بعدها.

(٢) الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا، ص ١٩١ وما بعدها.

٢. مقصد إرسال الرسل، وبيان ما جهل البشر من أمور النبوة والرسالة ووظائف الرسل.
٣. مقصد بيان أن الإسلام دين الفطرة السليمة، والعقل، والعلم، والحكمة، والبرهان، والحجة، والضمير، والوجدان، والحرية، والاستقلال.
٤. مقصد الإصلاح الإنساني الاجتماعي السياسي الوطني.
٥. مقصد تقرير مزايا الإسلام العامة في التكاليف الواجبة والمحظورة.
٦. مقصد حكم الإسلام السياسي الدولي.
٧. مقصد الإصلاح المالي.
٨. مقصد إصلاح نظام الحرب، ودفع مفسدها، وفلسفتها.
٩. مقصد إعطاء النساء جميع الحقوق الإنسانية والدينية والمدنية.
١٠. مقصد هداية الإسلام في تحرير الرقيق.

من خلال التدقيق في العنوان الذي وضعه محمد رشيد رضا وهو: "مقاصد القرآن في تربية نوع الإنسان" وبين المقاصد العشرة، نجد أن كلاً من هذه المقاصد يسعى إلى تحقيق نوع من الإصلاح الإنساني، ولذلك فإن المقصد الكلي عنده، من خلال التعريف الذي وضعته هو: تحقيق الإصلاح الإنساني الشامل.

### ثانياً: تقسيم الإمام محمد الطاهر بن عاشور:

بين الإمام محمد الطاهر بن عاشور مقاصد القرآن في كتابه: "التحرير والتنوير"<sup>(١)</sup>، وجعلها ثمانية مقاصد هي:

١. مقصد إصلاح الاعتقاد.
٢. مقصد تهذيب الأخلاق.

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ح ١ ص ٤٠ وما بعدها.



٣. مقصد التشريع.

٤. مقصد سياسة الأمة.

٥. مقصد القصص وأخبار الأمم السابقة.

٦. مقصد التعليم بما يناسب حال المخاطبين وعصورهم.

٧. مقصد المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير.

٨. مقصد إعجاز القرآن الكريم.

لم يُغفل ابن عاشور في كتابه؛ المقصد الأعلى من نزول القرآن، فقال: وشرف القرآن من بين أنواع الكلام أنه مشتمل على أعلى المعاني النافعة لصلاح الناس<sup>(١)</sup>.

ومن خلال النظر في مقاصد القرآن عند ابن عاشور، نجد أنه جعل القصص وأخبار الأمم السابقة، ومقصد التعليم، ومقصد إعجاز القرآن الكريم، من المقاصد، مع أنها في الحقيقة هي من الوسائل التي تحقق المقاصد، أي أنها تعدُّ بمنزلة المقاصد الجزئية وليست من المقاصد الكلية. كما اكتفى ابن عاشور بذكر مقصد التشريع، ولم يُفصل أنه يشتمل على مقاصد تشريع العبادات كإصلاح النفس، أو المقاصد من تشريع المعاملات، كالإصلاح المالي، والإصلاح الاجتماعي، والإصلاح القضائي.

وأما المقصد الذي جعله المقصد الأعلى من نزول القرآن، والذي عبر عنه في كتابه " مقاصد الشريعة الإسلامية" بـ "المقصد العام من التشريع" عندما قال: المقصد العام من التشريع فيها هو حفظ نظام الأمة واستدامة صلاحه بصلاح المهيمن عليه وهو نوع الإنسان، ويشمل صلاحه: صلاح عقله، وصلاح عمله، وصلاح ما بين يديه من موجودات العالم الذي يعيش فيه<sup>(٢)</sup>.

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ح ١ ص ٤٠ وما بعدها.

(٢) مقاصد الشريعة الإسلامية، ابن عاشور، ص ٦٠.

فهذا الكلام في الحقيقة يعبر عن ثلاثة مقاصد يمكن أن نعتبرها المقاصد الكلية للقرآن عند ابن عاشور وهي: تحقيق الصلاح الفردي، وتحقيق الصلاح الجماعي، وتحقيق صلاح العمران الذي يعيش فيه.

### التقسيم المعتمد لمقاصد القرآن الكلية:

لم يخرج أي من العلماء في تقسيم المقاصد عن وصف المقاصد بالمصالح المختلفة، حتى إن المقصد العام من القرآن الكريم عند أكثر العلماء كان "جلب المصالح ودرء المفاسد" بشكل عام، من هنا كان قول الغزالي: "المصلحة حفظ مقاصد الشرع"<sup>(١)</sup>.

ومن المعروف أن القرآن الكريم جاء شاملاً لمصالح العباد، فيما يخص حياتهم ومعاملاتهم وعباداتهم، وشؤونهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأخلاقية، كما لم يجرّد هذه المصالح عن المصلحة المنشودة للعباد في الدار الآخرة، بل ربما نبّه إلى مصلحة دنيوية قرنّها بالمصلحة الأخروية، كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢]

فقد قرن الله عز وجل في هذه الآية بين مصلحتين: دنيوية وهي: الحث على الجهاد من أجل تحقيق مصالح حفظ الدين أو العرض، وبين مصلحة أخروية هي: دخول الجنة. فلا يمكن أن نتكلم عن مقاصد القرآن الدنيوية دون ذكر المقاصد الأخروية، ولذلك سأعتمد هذا التقسيم أولياً لمقاصد القرآن، أي: إن مقاصد القرآن الكلية تنقسم إلى قسمين:

١. مقاصد القرآن الدنيوية.

٢. مقاصد القرآن الأخروية.

### أولاً: مقاصد القرآن الدنيوية:

جميع ما في القرآن الكريم من مصالح، لا تتعدى أن تكون في مصالح الأفراد بعينهم، أو المجتمع المحيط بهؤلاء الأفراد، أو بالمجموع الإنساني العام.

(١) المستصفي من علم الأصول، الغزالي، ج ١ ص ١٤٣.

والتشريع في المقصد الفردي، يقصد منه كل ما يتعلق من وسائل أو مقاصد جزئية تحقق صلاح الأفراد، ويأتي ذلك من خلال مقاصد إصلاح البدن والنفس والعقل وما يتعلق بها من متعلقات.

### ثانياً: مقاصد القرآن الأخروية:

وهو في الحقيقة المقصد العام من حياة الإنسان، فإن الإنسان الذي خُلق ليعيش في الدنيا، ثم أنزل الله له هذا التشريع لينظم حياته، ويحقق له فيها الخلافة، والسعادة، وإنشاء مجتمع مليء بالروابط الأخوية ثم الإنسانية، من أجل تحقيق الصلاح العالمي، لم يكن هذا هو المقصود بعينه، إذ إن حياة الإنسان الفرد لا تتجاوز بضع عشرات من السنين على أكثر تقدير، ثم الحياة الخالدة في الآخرة، ولذلك فإن المقصد الأخروي لهو الأهم، وإن كان أصل صلاحه يتأتى من صلاح حياته الدنيا، ومن هنا يتبين لنا سبب تقديم المصالح الأخروية على المصالح الدنيوية.

وكثيراً ما يختم الله عز وجل آياته بقضايا تتعلق بالدار الآخرة، إذ إن مقصود الشارع من خلق الإنسان بعد حياته الدنيا، هو حياته في الآخرة، وعلق صلاح الدار الآخرة بصلاح الحياة الدنيا، ولذلك بين الله عز وجل في القرآن للإنسان مقاصد الدار الآخرة، ليجعل الإنسان مقاصد الدنيا وسيلة لبلوغ مقاصد الآخرة من خلال بيان حقيقة الجنة والنار، وأنهما مآل العباد، فأظهر أوصاف الجنة، وكيف أعدها الله لعباده المؤمنين، ورغب فيها، وبيّن أوصاف النار، وكيف يعذب أهلها فيها، وبيان حقيقة الشوق إلى الله بالنظر إليه، وأن صلاح العمل في الدنيا سبب دخول الجنة في الآخرة، وأن فساد العمل في الدنيا سبب دخول النار في الآخرة، وأن صحبة أهل الصلاح في الدنيا لأنبيائهم في الآخرة.

## المبحث الخامس

### معرفة مناهج المفسرين المعاصرة

#### معرفة مناهج التفسير المعاصرة:

لا يخفى على من يدعي تفسير كتاب الله العزيز طرق التفسير، ومناهجه المختلفة، ابتداءً بمأثور القول من تفسير القرآن بالقرآن، وبالسنة، وبأقوال الصحابة والسلف، مروراً بمن فسر برأيه، محموداً كان رأيه أو مذموماً، حيث لا يعقل من مفسر لا يعلم مثل هذه الأمور تفصيلاً، وبشكل دقيق، ويستطيع التمييز والتفريق بين كل مدرسة من هذه المدارس، وخصائصها وأشهر مؤلفيها ومؤلفاتها، وقد تحدثت بشكل كاف عن ذلك في سابقاً، إنما الذي يعنيني هنا ما يهم المفسر من مناهج واتجاهات حديثة في التفسير، وكيف سار أصحابها في بيان المقصود الإلهي من الوحي المحمدي، إذ لا يكفي المفسر أن يبقى متمسكاً بمنهجه دون النظر في مناهج غيره من المفسرين، والإفادة منها بما يخدم كتاب الله عز وجل، الذي تعود بالفعل فائدته إلى حل مشكلات المجتمع المعاصر، ولعل هذه هي الغاية العظمى من إخراج تفاسير متوافقة مع مفهوم المعاصرة الحديثة، من غير إخلال بمقاصد الشارع من إنزال كتابه.

#### أولاً: المنهج الحديث للتفسير بالمأثور:

لعل النظرة القديمة في التفسير بالمأثور، غير واضحة في التفاسير الحديثة التي قدمت نفسها على أنها تفسر بالمأثور، وأعني أنها لا تسير على المنهج المتبع عند القدماء، كالطبري وابن كثير، بل هو أقرب ما يكون إلى تفسير القرآن بالقرآن من خلال جمع آيات الموضوع الواحد، وهو نوع من التفسير الموضوعي، حيث يورد المفسر عدداً من

الآيات، وربما أضاف بعضاً من الأحاديث وأقوال السلف، لتفسير آية معينة. ومن أشهر هذه التفاسير، تفسير " المنار " (١) لمحمد رشيد رضا.

وقد عرف الشيخ محمد رشيد رضا تفسيره بقوله: هذا هو التفسير الوحيد الجامع بين صحيح المأثور، وصريح المعقول، الذي يبين حكم التشريع، وسنن الله في الإنسان، وكون القرآن هداية للبشر في كل زمان ومكان... بحيث يفهمه العامة، ولا يستغني عنه الخاصة، وهذه هي الطريقة التي جرى عليها من دروسه في الأزهر، حكيم الإسلام، الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، رضي الله عنه (٢).

ويمكن أن نقسم تفسيره إلى ثلاثة أقسام:

١. في الجزء الأول من تفسيره، والذي أجزبه من شيخه قبل طبعه ونشره في مجلة المنار، فهو أقرب إلى فكر وروح الشيخ محمد عبده.

٢. في الأجزاء الأربعة التالية، كان متأثراً بدروس شيخه في الأزهر، حيث لم يقتصر على ما يلقيه شيخه، كما في الجزء الأول، بل توسع في الأدلة والآثار.

٣. في الأجزاء السبعة المتبقية من التفسير، فهو من تفسيره وتحريره روحاً وفكراً، حيث ظهرت شخصيته كاملة فيه، ذلك أنه كتبه بعد وفاة الشيخ محمد عبده.

ومن التفاسير التي عنيت بالمأثور أيضاً: تفسير "محاسن التأويل" لجمال الدين القاسمي، وهو من أحسن ما ألف حديثاً في التفسير، خاصة في مقدمته الطويلة التي أشار فيها إلى علوم كثيرة مفيدة لمفسر القرآن الكريم (٣).

---

(١) وهو تفسير " القرآن الحكيم"، المعروف بـ " المنار"، ولم يتم تفسيره بسبب وفاته، فقد وصل إلى تفسير الآية: [١٠١] من سورة يوسف، ثم أكمل تفسير سورة يوسف الشيخ محمد بهجت البيطار، أحد تلامذته، وطبع تفسير السورة مستقلاً. التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، ح ٢ ص ٥٧٧.

(٢) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ح ١ ص ١، ويشير بذلك إلى اتباع منهج شيخه الشيخ محمد عبده في التفسير.

(٣) تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص ٥٨١.

وتفسير "أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن" لمحمد الأمين المختار الشنقيطي، وقد توفي قبل إنهاء التفسير، حيث وصل إلى سورة المجادلة، ثم إن الشيخ عطية السالم تمم التفسير وطبعه كاملاً.

### ثانياً: المنهج العقلي الحديث:

يركز على إعمال العقل، وتحليلاته العقلية، وعلى تقديم الرأي المحمود.

ومن أشهر هذه التفاسير تفسير "التحرير والتنوير" لمحمد الطاهر بن عاشور، قال فيه: وقد ميزت ما يفتح الله لي من فهم معاني كتابه، وما أجلبه من المسائل العلمية، مما لا يذكره المفسرون، وإنما حسبي من ذلك عدم عثوري عليه فيما بين يدي من تفاسير<sup>(١)</sup>.

### ثالثاً: المنهج العلمي الحديث:

يقوم أصحاب هذا المنهج بتفسير الآيات تفسيراً علمياً، وفق قواعد العلم الحديث، وكان للنقد العلمي في العصر الحديث دوراً مهماً في سلوك هذا المنهج، والإكثار منه، خاصة في الآيات التي تبحث في المواضيع العلمية، الفلكية والكونية، وعلم النفس والاجتماع، وعلم إعجاز القرآن... .

إلا أن أكثر هذه الأعمال كانت جزئية، اهتمت بآيات الإعجاز العلمي، أو العلوم الكونية، ومن أشهر المؤلفات: "إعجاز القرآن" لمصطفى صادق الرافعي، يقرر فيه أن القرآن بآثاره النامية، معجزة أصلية في تاريخ العلم كله على بساط هذه الأرض، من لدن ظهور الإسلام إلى ما شاء الله<sup>(٢)</sup>.

---

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ح ١ ص ١١.

ومن ذلك أيضاً: تفسير الشيخ المراغي، والتفسير الواضح لمحمود حجازي، والتفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب. ينظر: محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ح ١ ص ٤٣٣.

(٢) إعجاز القرآن، مصطفى صادق الرافعي، ص ١٠٨.

## رابعاً: المنهج الاجتماعي الحديث:

تهتم هذه التفاسير بالمجتمع المسلم، ومشكلاته الاجتماعية، وتُقدّم العلاج الاجتماعي الناجع لها.

وأشهر التفاسير المعاصرة تفسير سيد قطب " في ظلال القرآن" وتفسير الدكتور وهبة الزحيلي، "التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج"، قال الدكتور الزحيلي في مقدمته: وسيكون تفسيري تفسيراً جامعاً يجمع بين المأثور والمعقول، مستمداً من أوثق التفاسير القديمة والحديثة...<sup>(١)</sup>، وعن منهجه في التفسير يقول: وينحصر منهجي أو خطة بحثي فيما يأتي:

١. قِسْمَةُ الآيات القرآنية إلى وحدات موضوعية بعناوين موضحة.

٢. بيان ما اشتملت عليه كل سورة إجمالاً.

٣. توضيح اللغويات.

٤. إيراد أسباب النزول... .

٥. التفسير والبيان.

٦. الأحكام المستنبطة من الآيات.

٧. البلاغة وإعراب كثير من الآيات... .

## خامساً: المنهج اللغوي والبياني الحديث:

وهذا المنهج الذي يهتم به نحاة كل عصر من العصور، فهو قديم حديث، يركز على بيان القرآن وبلاغته ونحوه وإعرابه وصرفه، وإعجازه اللغوي.

---

ومنه تفسير "التفسير الفريد للقرآن المجيد" لمحمد عبد المنعم الجمال، وكتاب "التفسير العلمي للآيات الكونية" لحنفي أحمد، وكتاب "الإسلام والطب الحديث" للدكتور عبد العزيز إسماعيل، وغيرها كثير. التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، ح ٢ ص ٣٦٧.

(١) التفسير المنير، وهبة الزحيلي، ح ١ ص ٥.

وأشهر هذه الكتب: "إعراب القرآن وبيانه" لمحي الدين الدرويش، يبرز فيه وجوه الإعراب والبيان المختلفة في القرآن الكريم.

### سادساً: المنهج الدعوي التفسيري الحديث:

وهو المنهج القديم المتبع عند المذاهب الدعوية، وهدفه الجهاد والمجاهدة، ودعوة المسلمين إلى الإيمان والسلوك والأخلاق.

ومن أشهر هذه التفسيرات "في ظلال القرآن" لسيد قطب، وهو من أجود التفسيرات، فيه اهتمامات بلاغية وأدبية، ثم فكرية وثقافية، ثم دعوية حركية تربوية، خاصة في قسمه الذي أتمه في السجن، يقول فيه: "إن النصوص القرآنية لا تدرك حق إدراكها بالتعامل مع مدلولاتها البيانية واللغوية فحسب...، إنما تدرك أولاً وقبل كل شيء بالحياة في جوها التاريخي الحركي، وفي واقعيتها الإيجابية، وتعاملها مع الواقع الحي"<sup>(١)</sup>.

وأهم ما ميز الظلال<sup>(٢)</sup>:

١. تعريف المسلمين على المهمة الحركية للقرآن.

٢. تربية المسلم تربية قرآنية.

٣. ربط الآيات القرآنية بالواقع المعاصر.

٤. التأكيد على المقاصد الأساسية للقرآن.

٥. التركيز على العقيدة الإسلامية.

٦. بيان حكمة التشريعات وتعليل الأحكام.

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ح ٣ ص ١٤٥٣.

(٢) ينظر ذلك بالتفصيل: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص ٥٩٦.



٧. تجاوزه للخلافات المذهبية.

٨. إبراز الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم.

### سابعاً: المناهج المنحرفة في التفسير في العصر الحديث:

وهي التفسير التي تقول بالرأي المذموم، مما لا يوافق مقاصد الشريعة والقرآن الكريم، والتي تصدر عنه بشكل واضح من أصحاب الفرق والمذاهب الضالة، وذلك لمناصرة مذهبها وعقائدها الباطلة.

ظهر في العصر الحديث بعض ممن يفسرون القرآن برأيهم، غير أنهم لا يبغون من تفاسيرهم هذه إلا إظهار آرائهم المنحرفة، وإبراز وجوه جديدة للتفسير، بغير ما علم من أهله، يسمون أنفسهم بالمجددين، يدعون إلى التجديد المفتوح لتفسير القرآن، غير أن الناظر في مناهجهم وطرقهم وكلامهم يجد من غير لبس؛ أن الجهل سيماهم، والهوى مقصدهم، وتدمير الدين الحق مطلبهم، وذلك من خلال دس السم في الدسم، فيمسون كتبهم بأبهي التسميات، ويطلون عليها أفضل العبارات، خاصة عندما يتصدى من يدعي علم بعض العلوم الكونية لها، أصدروا دراسات، سموها بالدراسات القرآنية، وهي بعيدة كل البعد عن منهج الله في القرآن الكريم، ويدخل ضمن هذه الفرق:

١. تفاسير الباطنية بكل أشكالها ومذاهبها.

٢. التفاسير المؤولة للصفات.

٣. تفاسير بعض الصوفية، وأهل الإشارة والرموز.

٤. تفاسير الفلاسفة والمتكلمين.

٥. تفاسير المهتمين بالتفسير العلمي الحديث، الذين يلهثون فقط وراء النظريات العلمية لتثبيتها من خلال القرآن.

٦. تفاسير أهل الفرق المتعصبة لمذاهبها الباطلة.

وسأنبه إلى أشهرها وأحدثها بشكل مختصر:

١. تفسير "البرهان في تفسير القرآن" لهاشم البحراني<sup>(١)</sup>: يقول في تفسيره: " قد اشتمل على كثير من أهل البيت عليهم السلام، الذين نزل القرآن في منازلهم، فمرجع تنزيله وتأويله إليهم"<sup>(٢)</sup>.

وهو كغيره من تفاسير الشيعة تعتمد على روايات أهل البيت، وأئمة الشيعة، ولو بأسانيد ضعيفة أو حتى واهية، ويتحاملون فيها على أهل السنة، ويطعنون في كبار الصحابة، وغير ذلك مما هو معروف عنهم.

٢. تفسير "هميان الزاد إلى دار المعاد" لمحمد يوسف أطفيش<sup>(٣)</sup>: وهو أشهر تفاسير الإباضية، يقول فيه: فهذا تفسير رجل إباضي وهبي، يعتمد فيه على الله تعالى، ثم على ما يظهر لفكره بعد إفراغ وسعه، ولا يقلد فيه أحداً<sup>(٤)</sup>.

٣. تفسير "الهداية والعرفان في تفسير القرآن"، لأبي زيد الدمنهوري<sup>(٥)</sup>: وهو من التفاسير الإلحادية، فقد أنكر فيه معجزات الأنبياء، وأنكر الملائكة والجن، وأنكر أحكام الدين كالزكاة وغيرها<sup>(٦)</sup>.

---

(١) هاشم بن سليمان البحراني: الحسيني، (ت: ١١٠٩ هـ)، ولد ومات في البحرين، وهو من الشيعة الإمامية، من أشهر كتبه "البرهان في تفسير القرآن"، ألف أكثر من أربعين كتاباً في التفسير والفقه والتاريخ على المذهب الشيعي. الأعلام، الزركلي، ح ٢ ص ٨٩.

(٢) البرهان في تفسير القرآن، هاشم البحراني، ص ٦.

(٣) محمد يوسف بن عيسى بن صالح أطفيش، الحفصي، الإباضي، (١٢٣٦ - ١٣٣٢ هـ)، ولد في الجزائر، عرف بالزاهد والورع، له مؤلفات كثيرة منها: "هميان الزاد إلى دار المعاد" و"داعي العمل ليوم الأمل"، و"تيسير التفسير". الأعلام، الزركلي، ح ٧ ص ١٥٦.

(٤) هميان الزاد إلى دار المعاد، محمد يوسف أطفيش، ح ١ ص ٥٢٢.

(٥) أبو زيد الدمنهوري: واحد من رواد الدعوة التي أنشأها الشيخ محمد رشيد رضا، له عدة مصنفات في الطعن بالسنّة منها: "الطلاق المدني في القرآن"، و"تفسير القرآن بالقرآن"، يدعو إلى حرق السنّة وإعدامها.

(٦) ينظر ما كتب عنه الشيخ محمد حسين الذهبي، في التفسير والمفسرون، ح ٢ ص ٣٨٣، فقد كان الرجل خبيثاً مغرضاً وقد صودر تفسيره من قبل المحكمة في مصر لانحرافه وضلاله.

هذا وينبغي على المفسر الحق للقرآن الكريم، أن يحيط بمجمل هذه التفاسير، ويتعرف على مناهجها، وطرق التفسير فيها، وقصد أصحابها من وضعها، ليكون في مأمن من الوقوع في شرك تفاسيرهم، والتنويه إلى ما جاء فيها، عند عرض تفسيره ليفندها ويعريها ويظهر عيوبها وفسادها، فيؤدي غرض التفسير من ناحية، وغرض الرد على المنكرين المبتدعين، والتنبيه إلى ضلالهم من ناحية أخرى.



## الفصل الرابع

### قواعد التفسير والترجيح

المبحث الأول: قواعد التفسير

المبحث الثاني: قواعد الترجيح

المبحث الثالث: القواعد المتعلقة بالقراءات وتطبيقاتها

المبحث الرابع: القواعد المتعلقة بالنص القرآني وتطبيقاتها

المبحث الخامس: القواعد المتعلقة بالسنة النبوية والآثار وتطبيقاتها

المبحث السادس: القواعد المتعلقة باللغة وتطبيقاتها

المبحث السابع: القواعد المتعلقة بأصول الفقه وتطبيقاتها



## المبحث الأول

### قواعد التفسير

تعريفها ومصادرها ونشأتها وأهميتها:

تعريف القواعد لغةً واصطلاحاً:

**القاعدة في اللغة:** تعني الأساس<sup>(١)</sup>، وجمعها قواعد، وهي أركان الشيء الأساسية وأصوله<sup>(٢)</sup>. ويستوي في هذا ما كان حسيّاً، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، أو معنوياً؛ كقواعد الدين، أو قواعد اللغة... .

**أما في الاصطلاح:** فقد عرفها العلماء بتعاريف كثيرة، بعضها قريب من بعض، لكنها لا تخرج عن تعريف واحد: هي الأمر الكلي الذي ينطبق عليه جزئيات كثيرة تفهم أحكامها منها<sup>(٣)</sup>.

وفي ضوء تعريفات كثيرة يمكن أن أستخلص التعريف التالي:

**القاعدة: هي حكم غالب على جزئيات قضية ما.**

أما القيد " غالب " فهو من أجل استثناءات القواعد، إذ لا تخلو قاعدة من استثناء، حتى لو قيل إنها قاعدة كلية، فلا بد من بعض جزئيات تشذ عن حكم الغالب، وهذه الشواذ لا تقلل من شأن القاعدة، فتحفظ بالقاعدة الأصول، وتحفظ مستثنياتها، فتتم القضية من جميع جوانبها، وتختلف المستثنيات كثرة وقلّة من قاعدة إلى أخرى، حتى ربما

(١) المصباح المنير، الفيومي، مادة (ق ع د).

(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص ٤٠٩.

(٣) الأشباه والنظائر، السبكي، ح ١، ص ١١.

تتعدم في القواعد العقلية؛ والتي لا تقبل الاستثناء كالقواعد في الرياضيات والفيزياء، فعندما نقول: محيط المربع يساوي مجموع أطوال أضلاعه، فالكلام يخص جميع المربعات بدون استثناء.

وللخروج من هذه التشعبات يمكن إضافة قيد للتعريف وهو: "شرعية"، للتركيز على القضايا الشرعية دون غيرها، أو إضافة قيد أكثر دقة مثل: "تفسير"، "فقه"، "نحو"، لنحصل على: قواعد التفسير أو قواعد الفقه أو قواعد النحو أو... .

### تعريف قواعد التفسير:

تعرف قواعد التفسير بأنها: الأحكام الكلية (الأغلبية) التي يتوصل بها إلى استنباط معاني القرآن العظيم ومعرفة كيفية الاستفادة منها<sup>(١)</sup>.

أما القيد: "ومعرفة كيفية الاستفادة منها" فإنه يُدخل قواعد الترجيح، في باب التعارض والترجيح.

وإذا نظرنا في هذا التعريف وجدنا فيه قيداً يُخرج جميع القواعد التي لا يستفاد منها في معرفة معاني القرآن الكريم، والقيد هو: "التي يتوصل بها إلى استنباط معاني القرآن الكريم". وبالتالي تخرج بعض قواعد اللغة والأصول والقواعد المتعلقة بالعلوم الكونية كالهندسة والمنطق.

لكن الذي أراه أن القرآن العظيم الذي يشتمل على جميع هذه الأمور؛ الأصولية واللغوية والكونية، يحتاج إلى القواعد التي تبين أحكامها، ولذلك يمكن أن يُخرج المفسر قاعدة ما من القواعد ظناً منه أنها لا تؤدي غرضها في تفسير القرآن، فلا يصح أن تُخرج من هذه القواعد إلا بعد اليقين العلمي أنها لا تؤدي نفعاً في التفسير، ومن هنا يمكن أن نضع تعريفاً أكثر ملائمة فأقول:

---

(١) قواعد التفسير، خالد السبت، ح ١ ص ٣٠.



## قواعد التفسير: هي الأحكام الكلية (الأغلبية) التي تستعمل في فهم النصوص القرآنية.

حيث يدخل في هذا التعريف جميع القواعد الفقهية والأصولية واللغوية، حتى الكونية التي تساهم في الفهم الكلي للقرآن الكريم، المعلومة فائدتها أو الخافية.

### علم قواعد التفسير غايته ونشأته:

غاية هذا العلم فهم معاني كتاب الله عز وجل، وهو كلام الله تعالى المنزل على النبي ﷺ، ليكون هداية للعالمين، وبفهمه وتطبيق أحكامه يحصل المؤمن على الفوز في الدارين. وفائدته الوصول به إلى فهم صحيح للقرآن الكريم مضبوط بالقواعد الكلية الصحيحة.

### استمداد قواعد التفسير:

أما استمداد القواعد التفسيرية فيكون باستقراء الكتاب والسنة بشكل عام:

١. القرآن الكريم نفسه: كقاعدة: حدود الله قد أمر بحفظها ونهي عن تعديها وقربانها<sup>(١)</sup>. وهي مأخوذة من قوله تعالى: ﴿والحافظون لحدود الله﴾ [التوبة: ١١٢].
٢. السنة النبوية: كقواعد أسباب النزول، أو مكان النزول (المكي والمدني). كقاعدة: إنما يعرف المكي والمدني بنقل من شاهد وعين التنزيل<sup>(٢)</sup>. فكتب التفسير مليئة بهذه القضية، والكثير منها آراء وأقوال لا دليل عليها، علماً أن هذه القضية معروفة تماماً عند الصحابة رضي الله عنهم، فعن ابن مسعود أنه قال: والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله تعالى إلا وأعلم فيمن نزلت، وأين نزلت<sup>(٣)</sup>.
٣. أصول الفقه: لأن حقيقتها استقراء كلييات الأدلة.

(١) القواعد الحسان لتفسير القرآن، عبد الرحمن السعدي، الرياض، ص ٩٥.

(٢) الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ح ١ ص ٢٣، وعزاه إلى القاضي أبو بكر في الانتصار.

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ.

٤. اللغة والنحو والصرف: فالقرآن نزل بلغة العرب وقواعدها.

٥. كتب علوم القرآن وبعض تفاسيره؛ التي هي في الحقيقة مطبقة لهذه القواعد.

٦. كتب التوحيد؛ وإن كان أصله راجع إلى الكتاب والسنة.

### نشأة علم قواعد التفسير:

قواعد التفسير مدونة، ومستقلة في مؤلف لم تظهر باكراً، إلا أن بوادر هذا العلم ظاهرة مع نشأة علم التفسير نفسه، غير أن القواعد فيها متناثرة بين طيات كتب التفسير، حيث اعتمد كثير من المفسرين عليها من غير الإشارة إلى أنها من قواعده.

ثم ظهر قسم منها في كتاب "الرسالة" للإمام الشافعي، وفي كتاب "أحكام القرآن" للشافعي أيضاً، وذلك في القرن الثاني الهجري.

فيما بعد ظهرت مجموعة من القواعد في كتب التفسير، ولا سيما عند شيخ المفسرين الطبري في "جامع البيان"، وفي "تأويل مشكل القرآن" لابن قتيبة، و"أحكام القرآن" للجصاص، وكان ذلك في القرن الثالث والرابع الهجريين.

ثم تتالت المؤلفات في القرنين الخامس والسادس، مع "الإحكام" لابن حزم، و"المستصفى" للغزالي، ليأتي دور ابن تيمية في التفسير، والقرطبي، وأبي حيان الأندلسي، والزركشي في "علوم القرآن"، وغيرهم ممن اهتموا بقواعد التفسير.

وهكذا ظلت قواعد التفسير ماثرة في بطون الكتب ما بين كتب التفسير وأصوله، وقواعد الفقه وأصوله.

وفي القرن الرابع عشر الهجري وقفنا على تدوين مستقل في قواعد التفسير وهو كتاب "القواعد الحسان لتفسير القرآن" للعلامة عبد الرحمن السعدي رحمه الله<sup>(١)</sup>.

(١) قواعد التفسير، خالد السبت، ج ١ ص ٤٣.

كما ذكر صاحب كشف الظنون كتاباً نسبة إلى ابن تيمية اسمه "قواعد التفسير"، لكن هذا الكتاب لم يصل إلينا منه شيء<sup>(١)</sup>.

ومن المعاصرين ألف خالد بن عبد الرحمن العك كتاباً سماه: "أصول التفسير وقواعده"، وألف خالد السبب كتابه: "قواعد التفسير".

### أهمية معرفة قواعد التفسير:

من رام الوصول إلى فن من الفنون، لا بد له من معرفة قواعده، والأصول التي تبني عليها مسأله، " فلا بد أن يكون مع الإنسان أصول كلية ترد إليها الجزئيات ليتكلم بعلم وعدل، ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت، وإلا يبقى في كذب وجهل في الجزئيات، وجهل وظلم في الكلّيات، فيتولد فساد عظيم"<sup>(٢)</sup>.

وتعرف أهمية قواعد التفسير من أهمية موضوعها، وهو القرآن الكريم، وكشف معانيه، وبيان لطائفه، وعجائبه وأسراره وإعجازه، وهذا كله لا يظهر للمفسر، إلا من خلال قواعد التفسير، التي تعد ملكة أو واسطة يصل بها المفسر إلى فهم آي القرآن.

قال الزركشي: ومعلوم أن تفسيره يكون بعضه من قبيل بسط الألفاظ الوجيزة، وكشف معانيها، وبعضه من قبيل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض لبلاغته ولطف معانيه، ولهذا لا يستغني عن قانون يعول في تفسيره عليه، ويرجع في تفسيره إليه<sup>(٣)</sup>.

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي: من محاسن الشريعة وكمالها وجمالها وجلالها، أن أحكامها الأصولية والفرعية، والعبادات والمعاملات، وأمورها كلها لها أصول وقواعد تضبط أحكامها وتجمع بين متفرقاتها، وتنتشر فروعها، وتردها إلى أصولها<sup>(٤)</sup>.

---

(١) كشف الظنون، حاجي خليفة، ج ٢ ص ١٣٥٨. وكذلك ذكر كتاباً لابن الصائغ اسمه: "المنهج القويم في قواعد تتعلق بالقرآن الكريم".

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج ١ ص ١٣٠.

(٣) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج ١ ص ١٥.

(٤) المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي، عبد الرحمن السعدي، ج ١ ص ٥٢٢.

إن: لابد لمفسر القرآن الكريم أن يكون على دراية كاملة، وتصور واضح لعلم قواعد تفسير القرآن الكريم، ومعرفة القواعد بشكل كلي أو جزئي، ليتمتع من أراد تفسير القرآن الكريم بحرفة عالية الدقة في تفسير كلام الله عز وجل، وصنعة متقنة لا تضاهيها صنعة أخرى، كيف لا والمفسر إنما يشتغل في أجلّ الكتب وأعلاها قدراً ومكانة؛ الذي لا يمكن له أن يتأوله مفسر بدون علم تام، مبني على أسس وقواعد ثابتة، فالقول بالقرآن الكريم بغير علم ودراية مذموم عند أهل الفن والصنعة، ناهيك عن سواهم من أهل الفنون.

## المبحث الثاني

### قواعد الترجيح

**مفهومها وأهميتها عند المفسرين:**

**مفهوم قواعد الترجيح<sup>(١)</sup>:**

تقدم تعريف قواعد التفسير، وتبين أنه: الأحكام التي تستعمل في فهم النصوص القرآنية، أما إضافة "الترجيح" فهذا يعني: الأحكام التي يتوصل من خلالها إلى الراجح من الأقوال المختلفة في موضوع من مواضيع العلوم.

إن: هذه القواعد ليست من أجل استنباط الأحكام من القضايا، ولكن من أجل النظر في الأقوال المستنبطة أولاً، والترجيح بينها من خلال هذه القواعد.

كما أنها ليست من أجل الأقوال المتفق عليها، بل المختلف فيها، لأن المتوافق عليه لا ترجيح فيه. وإذا قيدناها بالتفسير لتصبح: قواعد التفسير الترجيحية، فإننا نُخرج منها ما في كتاب الله عز وجل من علوم كالفقه واللغة وغيرها.

---

(١) الترجيح: في اصطلاح الأصوليين هو: تقوية إحدى الأمرتين على الأخرى بدليل، وهو عند المفسرين: تقوية أحد القولين بدليل. شرح الكوكب المنير، ابن النجار، ج ٤ ص ٦١٦.

وبالتالي يمكن أن نعطي تعريفاً نهائياً لقواعد التفسير الترجيحية، بأنها:

**الأحكام الكلية التي يُتوصل من خلالها إلى معرفة الراجح من أقوال المفسرين.**

**أهمية معرفة قواعد التفسير الترجيحية:**

يمكن أن نتلخص في أمرين اثنين<sup>(١)</sup>:

١. معرفة أصح الأقوال وأولها بالقبول في تفسير كتاب الله، ومن ثم العمل بها اعتقاداً إن كانت من آيات العقيدة، وعملاً بالجوارح إن كانت من آيات الأحكام العملية، وسلوكاً وأدباً إن كانت من الأخلاق والآداب.

٢. تصفية وتنقية كتب التفسير مما قد علق ببعضها، من أقوال شاذة أو ضعيفة، أو مدسوسة فيها لمذهب عقدي ونحو ذلك، وتمييزه عن الصحيح.

**ليس كل اختلاف يحتاج إلى ترجيح في التفسير:**

فعندما تكون جميع الأقوال محتملة في الآية، والأقوال بقوة قريبة من بعضها، ولكل منها ما يشهد من كتاب أو سنة أو إجماع، فمثل هذا الخلاف لا يدخله ترجيح، لأن الأقوال كلها صحيحة، ويمكن أن تكون مراده من الآية:

كالخلاف في لفظة "ما" في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ﴾ [الرعد: ٨]، فهي تحتل أن تكون موصولة، أي: يعلم الذي تحمله كل أنثى، والمعنى: يعلم ما تحمله من ولد من ذكورة أو أنوثة، وحسن أو قبح، ... وغير ذلك. وتحتل أن تكون "ما" مصدرية، أي يعلم حمل كل أنثى<sup>(٢)</sup>.

فهذا خلاف محتمل للوجهين، وكل الأقوال حق، فلا يحتاج إلى ترجيح.

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين الحربي، ج ١ ص ٤٠.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد المختار الشنقيطي، ج ٣ ص ٨.

## لكن الذي يحتاج إلى ترجيح:

١. التعارض بين الأقوال التي يتعذر حمل الآية عليها جميعاً، وهنا لا بد أن يكون المراد أحدها، وغالب ذلك في الألفاظ المشتركة، فيمتنع إرادة المعنيين في آن واحد. مثل "القرء"، فإنه يراد به الحيض ويراد به الطهر، لكن لا يمكن أن يراد المعنيين في آن واحد، عند المفسر نفسه، ولذلك وجب الترجيح بالدليل.

٢. عندما لا يوجد تعارض في الأقوال، إنما يكون بعضها معارضاً لنص صريح من قرآن أو سنة صحيحة أو إجماع؛ فمثل هذه الأقوال تطرح ويرجح غيرها من الأقوال الأخرى: كقول مقاتل بن سليمان: إن الله إنما أمر الملائكة بالسجود لآدم قبل أن يخلقه<sup>(١)</sup>. وهذا القول معارض لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا سُوِيَتْهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩]، ولا عبرة لهذا القول مع النص الصحيح الصريح.

٣. وهو ما إذا كانت الأقوال محتملة وغير متعارضة، غير أن بعضها أولى من بعض لدليل أقوى: قال العز بن عبد السلام: وأولى الأقوال ما دل عليه كتاب في موضع آخر، أو السنة، أو إجماع الأمة، أو سياق الكلام، وإذا احتل الكلام معنيين وكان حمله على أحدهما أوضح وأشد موافقة للسياق كان الحمل عليه أولى<sup>(٢)</sup>.

وهذا ما كان يفعله ابن كثير: وكلا القولين معنى حسن ولكن الأول أولى<sup>(٣)</sup>.

(١) تفسير البحر المحيط، أبو حيان، ج ١ ص ١٩٠.

(٢) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، العز بن عبد السلام، ص ٢٢٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج ٨ ص ٢٨٤.

## المبحث الثالث

### القواعد المتعلقة بالقراءات وتطبيقاتها

[قاعدة: كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصح سندها فهي القراءة الصحيحة. ومتى اختلف ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها: ضعيفة أو شاذة أو باطلة].

من المعلوم أن القرآن نزل على سبعة أحرف، كما جاء في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: أقراني جبريل على حرف فراجعتة، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف<sup>(١)</sup>.

ولذلك فإن الخلاف واقع في بعض أوجه القراءة، لكن هذا لا يعني أن تقبل أي قراءة تصل إلينا، فلا بد من ضابط يضبطها، لأنها كلام الله وفيه التشريع والدين.

في هذه القاعدة ضوابط ثلاثة للقراءة الصحيحة المقبولة: صحة السند عن النبي ﷺ ولا يشترط فيه التواتر<sup>(٢)</sup> بل مجرد الصحة إذ إن القراءة المتواترة لا بد من قبولها حتى ولو لم تحقق الشرطين الآخرين لثبوت صحة القراءة؛ لأن التواتر يثبتها قطعاً أنها من لفظ النبي ﷺ، وأن يكون للقراءة وجه شائع في العربية، سواء كان هو الوجه الأصح أم الصحيح، وموافقتهما لخط المصحف العثماني لأنه المجمع عليه من قبل الصحابة؛ الذين قرروا إحراق ما عداه.

وكل قراءة أخلت بشرط من الشروط عدت قراءة ضعيفة أو شاذة أو باطلة.

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف. والحديث مروى عن أكثر من عشرين من الصحابة، وهذا يدل على تواتره.

(٢) وهذا الذي رجحه ابن الجزري، بينما اشترط بعض المتأخرين التواتر في النقل، وقد أورد ابن الجزري كلاماً رائعاً في تفصيل المسألة، وقد تركته خشية الإطالة. النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ج ١ ص ١٣.

ومن أمثلة هذه القاعدة:

١- القراءة التي لم يصح سندها ووافقت اللغة والرسم: مثل قوله تعالى: ﴿فاليوم ننجيك ببذنك لتكون لمن خلفك آية﴾ [يونس: ٩٢]، قرأت (ننجيك) بالحاء المهملة (ننجيك) أي نبعذك، وقرأت (خلفك) بالخاء المعجمة، وفتح اللام (خَلَفَكَ)<sup>(١)</sup>.

٢- القراءة التي صح سندها ورسمها ولا وجه لها في العربية:

يقول ابن الجزري: ولا يصدر مثل هذا إلا على وجه السهو والغلط وعدم الضبط، ويعرفه الأئمة المحققون، وهو قليل جداً بل لا يكاد يوجد، كما في القراءة المنسوبة إلى نافع: (وجعلنا لكم فيها معائش) بالهمز<sup>(٢)</sup>.

٣- القراءة التي صح سندها وصحت موافقتها للعربية، لكنها خالفت رسم المصحف: ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم﴾ [المائدة: ٨٩]، فقرأ ابن مسعود: (فصيام ثلاثة أيام متتابعات) بزيادة كلمة (متتابعات)<sup>(٣)</sup>.

**إقاعدة: الوجه التفسيري أو الإعرابي الموافق لرسم المصحف أولى من الوجه المخالف له:**

فإذا كان أحد أقوال المفسرين موافقاً لرسم المصحف، وكان القول الآخر مخالفاً، فإن القول بالتفسير الموافق أصح وذلك لإجماع الصحابة على رسم المصحف.

ويقال في الأوجه الإعرابية ما يقال في الوجه التفسيري، في الأوجه الإعرابية الموافقة للرسم أولى من الأوجه المخالفة للرسم.

(١) وهي قراءة ابن السَّمِيعِ وأبي السَّمَالِ. النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ح ١ ص ١٦.

(٢) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ح ١ ص ٦٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ح ١ ص ٤٧. ينظر: أصول التفسير وقواعده، خالد عبد الرحمن العك، ص ٤٢١ وما بعدها.



وقد اعتمد الطبري عند تفسير قوله تعالى: ﴿ويكأن﴾ [القصص: ٨٢]، على هذه القاعدة، فقال: وأولى الأقوال بالصحة... أن معناه: ألم تر، ألم تعلم، للشاهد الذي ذكر نافية قول الشاعر، والرواية عن العرب، وأن "ويكأن" في خط المصحف حرف واحد، ومتى وجه ذلك إلى غير التأويل الذي ذكرناه...، فإنه يصير حرفين، وذلك أنه إن وجه إلى قول من تأوله بمعنى: ويك أعلم أن الله، وجب أن يفصل "ويك" من "أن"، وذلك خلاف خط جميع المصاحف، مع فساده في العربية، وإن وجه إلى قول من يقول: "وي" بمعنى التنبيه، ثم استأنف الكلام "كأن"، وجب أن يفصل "وي" من "كأن" وذلك خلاف خطوط المصاحف كلها، فإذا كان حرفاً واحداً، فالصواب من التأويل ما ذكرنا<sup>(١)</sup>.

#### **قاعدة يعمل بالقراءة الشاذة صحيحة السند عمل خبر الأحاد]:**

فإذا كانت القراءة ثابتة من جهة السند، ومخالفة للرسم أو العربية، ولذلك لم نعدنا قرآناً، فإنها تنزل منزلة الحديث، والحديث إذا صح لزم العمل بمقتضاه، كما هو معروف عند أهل الحديث.

#### **قاعدة: إذا ثبتت القراءات فلا تكون إحداهما أفضل من الأخرى معنى ولا إعراباً<sup>(٢)</sup>:**

وهذه القاعدة تصح في القراءات المتواترة، التي استوفت شروط القبول، والمقطوع بأنها من كلام الله عز وجل. وأنها قرآن يتلى ويتعبد بتلاوته، ويستشهد به على الأعمال والأحكام، بالتالي لا يصح لأحد أن ينقص من قدرها، أو يقلل من شأنها، أو يقدح في بلاغتها أو تعظيمها أو رد حكمها، فكل من عند الله تبارك وتعالى.

قال الزركشي: إلا أنه ينبغي التنبيه على شيء، وهو أنه قد ترجح إحدى القراءتين على الأخرى ترجيحاً يكاد يسقط القراءة الأخرى، وهذا غير مرضي، لأن كليهما متواترة،

(١) تفسير الطبري، ح ٢٠ ص ١٢١.

(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ح ١ ص ٣٣٩.

وقد حكى أبو عمر الزاهد أنه قال: إذا اختلف الإعراب في القرآن عن السبعة لم أفضل إعراباً على إعراب في القرآن".

وقال أبو جعفر النحاس في سورة المزمّل: السلامة عند أهل الدين أنه إذا صحت القراءتان عن الجماعة ألا يقال: إحداهما أجود؛ لأنهما جميعاً عن النبي ﷺ، فيأثم من قال ذلك، وكان رؤساء الصحابة ينكرون مثل هذا<sup>(١)</sup>.

إن: فالواجب أن يختار القارئ إحدى الروايتين، لكن ليس له أن يفضل إحداهما على الأخرى، فعندما تكون القراءتان متواترتين؛ لا ينبغي أن ترد إحداهما البتة، مهما كان السبب، بل يكفي القارئ بالاختيار.

**قاعدة: القراءتان المختلفتان في المعنى من غير تعارض وعادتا إلى ذات واحدة، كان ذلك زيادة في حكم هذه الذات]:**

تختلف هذه القاعدة عن سابقتها؛ بأنها ذات واحدة، وتلك تستقل كل قراءة بذاتها، فالمعنى الذي تدل عليه هذه القاعدة واحد في القراءتين.

ومن أمثلة هذه القاعدة:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، قرأت: (يطهرن)، بالتخفيف والتشديد:

فأما قراءة التخفيف: فتعني انقطاع الدم مع احتمال الاغتسال بعده.

وأما قراءة التشديد: فتدل على الغسل بعد انقطاع الدم أكثر من دلالتها على مجرد انقطاع الدم<sup>(٢)</sup>.

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ح ١ ص ٣٣٩.

(٢) المبسوط في القراءات العشرة، الأصبهاني، ص ١٤٦.

## المبحث الرابع

### القواعد المتعلقة بالنص القرآني وتطبيقاتها

[قاعدة لا يصح النسخ في كلام الله إلا بدليل معتبر]:

فإذا تنازع المفسرون في آية من كتاب الله تعالى، في أنها منسوخة أو غير منسوخة، فالصحيح أنها غير منسوخة، ما لم يُثبِت المدعى بالنسخ ذلك بدليل صريح على ذلك، من خلال طرق معرفة النسخ التي قررها الأصوليون<sup>(١)</sup>، أو انتقاء حكم الآية من جميع الوجوه لثبوت نقيض الحكم.

وفي إثبات هذه القاعدة يقول الطبري في تفسيره: وليس في الآية دليل على أن حكمها منسوخ...، وغير جائز أن يحكم بحكم قد نزل به القرآن أنه منسوخ، إلا بحجة يجب التسليم لها، فقد دللنا في غير موضع من كتبنا على أن لا منسوخ إلا ما أبطل حكمه حادث حكم بخلافه، بنفيه من كل معانيه، أو يأتي بخبر يوجب الحجة أن أحدهما ناسخ الآخر" كما أثبت أغلب العلماء هذه القاعدة<sup>(٢)</sup>.

ومن أمثلة هذه القاعدة:

ما جاء في قوله تعالى: ﴿فإِذَا مَا بَعَدَ وَإِذَا فُتِنًا تَضَعُ الْحَرْبَ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد: ٤].

قيل: إنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا تَتَفَقَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدْ بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٥٧].

(١) كتصحيح الشارع على النسخ، أو التصريح بلفظ يدل عليه، أو الإجماع، أو حكاية الصحابي.

(٢) تفسير الطبري، ح ١٣ ص ٣٨٢.

وقيل: بل هي محكمة، وليست منسوخة، وكذا آية القتل محكمة، والمعنى: أن للإمام الخيار في المنّ أو الفداء أو القتل، حسب ما تقتضيه مصلحة المسلمين<sup>(١)</sup>.

والقاعدة هنا ترجح العمل بإحكام الآيات وعدم نسخها، حيث يمكن العمل بكل الآيات، وليس هناك دليل يدل على صراحة النسخ، فقد منّ النبي ﷺ على أسرى بدر بالفداء، وقتل عقبة بن أبي معيط، وقتل بني قريظة وقد نزلوا على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه، وغير ذلك من الأدلة في السنة النبوية.

إن: فالقول بإحكام الآيات والعمل بها، مقدم على النسخ إلا في حالات ضيقة جداً، وهي إثبات النسخ بشكل قاطع لا شبهة فيه، وليس من احتمال في أعمال الكلام جميعاً، أو ما يخصه، ولذلك يتفرع عن هذه القاعدة عدد من القواعد هي:

١. يقدم التخصيص على النسخ إذا تعارضاً.

٢. يقدم الإضمار والمجاز والنقل على النسخ في حال التعارض.

٣. يقدم الاشتراك على النسخ إذا تعارضاً.

٤. الأصل عدم النسخ.

### **قاعدة ربط النص بسياقه القرآني أولى من إفراده:**

وهو ما عبّر عنه بعض العلماء بإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما، إلا بدليل معتبر، فإن حمل الآية على التفسير الذي يجعلها جزء منه وفي معناه، أحسن من إخراجها عنه وحملها على معانٍ غير داخلية في معناه، لأنه أوفق للنظم، ما لم يرد ما يدل على غير ذلك.

وممن قال بهذه القاعدة، مسلم بن يسار: إذا حدثت عن الله فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده.

(١) ينظر: تفسير الطبري، ح ٢٦ ص ٤٠. قال ابن عباس بالنسخ، وقال بالإحكام: ابن عمر، رضي الله عنهم.

وقال ابن جزى الكلبى فى تفسيره: أن يشهد بصفة القول سياق الكلام، ويدل عليه ما قبله وما بعده.

فلا بد للمفسر أن يربط الكلام بعضه مع بعض، ويفسر ما يبرز التركيب فى النص القرآنى، فإن المعانى تظهر فى سياقها المنظومة به، ولا سيما أنه كلام الله عز وجل، وهو بنظمه هذا فيه الإعجاز والبلاغة والمعنى المراد، وإن أفضل ما يدلنا على المعنى من قرائن، تفسير الألفاظ متناسبة ومتوافقة مع ما سبق وما تأخر من ألفاظ وتراكيب.

ومن أمثلة هذه القاعدة ما جاء فى تفسير قوله تعالى: ﴿يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون﴾ [النحل: ٨٣]، فقد اختلف المفسرون فى تفسير "النعمة"، فقال بعضهم: هو النبى محمد ﷺ، وقال آخرون: بل معنى ذلك أنهم يعرفون أن ما عدّد الله تعالى ذكره من هذه السورة من النعم من عند الله، وأن الله هو المنعم، لكنهم ينكرون ذلك، فيزعمون أنهم ورثوها عن آبائهم، وقال غيرهم: معنى ذلك أن الكفار إذا قيل لهم: من رزقكم؟ أقروا بأن الله هو من رزقهم، ثم ينكرون ذلك. وقال غيرهم: معنى ذلك عند قول الرجل: لولا فلان ما كان كذا وكذا<sup>(١)</sup>.

إلا أن سياق الكلام يؤكد قول من قال: أن معنى "النعمة" هي النبى محمد ﷺ، ذلك أن الآية جاءت بين آيتين كلتاهما خبر عن رسول الله ﷺ، وعن بعثته ونبوته: قال تعالى: ﴿فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين (٨٢) يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون (٨٣) ويوم نبعث من كل أمة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون﴾ [النحل: ٨٢-٨٤].

### **[قاعدة: زيادة اللفظ القرآنى لزيادة المعنى، وقوته لقوة المعنى]:**

فليس فى القرآن الكريم حشو، ولا تكرار بلا فائدة مرجوة، فى المعنى أو فى غيره، ولا يذكر لفظاً زائداً إلا لمعنى زائد.

(١) تفسير الطبرى، ح ٤، ص ١٥٧ وما بعدها.

وهذه القاعدة ذكرها ابن تيمية عند حديثه عن وجه التكرار في سورة "الكافرون"، فبعد أن ذكر أقوال المفسرين قال: فإن القرآن له شأن اختص به، لا يشبهه كلام البشر، لا كلام نبي ولا غيره، وإن كان نزل بلغة العرب، فلا يقدر مخلوق أن يأتي بسورة، ولا ببعض سورة مثله، فليس في القرآن تكرار للفظ بعينه عقب الأول قط، وإنما خطابه في سورة الرحمن بذلك بعد كل آية، لم يذكرها متوالياً، وهذا النمط أرفع من الأول، وكذلك قصص القرآن ليس فيها تكرار كما يظنه بعضهم<sup>(١)</sup>.

لذلك تفرعت عن هذه القاعدة عدد من القواعد منها:

### ١. [قاعدة: قد يرد التكرار لتعدد المتعلق]<sup>(٢)</sup>:

ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ١٩]، وقد ذكرت عشر مرات، حيث إن الله عز وجل ذكر قصصاً مختلفة، ثم عقب بعد كل منها بهذا القول، فكل منها متعلق بقصته، فكأنه يقول: ويل يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ بهذه القصة.

### ٢. [قاعدة: لم يقع في كتاب الله تكرر بين متجاورين]:

وبهذه القاعدة جنح الطبري إلى أن: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ليست من الفاتحة، لأنه إعادة آية بمعنى واحد ولفظ واحد من غير فاصل يفصل بينهما، وغير موجود في شيء من كتاب الله آيتان متجاورتان مكررتان بلفظ واحد ومعنى واحد...<sup>(٣)</sup>.

### ٣. [قاعدة: النكرة إذا تكررت دلت على التعدد، بخلاف المعرفة]<sup>(٤)</sup>:

فإن الاسم إذا ذكر مرتين فله أربعة أصول<sup>(٥)</sup>:

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ح ١٦ ص ٥٣٧.

(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ح ٣ ص ١٩.

(٣) ينظر: تفسير الطبري، ح ١ ص ١٤٦.

(٤) المنثور في القواعد، الزركشي، ح ٣ ص ٣٨١.

(٥) الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ح ٢ ص ٢٩٦.

أ- إما أن يكونا معرفتين: فيكون الأول هو الثاني غالباً<sup>(١)</sup>، قال تعالى: ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين (٢) ألا لله الدين الخالص﴾ [الزمر: ٢-٣]، (فالدین) في الموضع الثاني هو نفسه المذكور في الموضع الأول.

ب- وإما أن يكونا نكرتين: فالثاني غير الأول غالباً، قال تعالى: ﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير﴾ [الروم: ٥٤]، فالضعف الأول هو النطفة، والثاني هو الجنين، والثالث هو الشيخوخة. والقوتان: الأولى هي التي تحرك الطفل بالبكاء ليدفع بها الأذى عن نفسه، والثانية هي التي في الشباب.

ت- وإما أن يكون الأول نكرة والثاني معرفة: فالثاني هو الأول حملاً على العهد، قال تعالى: ﴿كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً (١٥) فعصى فرعون الرسول﴾ [المزمل: ١٥ - ١٦]، فالرسول في الموضع الثاني هو ذات الرسول في الموضع الأول.

ث- وإما أن يكون الأول معرفة والثاني نكرة: وهذا متوقف على القرينة التي توضح الأمر. ومنه قوله تعالى: ﴿ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة﴾ [الروم: ٥٥]، فالساعة في الموضع الأول: القيامة، وفي الموضع الثاني: المدة الزمنية المحدودة، فهنا مختلفان.

#### ٤. [قاعدة: تحمل معاني القرآن على الغالب من أسلوبه]:

تتشابه أحياناً بعض الألفاظ والتراكيب القرآنية في مواضع مختلفة من كتاب الله عز وجل، وإن الاتفاق على تفسيرها يكون في أغلب المواضع، لكن ربما اختلف المفسرون عليها في بعض المواضع، فإن القاعدة تقول: إن هذا الاختلاف يحمل على غالب ما فسر مثله في غير موضع.

---

(١) هذا كله بناء على الغالب، وإلا فقد تخرج بعض الصور عن القاعدة، وقد ذكر السيوطي في الإتيان صوراً خرجت عن القاعدة، ح ٢ ص ٢٩٧ وما بعدها.

ومنه ما استدل به ابن عباس رضي الله عنهما عند مخاصمته لنافع بن الأزرق<sup>(١)</sup>، في تفسير (الورود) في قوله: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١]، فسرها بـ (الدخول)، فقال نافع: لا، فقرأ ابن عباس قوله تعالى: ﴿إِنْكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، ثم قال له: أورد هو أم لا؟ ثم قرأ: ﴿يَقْدِمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأُورِدُهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمُرُودُ﴾ [هود: ٩٨]، ثم قال: أورد هو أم لا؟ أما أنا وأنت فسندخلها، فانظر هل نخرج منها أم لا<sup>(٢)</sup>. وبهذا استدل ابن عباس على تفسيرها بغالب ما فسرت به في مواضع أخرى.

ومن الأمثلة التطبيقية على هذه القاعدة:

ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَبْدِينُ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: ٣١]، في تفسير (الزينة)، ومجمل أقوال العلماء فيها<sup>(٣)</sup>:

١. المراد بالزينة، ما تتزين به المرأة خارجاً عن أصل خلقتها، وهي ظاهر الثياب فقط، وهي ظاهرة بحكم الاضطرار، وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه.
٢. المراد بالزينة، ما تتزين به، وليس من أصل خلقتها، لكن يستلزم ذلك رؤية شيء من بدنها، كالحضاب والكحل والخاتم.
٣. المراد بالزينة الظاهرة بعض بدن المرأة، والذي هو من أصل خلقتها، كالوجه والكفين.

فالبغرم من استدلال أصحاب الأقوال الثلاثة السابقة، بالسنة وبالتفسيرات اللغوية لدعم مذهبهم، فإن هذه القاعدة ترجح القول الأول، وذلك بالنظر إلى معنى (الزينة) في

(١) نافع بن الأزرق: بن قيس البكري الخارجي، (ت: ٦٥ هـ)، رأس الأزارقة وإليه نسبتهم، له أسئلة في التفسير سأل بها ابن عباس رضي الله عنهما، أخرج الطبراني بعضها في معجمه الكبير. الأعلام، الزركلي، ح ٧ ص ٣٥٢.

(٢) تفسير الطبري، ح ١٦ ص ١٠٩.

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن، محمد المختار الشنقيطي، ح ٦ ص ١٩٧.



مواضع أخرى من القرآن الكريم. فإن الزينة في قوله تعالى: ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ [الأعراف: ٣١]، وفي قوله تعالى: ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾ [الأعراف: ٣٢]، وقوله تعالى: ﴿وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون﴾ [القصص: ٦٠]، وفي قوله تعالى: ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون﴾ [النحل: ٨]، وفي قوله تعالى: ﴿فخرج على قومه في زينته﴾ [القصص: ٧٩]، وغيرها من الآيات التي وردت فيها كلمة (زينة)، فكلها يراد بها ما يزين به الشيء وهو ليس من أصل خلقته، فيرجح هذا المعنى عند الخلاف.

ويدخل تحت هذه القاعدة، أكثر ما ذكره المفسرون من الكليات؛ لأن الكليات أغلبية وليست مطردة وتامة بدون استثناءات.

### من كليات القرآن:

نقل الزركشي عن ابن فارس في كتاب الأفراد، كثير من كليات القرآن، فمنها:

١. كل ما في كتاب الله من ذكر الأسف فمعناه الحزن كقوله تعالى في قصة يعقوب عليه السلام: ﴿يا أسفى على يوسف﴾ [يوسف: ٨٤]، إلا قوله تعالى: ﴿فلما أسفونا﴾ [الزخرف: ٥٥]، فإن معناه أغضبونا وأما قوله في قصة موسى عليه السلام ﴿غضبان أسفا﴾ [طه: ٨٦]، فقال ابن عباس مغناظاً.

٢. وكل ما في القرآن من ذكر البروج فإنها الكواكب كقوله تعالى ﴿والسما ذات البروج﴾ [البروج: ١]، إلا التي في سورة النساء ﴿ولو كنتم في بروج مشيدة﴾ [النساء: ٧٨]، فإنها القصور الطوال المرتفعة في السماء الحصينة.

٣. وما في القرآن من ذكر البعل فهو الزوج كقوله تعالى: ﴿وبعولتهن أحق بردهن﴾ [البقرة: ٢٢٨]، إلا حرفاً واحداً في الصافات: ﴿أتدعون بعلأ﴾ [الصافات: ١٢٥]، فإنه أراد صنماً.

٤. وكل ما في القرآن حسرة فهو الندامة كقوله عز وجل ﴿يا حسرة على العباد﴾ [يس: ٣٠]، إلا التي في جاءت في آل عمران ﴿ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم﴾ [آل عمران: ١٥٦]، فإنه يعني به حزناً.
٥. وكل شيء في القرآن من ريب فهو شك غير حرف واحد وهو قوله تعالى ﴿نتربص به ريب المنون﴾ [الطور: ٣٠]، فإنه يعني حوادث الدهر.
٦. وكل شهيد في القرآن غير القتلى في الغزو فهم الذين يشهدون على أمور الناس إلا التي في البقرة قوله عز وجل: ﴿وادعوا شهداءكم﴾ [البقرة: ٢٣]، فإنه يريد شركاءكم.
٧. وكل عذاب في القرآن فهو التعذيب إلا قوله: ﴿وليشهد عذابهما﴾ [النور: ٢]، فإنه يريد الضرب.
٨. النكاح في القرآن التزوج إلا قوله جل ثناؤه: ﴿حتى إذا بلغوا النكاح﴾ [النساء: ٦]، فإنه يعني الحلم<sup>(١)</sup>.

#### قاعدة: القول بالترتيب مقدم على القول بالتقديم والتأخير:

القول بالترتيب هو الأصل، ما لم يدل دليل صحيح على تقديم أو تأخير، ولا سيما إذا استقام المعنى بالترتيب المذكور، ولو كان التقديم أو التأخير محتملاً، فلا يعدل إليه إلا بدليل أو قرينة. والتقديم والتأخير من بلاغة العرب وأسلوبهم في الخطاب، ويفهم من قرائنه، والقرآن نزل بلغة العرب فكان هذا الأسلوب فيه. أما ما دل عليه الدليل الصحيح أو القرينة؛ فإنه لا خلاف فيه عند العلماء، كما في قوله تعالى: ﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن﴾ [البقرة: ١٢٤]، فتقدم المفعول وتأخر الفاعل وهذا بلاغة.

وممن نص على هذه القاعدة الطبري، حيث قال: ولا وجه لتقديم شيء من كتاب الله عن موضع وتأخيره عن مكانه إلا بحجة واضحة<sup>(٢)</sup>.

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ح ١ ص ١٠٥ وما بعدها.

(٢) تفسير الطبري، ح ١٣ ص ٦٦.

كما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير (٣) فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم﴾ [المجادلة: ٣-٤]. والخلاف منحصر في تفسير (يعودون) فمنهم القائل بالتأخير، وعلى هذا لا يكون العود شرطاً في وجوب الكفارة<sup>(١)</sup>. وذهب جمهور المفسرين إلى أن الآية على ترتيبها، وليس فيها تقديم ولا تأخير، على الرغم من اختلافهم في تفسير العود<sup>(٢)</sup>.

والقول بالترتيب على النظم القرآني أولى، إذ لا يحتاج الشارع الحكيم العليم أن يقدم أو يؤخر في المواضع التي تحتاج إلى الترتيب، وإذا فعل دل على ذلك بنص صحيح أو قرينة ظاهرة الدلالة، أما في المواضع التي قدم فيها أو أخر، فهو على سبيل البلاغة المعروفة في لغة من نزل القرآن بلغتهم.

## المبحث الخامس

### القواعد المتعلقة بالسنة النبوية والآثار وتطبيقاتها

**[قاعدة: إذا نص الحديث الثابت في تفسير آية فلا يصار إلى غيره]:**

تشتمل هذه القاعدة على شرطين في اعتماد الحديث مفسراً لآية قرآنية ورد الحديث بخصوصها، وعند تحقق هذين الشرطين لا يصار إلى غيرهما من تفسير:

---

(١) شرح الكوكب المنير، محمد أحمد الفتوحى، ح ١ ص ٢٩٦.

(٢) أورد القرطبي في هذا الخلاف سبعة أقوال: الأول: العزم على الوطء، الثاني: العزم على الإمساك بعد التظاهر منها، الثالث: العزم عليهما، الرابع: الوطء نفسه، الخامس: إمساكها كزوجة مع القدرة على الطلاق، السادس: الظهار يوجب تحريمها لا يرفعه إلا الكفارة، السابع: تكرير الظهار بلفظه. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ح ١٧ ص ٢٨٠.

**الشرط الأول:** ثبوت الحديث، وهذا يعني صحته وقبوله عند أهل فنه، بالشروط والضوابط المعتمدة في تحقيق ثبوت الأحاديث المعروفة.

**الشرط الثاني:** النص في تفسير الآية، أي وروده مورد التفسير والبيان للآية بعينها، ذلك أن النبي ﷺ أعلم الناس بمراد الله عز وجل، وبيان كلامه.

ويقصد بالنص هنا ما يقصده الأصوليون، وهو المقابل للظاهر، وهو ما يفيد بنفسه من غير احتمال، كما يفيد الظاهر أيضاً إذا احتل معنيين هو في أحدهما أظهر، فلا مانع منه، لأنه يفيد معنى النص، وهذا الشرط في القاعدة يُخْرِجُ ما ورد مجملاً، فلا يكون حينها مرجحاً وظاهراً على غيره من التفسير.

وممن رجح هذه القاعدة إمام المفسرين الطبري عند تفسير قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ [الحج: ١]، فبعد أن ذكر الأقوال في تفسيرها، رجح القول الذي يؤيده في قول النبي ﷺ، ثم قال: " والذي ذكر من أقوال جيد لولا مجيء الصحاح من الأخبار عن رسول الله ﷺ بخلافه، ورسول الله ﷺ أعلم بمعاني وحي الله وتنزيله<sup>(١)</sup>.

ومن أمثلة هذه القاعدة:

ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾ [الأنعام: ٨٢].

فقد أورد الطبري اختلاف أهل التأويل بتفسير هذه الآية، فقال بعضهم: بشرك، مستدلين، بحديث ابن مسعود: لما نزلت هذه الآية شق ذلك على الناس فقالوا: يا رسول الله وأينا

---

(١) تفسير الطبري، ح ١٧ ص ١١١. يمكن الرجوع إلى الحديث المرجح في الآية، وهو حديث (بعث النار) الذي أخرجه أهل الحديث بسند صحيح.

لا يظلم نفسه، قال: إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا قول العبد الصالح: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ [لقمان: ١٣]، إنما هو الشرك<sup>(١)</sup>.

وقال آخرون: لم يخلطوا إيمانهم بشيء من معاني الظلم، والآية على العموم.

ثم قال الطبري: قال أبو جعفر النحاس: وأولى القولين في ذلك، ما صح به الخبر عن رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>.

وبالجملة فلا يعلم مخالف من الصحابة والتابعين في تفسير الظلم هنا بالشرك، وقوفاً مع الحديث الصحيح في ذلك<sup>(٣)</sup>.

### **[قاعدة: إذا ثبت الحديث، فهو لما وافقه من الأقوال]:**

ومن الأمثلة على هذه القاعدة قوله تعالى: ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ [القلم: ٤٢].

القول الأول: إن معناها، يوم يكشف عن شدة وكرب، أي يوم القيامة.

القول الثاني: يوم يكشف الرحمن سبحانه وتعالى عن ساقه، أي يوم القيامة<sup>(٤)</sup>.

القول الأول هو قول ابن عباس رضي الله عنهما، قال: يكشف عن أمر عظيم، وهو قول كثير من العلماء، وهو ما رجحه ابن كثير في تفسيره.

والقول الثاني هو قول ابن مسعود رضي الله عنه. والراجح بناء على هذه القاعدة هو قول ابن مسعود لحديث أبي سعيد الخدري، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يكشف

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الإيمان، باب ظلم دون ظلم.

(٢) ينظر: تفسير الطبري، ح ٧ ص ٢٥٥ وما بعدها.

(٣) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، ح ٦ ص ٢٣٨٩. وذهب الزمخشري في منع تفسير الظلم بالشرك، وفسره بالمعصية المفسدة، فقال في الكشاف: أي لم يخلطوا إيمانهم بمعصية تسفههم. الكشاف، الزمخشري، ح ٢ ص ٣٣.

(٤) تفسير الطبري، ح ٢٩ ص ٣٨.

ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً<sup>(١)</sup>. وبهذه القاعدة رجَّح البعض القول الثاني لثبوت الحديث، مع كثرة أقوال السلف في تأويله بالشدّة والكرب.

### قواعد أسباب النزول:

#### [قاعدة: إذا صح سبب النزول فهو مرجح للتفسير الموافق له]:

إن من أهم فوائد معرفة أسباب النزول، أنها تعين المفسر على معرفة الوجه الصحيح للتفسير، خاصة عند تعدد أوجه التفسير، لكن هذا ليس دائماً على صحته كما سألين في هذا المطلب، في قاعدة: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. ومن أمثلة القاعدة:

ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ [البقرة: ١٨٩]. فقد جاء في تفسير (البيوت) أقوال عديدة منها<sup>(٢)</sup>: أنها المنازل المعروفة، وهذا القول محمول على الحقيقية وقيل إن المراد بالبيوت، النساء، أمرنا بإتيانهن من القبل لا من الدبر، وقيل أنها مثل، والمعنى: ليس البر أن تسألوا الجهال ولكن اتقوا وأسألوا العلماء. وبالاعتماد على هذه القاعدة يتبين صحة القول الأول، لما يوافق من سبب النزول، المروري عن البراء بن عازب رضي الله عنه، قال: كانت الأنصار إذا حجوا فرجعوا لم يدخلوا البيوت إلا من ظهورها، فجاء رجل من الأنصار فدخل من بابه، فقيل له في ذلك، فنزلت<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿يوم يكشف عن ساق﴾.

(٢) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج ٢ ص ٧١.

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح، بكتاب التفسير، باب تفسير قوله تعالى: ﴿وليس البربان تأتوا البيوت من ظهورها﴾ [البقرة: ١٨٩]. وأسباب النزول، السيوطي، ص ٣٤-٣٥.

## قاعدة: الأصل عدم تكرار النزول<sup>(١)</sup>:

قد يخرج عن هذا الأصل بعض من المسائل، ويكون هذا التكرار من باب التنكير بالحكم، أو التأكيد عليه، لكن ما لم يتم التأكيد من صريح النقل في وقوع الحادثة، والفاصل الزمني بين الحادثتين، فتبقى القاعدة على الأصل وهو عدم تكرار النزول<sup>(٢)</sup>.

ومن أمثلة هذه القاعدة:

ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء ٨٥]. قال ابن مسعود: كنت أمشي مع النبي ﷺ في حرث بالمدينة، وهو يتوكأ على عسيب، فمر بنفر من اليهود، فقال بعضهم: لو سألتموه؟ فقال بعضهم: لا تسألوه، فإنه يُسمعكم ما تكرهون، فقالوا: يا أبا القاسم: حدثنا عن الروح؟ فقام النبي ﷺ ساعة، ثم رفع رأسه إلى السماء، فعرفت أنه يوحي إليه، حتى صعد الوحي، ثم قال: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾<sup>(٣)</sup>.

وهذا صريح في أن الآية نزلت في المدينة إلا أن ابن عباس رجح نزولها في مكة، ذلك حين سألت قريش اليهود: أعطونا نسأل هذا الرجل، فقالوا: سلوه عن الروح، فسألوه فأنزل الله عليه: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء ٨٥]<sup>(٤)</sup>. قال ابن كثير: وهذا السياق يقتضي فيما يظهر بادي الرأي أن هذه الآية مدنية، وأنها نزلت حين سأله اليهود عن ذلك بالمدينة، مع أن السورة كلها

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ح ١ ص ٢٩.

(٢) إن القول بالتكرار أفضل عندي، لأن الاعتماد على القاعدة يؤدي إلى الترجيح بين الروايات المختلفة، وبالتالي يؤدي إلى إهمالها مع ثبوت نقلها، والقول بالجمع أفضل من القول بالترجيح.

(٣) أخرجه البخاري مع الصحيح، كتاب الاعتصام، باب ما يكره من كثرة السؤال.

(٤) أخرجه الترمذي في السنن، كتاب تفسير القرآن، ح ٥ ص ٣٠٤، ورجاله رجال مسلم.

مكية، وقد يجاب عن هذا بأنه قد تكون نزلت عليه بالمدينة مرة ثانية كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك<sup>(١)</sup>.

والقول بتعدد النزول هنا أولى، لأنه لا يمكن مع ثبوت الدليل على الحادثتين أن يقال غير هذا، وإن رد مثل أحد هذين الدليلين من قبيل رد الصحيح وهذا لا يصح عند العلماء، خاصة مع عدم التناقض فالجمع أفضل، والقول بالتعدد أحسن.

### قواعد متعلقة بأسباب النزول<sup>(٢)</sup>:

١. [قاعدة: القول في الأسباب موقوف على النقل والسماع].

٢. [قاعدة: سبب النزول له حكم الرفع].

٣. [قاعدة: نزول القرآن تارة يكون مع تقرير الحكم، وتارة قبله، وتارة بعده].

٤. [قاعدة: إذا تعددت المرويات في سبب النزول، يقدم الصحيح الثابت في السند، والصریح في العبارة، فإن تقارب الزمان حُمِلَ على الجمع، وإن تباعد الزمان حُكِمَ بتكرار النزول].

## المبحث السادس

### القواعد المتعلقة باللغة وتطبيقاتها

[قاعدة: لا يصح حمل آيات القرآن على كل ما ثبت في اللغة]:

صحيح أن القرآن نزل بلغة العرب، وعلى حروفهم، لكن لا يعني هذا أن القرآن كتاب لغة فحسب، وهو ضابط لقواعدها، إنما هو كتاب علم وهداية وإرشاد ومنهج حياة أمة

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ح ٣ ص ٦٠.

(٢) ينظر: بعض الشروح لهذه القواعد: قواعد التفسير، خالد السبت، ح ١ ص ٥٣ وما بعدها.



بأكملها، ولذلك لابد من مراعاة ما يجب مراعاته عند النظر في أي آية من كتاب الله عز وجل، كأسباب النزول، وسياق الآية، والقرائن المختلفة المحيطة بها، ومن هنا كانت القاعدة لضبط التفسير اللغوي.

يقول ابن عطية مؤكداً هذه القاعدة، في تفسير قوله تعالى: ﴿ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار﴾ [الرعد: ١٠]، قالوا بأن معنى (مستخف): الظاهر، من قولهم: خفيت الشيء إذا أظهرته. فقال ابن عطية: " وإن كان تعلقه باللغة بيناً فضعيف؛ لأن اقتران الليل بالمستخفي، والنهار بالسارب يرد على هذا القول" (١).

ويقول ابن تيمية: " وقوم فسروا القرآن بمجرد ما يسوغ أن يريده بكلامه من كان من الناطقين بلغة العرب، من غير نظر إلى المتكلم بالقرآن والمنزل عليه والمخاطب به... فهؤلاء راعوا اللفظ وما يجوز عندهم أن يريد به العربي من غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم به ولسياق الكلام" (٢).

ومن أمثلة القاعدة:

ما جاء في قوله تعالى: ﴿وفيه يعصرون﴾ [يوسف: ٤٩]، قال أبو عبيدة: أي ينجون، وهو من العَصْر، وهي العَصْرَة وهي المنجاة، فقال الطبري معلقاً على هذا القول: وكان بعض من لا علم له بأقوال السلف من أهل التأويل ممن يفسر القرآن برأيه على مذهب كلام العرب يوجه معنى قوله: ﴿وفيه يعصرون﴾، ثم نكر كلام أبي عبيدة، ثم قال: وذلك تأويل يكفي من الشهادة عن خطئه، خلافة قول جميع أهل العلم من الصحابة والتابعين (٣).

(١) المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي، ج ١٠ ص ٢٠.

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج ٣ ص ٣٥٥.

(٣) تفسير الطبري، ج ١٢ ص ٢٣٣. ثم ساق الطبري قول الصحابة رضي الله عنهم، فقال: يعصرون العنب والسَّمْسَم، أو يحلبون.

## قاعدة: يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة:

الأصل في الكلام الحقيقة، ولا يعدل عنها إلا لسبب معتبر، ولا تفسر إلا على حقيقتها أيضاً إلا لقرينة تؤكد صحة العدول عن هذه الحقيقة إلى المجاز.

وأجاز بعض علماء اللغة والتفسير العدول عن الحقيقة إلى المجاز بعد النظر وتحقق ما يلي:

١. بيان امتناع الشارع عن إرادة الحقيقة في النص بدليله الموجب له.
٢. إمكانية صلاحية اللفظ في إرادة المعنى المعين بدلاً عن الحقيقة.
٣. أن تكون القرينة دالة صراحة في نقل اللفظ إلى مجازه<sup>(١)</sup>.

إلا أن بعض العلماء منع وجود المجاز أصلاً في اللغة، كابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وتابعه من المتأخرين العلامة محمد المختار الشنقيطي في رسالة سماها: منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز، تكلم فيها عن أدلة المانع والمجيزين، وأجاب عن الآيات التي ادعى فيها المجاز.

يقول ابن عبد البر: وحمل كلام الله تعالى وكلام نبيه ﷺ على الحقيقة أولى بذوي الدين والحق؛ لأنه يقص الحق، وقوله الحق، تبارك وتعالى علواً كبيراً<sup>(٢)</sup>.

ومن أمثلة القاعدة: ما قاله أبو حيان الأندلسي في تفسير قوله تعالى: ﴿وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها﴾ [البقرة: ١٨٩]: وهذه الأسباب تضافرت على أن البيوت أريد بها الحقيقة، وأن الإتيان هو المجيء إليها، والحمل على الحقيقة أولى من ادعاء المجاز<sup>(٣)</sup>.

(١) الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، ج ٣ ص ٩٩.

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر، ج ٥ ص ١٦.

(٣) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج ٢ ص ٢٣٧.

كما استعمل الرازي هذه القاعدة في تفسيره لآيات القرآن، لكنه عند آيات الصفات يخالف عن هذه القاعدة، فيؤول، ويجنح إلى المجاز، مدعياً أن هذه الآيات لا تحمل على الحقيقة لعدم إمكانية ذلك<sup>(١)</sup>.

### **[قاعدة: إذا اختلفت الحقيقة اللغوية والشرعية قدمت الشرعية]:**

بما أن القرآن الكريم أنزل لأغراض التشريع، فإن المراد منه في الغالب المعنى الشرعي، ولذلك فإن حمل النصوص على معانيها الشرعية مقدم على غيرها؛ ما لم يقيم الدليل على إرادة المعنى اللغوي، فقولته تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّ صِلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣]، فهنا القرينة تدل على أن كلمة (وصل) تُحمل على معناها اللغوي وليس على معناها الشرعي، لقول عبد الله بن أبي أوفى: وكان رسول الله ﷺ إذ أتى بصدقة قوم صلى عليهم. فأتاه أبي بصدقة فقال: اللهم صل على آل أبي أوفى<sup>(٢)</sup>.

ولو أننا حملنا المعنى اللغوي على الألفاظ، وقدمناها على المعاني الشرعية، لكان خطاب الله عز وجل تأكيد تعريف ما هو معرف في اللغة، لكن الأصح حمله على التأسيس، وهو تعريف ما ليس معرفاً في اللغة.

وممن أكد هذه القاعدة الإمام الزركشي فقال: أن تختلف الحقيقة فيهما - أي المعنيين - فيدور اللفظ بين معنيين هو في أحدهما حقيقة لغوية، وفي الآخر حقيقة شرعية، فالشرعية أولى إلا أن تدل قرينة على إرادة اللغوية...، ولو دار بين الشرعية والعرفية فالشرعية أولى؛ لأن الشرع ألزم<sup>(٣)</sup>.

(١) مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، ج ١٠ ص ٢١. ج ٢١ ص ٢٠٩.

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح، في كتاب الزكاة، باب صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة.

(٣) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج ٢ ص ١٦٧. يتضمن كلام الزركشي تقديم الحقيقة الشرعية على العرفية أيضاً، وهذا لا يحتاج إلى قاعدة في كلام الله عز وجل، لأن الشرع حاكم على العرف، إنما ينظر إليها في غير كلام الله عز وجل.

وخالف أبو حنيفة هذه القاعدة، مؤكداً تقديم الحقيقة اللغوية على الشرعية، فيقول: إن المعنى الشرعي إنما هو مجاز أصلاً، واللغوي هو الحقيقة، فكيف نقدم المجاز على الحقيقة بدون قرينة<sup>(١)</sup>؟

ومن أمثلة هذه القاعدة:

ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ (٦) الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [فصلت: ٦-٧]، فذكر الطبري قولين لأهل العلم في تفسير قوله: ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ﴾:

الأول: الذين لا يعطون الطاعة التي تطهرهم، وتزكي أبدانهم ولا يوحدونه، وهو قول ابن عباس.

والثاني: الذين لا يقرون بزكاة أموالهم التي فرضها الله فيها، ولا يعطونها أهلها، وهو قول قتادة والحسن.

ثم علق الطبري بقوله: والصواب من القول في ذلك ما قاله الذين قالوا: معناه: لا يؤدون زكاة أموالهم، وذلك أن ذلك هو الأشهر من معنى الزكاة، وأن قوله تعالى: ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ دليل على ذلك، لأن الذين قالوا ذلك هم الكفار، وهم لا يشهدون بالتوحيد، فلو كان ذلك لتكرر الكلام، ما ينبئ عن أن الزكاة في هذا الموضع تعني زكاة الأموال<sup>(٢)</sup>.

---

(١) ويرد على أبي حنيفة في هذا المجال: أن الحقيقة الشرعية عندما تقررت مجازاً من الحقيقة اللغوية، أصبحت هي الأصل والمتبادر إلى الذهن عند إطلاقها، فلا نعود بها إلى حقيقتها اللغوية. ينظر: شرح الكوكب المنير، محمد أحمد الفتوحى، ج ٣ ص ٤٣٥.

(٢) تفسير الطبري، ج ٢٤ ص ٩٣. وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج ٧ ص ١٥٣. وهو اختيار ابن جزي الكلبي في التسهيل، والآلوسي في روح المعاني.

وهذه القاعدة أيضاً ترد على القرآنيين<sup>(١)</sup> الذين يضربون بالسنة عرض الحائط، ولا يعترفون بالحقائق الشرعية مطلقاً، ويردون كل حقيقة شرعية في القرآن إلى الحقيقة اللغوية، ولو دعمت بالدليل أو القرينة، فالحقيقة الشرعية للطواف كما هو معروف عند الفقهاء؛ هو الطواف سبعة أشواط حول الكعبة، لكن الطواف عندهم هو التردد بين الحين والآخر<sup>(٢)</sup>، وهو مردود بالأدلة الشرعية الصحيحة المعروفة عند عامة الفقهاء المعتمدين في مختلف المذاهب المعروفة.

### **[قاعدة: إذا اختلفت الحقيقة اللغوية والعرفية قدمت العرفية]:**

تقدم بيان معنى الحقيقة العرفية في المطلب الثاني من هذا المبحث، وتبين أن العرف ما اصطلح الناس على استعماله للدلالة على شيء معين.

وكما بين الشاطبي في الموافقات أنواع العرف<sup>(٣)</sup>: ذكر منها ما دل عليه الدليل الشرعي قبولاً أو عدماً، وهذا ليس لبحت القاعدة هذه منه في شيء، فالدليل فيه هو الحاكم، أما المراد من القاعدة فهو العرف الذي لا دليل عليه إيجاباً ولا ندباً ولا نهياً. ولهذا اشترط العلماء شروطاً للعرف الذي يقدم على القاعدة منها<sup>(٤)</sup>:

١. أن يكون العرف قائماً في زمن النبي ﷺ، لأن الوحي انقطع بعد هذا الزمان.

٢. أن يكون هذا العرف مطرداً في غالب استعمال الناس له.

٣. ألا يوجد لهذا للفظ محمل شرعي يحمل عليه.

---

(١) القرآنيون: وهي فرقة ضالة معاصرة، ظهرت في الهند في بداية القرن العشرين، غرضها الرد الكامل للسنة الشريفة، والاعتماد على القرآن، فانحرفت بهم المسيرة في العقيدة والتفسير، ولاقت هذه الفرقة الردود القوية التي دحضت شبهتها وبينت كذب ادعائها وانحرافها عن القرآن نفسه الذي يدعون اتباعه. ومن هذه الردود كتاب (القرآنيون وشبهاتهم حول السنة) ل خادم حسين إلهي بخش.

(٢) القرآنيون وشبهاتهم حول السنة، خادم حسين إلهي بخش، ص ٢٧٦.

(٣) الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، ح ٢ ص ٢٨٣.

(٤) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين الحربي، ح ٢ ص ٤١٣.

وهذه القاعدة مذهب الجمهور خلافاً لأبي حنيفة، كما تقرر في القاعدة السابقة.  
ومن أمثلة هذه القاعدة: ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ  
وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ  
السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠]، فاختلف المفسرون في تفسير:  
﴿وفي سبيل الله﴾، وقد ذكر الجصاص أقوالاً في تفسيرها<sup>(١)</sup>:

١. هم الغزاة في سبيل الله الذين لا ديوان لهم، وهو قول الجمهور من المفسرين.
٢. هم حجاج بيت الله الحرام، وبه قال ابن عمر والإمام أحمد.
٣. هم طلبة العلم، ومن في حكمهم.

٤. المراد جميع القرب، فيدخل فيها كل سعي في طاعة الله، وسبل الخير.

إن إطلاق لفظ في سبيل الله على الجهاد في المعركة هو الشائع في عصر النزول،  
وهو عرف ذلك الزمان، ولذلك كان قول الجمهور بهذا القول، حتى من قال بغيره أدخله  
معه:

قال الحافظ بن حجر: قال ابن الجوزي: إذ أطلق ذكر سبيل الله فالمراد به الجهاد...  
وقال بن دقيق العيد: في سبيل الله، العرف الأكثر فيه؛ استعماله في الجهاد<sup>(٢)</sup>.

### **إقاعدة: تحمل آيات القرآن على الأوجه الإعرابية الموافقة للسياق القرآني:**

إن نظر المفسر في السياق القرآني، كما في القواعد المتعلقة بالسياق القرآني، وتوجيه  
التفسير إلى ما يوافق، هو من حداقة المفسر، وتطلعه إلى ما يقربه من مراد الله عز

---

(١) أحكام القرآن، الجصاص، ح ٤ ص ٤٢٩. وروح المعاني، الأوسي، ح ١٠ ص ١٢٣.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ح ١ ص ٤١٥. وينظر الردود على الأقوال المختلفة  
في: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد المختار الشنقيطي، في تفسيره للآية.

وجل، وهنا لا يختلف الأمر عن ذلك المعنى في اعتماد أوجه الإعراب المتوافقة مع سياق الآيات، لأن الإعراب فرع من المعنى، وما هو إلا مبين وموضح للمعاني المختلفة، وكلما كان الإعراب متوافقاً مع السياق القرآني، كلما كان أقرب إلى المعنى الراجح عند العلماء وهذا ملحوظ بالاستقراء، فكثيراً ما كان يشير الطبري إلى ذلك، عند مقارنة أقوال المفسرين في إعراب لفظ من ألفاظ القرآن<sup>(١)</sup>.

وهذا هو مذهب أكثر المفسرين، فابن عطية يرجح بعض الأوجه الإعرابية بناءً على هذه القاعدة، ويضعف ما ضعف المعنى وإن وافق العربية أكثر، فيقول: " وهذا قول ضعيف من جهة المعنى، وأما من جهة اللفظ فجيد"<sup>(٢)</sup>.

ومن الأمثلة التطبيقية لهذه القاعدة: ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾ [الأنفال: ٦٤].

فقد قيل في تفسير: ﴿ومن اتبعك﴾ أقوال:

١. أن تكون الواو عاطفة لـ "من" على الكاف في "حسبك"، على قول من أجاز العطف على الضمير المجرور بدون إعادة الجار، وبه قال الكوفيون.

٢. "مَنْ" في محل نصب عطفاً على محل الكاف، فهي في معنى "كافيك".

٣. "مَنْ" في محل نصب بفعل محذوف دل عليه الكلام، تقديره: ويكفي من اتبعك من المؤمنين.

٤. "مَنْ" في موضع رفع بالابتداء، أي: ومن اتبعك من المؤمنين فحسبهم الله، فهو من عطف الجمل.

---

(١) يقول أحياناً: وهذا القول على مذهب العربية أصح، والأول إلى مذهب أهل التأويل أقرب. تفسير الطبري، ح ١٧ ص ١٢٥.

(٢) المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي، ح ٩ ص ١١٣.

٥. "مَنْ" في محل رفع عطفاً على اسم الله تعالى، ومعناه: حسبك الله وأتباعك من المؤمنين<sup>(١)</sup>.

إذا نظرنا في الأقوال الأربعة الأولى، سنجدها موافقة لهذه القاعدة، وإن كان بعضها مقدماً على بعض، لاعتبارات بسيطة.

لكن القول الخامس فيه نظر، فهو لا يوافقه سياق النص القرآني، وما هو معلوم من الدين، فإن معنى "الحسب" هو "الكافي" فكيف يصرف هذا المعنى لغير الله عز وجل؟ مخالفاً بذلك ما جاء في غير موضع، وهو قوله تعالى: ﴿أليس الله بكاف عبده﴾ [الزمر: ٣٦].

**قاعدة: يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر.**

وتفيد هذه القاعدة كثيراً في تفاسير أهل الباطن والفلاسفة. الذين جعلوا للقرآن باطن غير مرتبط بالظاهر، وغير مرتبط باللفظ العربي، وخارج عن المعروف من المعاني العربية للألفاظ، بل وضعوا معاني هكذا جذاً لا تفيد إلا ما يؤيد مذهبهم الباطني الباطل، ومنه ما قيل في قوله تعالى: ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين﴾ [آل عمران: ٩٦]. باطنها الرسول ﷺ، يؤمن به من أثبت الله في قلبه التوحيد من الناس<sup>(٢)</sup>.

وهذا التفسير يحتاج إلى بيان، فإن هذا المعنى لا تعرفه العرب، ولا فيه من جهتها وضع مجازي مناسب، ولا يلائمه مساق بحال.

---

(١) تفسير الطبري، ح ١٠ ص ٣٧. وإعراب القرآن، أبو جعفر النحاس، ح ٢ ص ١٩٤. وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ح ٤ ص ٣٠. ومشكل إعراب القرآن الكريم، مكي بن أبي طالب، ح ١ ص ٣١٩. والقول الخامس اختاره الفراء، في معاني القرآن، والنحاس في إعراب القرآن، والسمين الحلبي في الدر المصون.

(٢) تفسير القرآن العظيم، التستري، ج ٣ ص ١٢٠.



## المبحث السابع

### القواعد المتعلقة بأصول الفقه وتطبيقاتها

**قاعدة: كل تأويل يرفع النص أو جزء منه فهو باطل:**

ويدخل تحت هذه القاعدة نوعان من التأويل المراد من هذه القاعدة هما:

**النوع الأول: التأويل الفاسد:** وهو صرف اللفظ عن ظاهره بدليل يظن الصارف أنه دليل، وما هو دليل، أو الدلالة عليه بعيدة جداً.

ومثاله التطبيقي: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِإِطْعَامِ سِتِينَ مَسْكِينًا﴾ [المجادلة: ٤]. جعل بعض المفسرين إطعام الواحد بقدر إطعام الستين، كإطعام الستين، وقالوا: إن المقصود هو دفع الحاجة، ودفع حاجة ستين مسكيناً في يوم واحد كدفع حاجة الواحد ستين يوماً.

يقول الشيخ الشنقيطي: أظهر قولي أهل العلم عندي: أنه لا يجزئ في الإطعام أقل من ستين مسكيناً... خلافاً لأبي حنيفة القائل: بأنه لو أطمع مسكيناً واحداً ستين يوماً أجزاءه<sup>(١)</sup>، ولأن قوله: (مسكيناً) وهو تمييز العدد المذكور، فحمله على مسكين واحد خروج بالقرآن عن ظاهره المتبادر منه بغير دليل يجب الرجوع إليه، وهو لا يصح. وحمل المسكين في هذه الآية على مقدار الطعام (المد)، ليصبح إطعام ستين مداً لمسكين واحد تأويل بعيد أو فاسد.

**النوع الثاني: التأويل الباطل:** وهو صرف اللفظ عن ظاهرة بلا دليل أصلاً، كما يؤول أصحاب البدع والزيغ والضلالات من أهل التفاسير الباطنية، والعقدية المنحرفة، الذين

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد المختار الشنقيطي، ح ٦ ص ٥٦١.

يقولون بظاهر القرآن وباطنه، وأن الله جعل ظاهر القرآن في الدعوة والتوحيد والنبوة والرسالة، وجعل باطنه في الدعوة إلى الإمامة والولاية وما يتعلق بهما<sup>(١)</sup>.

وبذلك أخذوا يتصرفون في القرآن كما يحبون وعلى أي وجه يشتهون، فليس هناك ضابط لتأويلاتهم، ولا تدل عليها ألفاظ القرآن الكريم بأي نوع من الدلالة، بل هو مبني على ما تمليه عليهم عقيدتهم وأذواقهم ومشاربهم، ومثل هذه التأويلات لظاهر ألفاظ القرآن مردودة عليهم بهذه القاعدة.

ومن أمثلة هذا النوع: قول مفسرهم: ﴿رب المشرقين ورب المغربين﴾ [الرحمن: ١٧]: المشرقين: رسول الله ﷺ وعلي، والمغربيين الحسن والحسين عليهما السلام<sup>(٢)</sup>.

**النوع الثالث: التأويل المقبول:** وهو ما إذا صرف اللفظ عن ظاهره بدليل يدل على ذلك<sup>(٣)</sup>.

### **قاعدة: كل عام يبقى على عمومته حتى يأتي ما يخصه:**

إذا كان ظاهر النص دالاً على العموم فإنه يتعين حمله عليه، ولا يجوز أن يكون معناه أضيق من لفظه الدال عليه إلا بدليل معتبر.

والألفاظ الدالة على العموم كثيرة منها<sup>(٤)</sup>:

١. لفظ "كل" و"جميع"، كقوله تعالى: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ [الأنبياء: ٣٥].
٢. الأسماء الموصولة، كقوله: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً﴾ [النساء: ١٠].

---

(١) وممن قال بذلك الإمامية الإثنا عشرية، وهم فرقة من غلاة الشيعة يعتقدون بعصمة الأئمة الإثني عشر، ويطعنون في كبار الصحابة والخلفاء: أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم.

(٢) نقلاً عن: المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي، ج ٦ ص ٣.

(٣) قواعد التفسير، خالد السبت، ج ٢ ص ٦٨٣.

(٤) الوجيز في أصول الفقه، عبد الكريم زيدان، ص ٣٠٥.

٣. أسماء الاستفهام، كقوله: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً﴾ [الحديد: ١١].
٤. أسماء الشرط، كقوله: ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ [البقرة: ١٨٥].
٥. الجمع المعروف بـ (ال) للاستغراق، أو الإضافة: فمن الأول قوله تعالى: ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن﴾ [البقرة: ٢٢٨]. ومن الثاني قوله تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة﴾ [التوبة: ١٠٣].
٦. النكرة في سياق النفي أو النهي، كما في قوله تعالى: ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً﴾ [التوبة: ٨٤].

### قواعد ذات صلة:

- إقاعدة: القرآن الكريم كله محكم وكله متشابه وبعضه محكم وبعضه متشابه باعتبارات مختلفة].
- إقاعدة: نصوص القرآن من حيث دلالتها على المعاني ثلاثة أنواع: إما نصوص لا تحتل إلا معنى واحداً، وإما نصوص تحتل غير معانيها الظاهرة منها، لكن ترد إلى التي لا تحتل إلا معنى واحداً لا طرادها في استعماله، وإما نصوص مجملة]:
- إقاعدة: إذا ورد الشرط أو الاستثناء أو الصفة أو الغاية أو الإشارة بـ "ذلك" بعد مفردات أو جمل متعاطفة، عاد إلى جميعها، إلا بقرينة].



## الفصل الخامس

### اختلاف المفسرين وأسبابه

المبحث الأول: مفهوم الاختلاف والخطأ في التفسير

المبحث الثاني: الأصول التي يدور عليها التفسير

المبحث الثالث: منشأ الخطأ في التفسير بالرأى

المبحث الرابع: أسباب الاختلاف والخطأ عند المفسرين



## المبحث الأول

### مفهوم الاختلاف والخطأ في التفسير

#### مفهوم الخلاف والاختلاف في التفسير:

ها هنا عندنا مصطلحان متقاربان في المبنى، إلا أن أحدهما يغير الآخر، وهما: (الخلاف) و(الاختلاف). الأصل أن الاختلاف والمخالفة: أن يأخذ كل واحد طريقاً غير طريق الآخر، في حاله أو قوله<sup>(١)</sup>.

وذكر الراغب فرقاً بين الخلاف والاختلاف، فقال: الخلاف أعم من الضد، لأن كل ضدين كالموت والحياة مختلفين، وليس كل مختلفين ضدين<sup>(٢)</sup>. كالشمس والقمر وكلاهما جرم.

وقال غيره: الاختلاف يكون الطريق مختلفاً والمقصود واحداً، أما الخلاف فكلاهما مختلف<sup>(٣)</sup>.

ومن هنا نجد: أن العلماء يجوزون الاختلاف لما فيه من مقاصد معتبرة في كثير من الأحيان ففيه التنوع في الأقوال، وفيه السعة المؤدية إلى المرونة في تطبيق الشرائع معتمداً على الدليل. ولا يجوزون الخلاف الذي يؤدي في الغالب إلى التنافر والتناحر والتخاصم، والانتصار للمذهب من غير دليل.

ما يهمنا هنا التفسير، واختلاف الأقوال، والمتبع للروايات التفسيرية المختلفة يجد نوعين من الروايات:

**النوع الأول:** الروايات المختلفة اختلاف تنوع أو تلازم<sup>(٤)</sup>. ويكثر هذا النوع في أقوال الصحابة والتابعين، كما يكثر في التفاسير المنتمية إلى مدرسة واحدة، أو المذهب

(١) ينظر: المصباح المنير، الفيومي، ح ١ ص ١٧٩.

(٢) المفردات، الراغب الأصفهاني، ص ١٥٦.

(٣) الكليات، أبو البقاء الكوفي، ص ٦١.

(٤) كما عرفه السيوطي في الإتقان، ح ٢ ص ٣١.

الواحد، مقبولاً كان أو غير مقبول عندنا. وهذا النوع مفيد، ففيه زيادة في فهم المعنى وإثراء له. وهذا ما سنطلق عليه الاختلاف المحمود في التفسير.

**النوع الثاني:** الروايات المختلفة اختلاف تضاد، ويكثر هذا النوع في التفاسير المنتمية إلى مذاهب مختلفة، خاصة مذاهب أهل الكلام والعقائد وهذا النوع من الخلاف شائن، وأكثر الأقوال فيه تخرج عن الحق موافقة للأهواء<sup>(١)</sup>. وهذا النوع سنطلق عليه الاختلاف المذموم في التفسير أو الخطأ في التفسير أو الانحراف في التفسير<sup>(٢)</sup>.

**من النوع الأول:** عند قوله تعالى: ﴿وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون﴾ [الأنعام: ٧٠].

قال ابن عباس: ﴿تبسل﴾ تفضح، وقال: تسلم.

وقال قتادة: ﴿تبسل﴾ تؤخذ فتحبس.

كل ما سبق من المعاني (تفضح، تحبس، تسلم) تختلف اختلاف تنوع، وهي متلازمة لا تتناقض بينها.

**ومن النوع الثاني:** ما جاء في تفسير المعتزلة عند قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾ (٢٢) إلى ربها ناظرة﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]. ففسر مفسرهم ﴿ناظرة﴾ بمنظرة ومرتقبة تماشياً مع معتقدتهم في استحالة رؤية الله تعالى، ويصرفون اللفظ عن معناه الظاهر الذي يفيد رؤية الله تعالى لمخالفة مذهبهم<sup>(٣)</sup>. وسنتعرض لمزيد من الأمثلة عند بيان أوجه الاختلاف عند المفسرين.

(١) الإيقان، السيوطي، ص ٣٨.

(٢) أسباب الخطأ في التفسير، طاهر يعقوب، ص ٤٤.

(٣) ينظر: الكشاف، الزمخشري ح ٤ ص ١٩٢، ومتشابه القرآن، القاضي عبد الجبار، ص ٦٧٣.



## التعامل مع اختلاف المفسرين والتزام المنهج الصحيح في التفسير:

يجد الباحث في التفسير نفسه أحياناً أمام أقوال تفسيرية كثيرة، منتمة في كثير من الأحيان إلى الاختلاف المحمود، وفي كثير منه إلى المذموم، فما عساه يفعل، وكيف يرجح الأقوال؟ وكيف يتعامل معها ليبقى ضمن الإطار التفسيري المقبول؟

١. يحتاج الباحث في التفسير إلى القواعد التفسيرية المختلفة، خاصة الترجيحية منها، لمعرفة الأقوال الصائبة المقبولة والأقوال المردودة، كما سبق في حديثنا عن قواعد التفسير والترجيح.

٢. إذا أمكن الجمع بين الأقوال فهذا المراد، وهذا ما على الباحث الجهد في سبيل التوفيق بين الأقوال ضمن الضوابط الصحيحة للجمع بين الأقوال المختلفة، فإذا أمكن الجمع وجب تقديم الصحيح منها على الضعيف أو الأقل صحة، ويرجع في ذلك إلى قواعد الحديث في التصحيح والتضعيف، كما هو معلوم في علم مصطلح الحديث.

٣. رد الخلاف المذموم (الخطأ في التفسير) مطلقاً.

٤. التزام منهج أهل السنة والجماعة، والتمسك بنصوص الكتاب والسنة والتجرد عن الهوى، والابتعاد عن التعصب المذهبي المقيت، وعدم النقل ولو بحسن النية من تفاسير أهل الزيغ والضلال الذين شذوا في أقوالهم مناصرة لمعتقداتهم، إلا في معرض البيان والتوضيح والتحذير.

٥. التعامل مع الروايات الإسرائيلية بحذر، وتبيينها، والتزام منهج العلماء في قبولها أو ردها، فيقبل الصحيح الموافق لما عليه أهل الحق، ويترك المخالف، ويسكت عن مالم يرد به الشرع ولم يخالفه، كما مر سابقاً.

## المبحث الثاني

### الأصول التي يدور عليها التفسير

قال ابن القيم فقال: وتفسير الناس يدور على ثلاثة أصول: تفسير على اللفظ، وهو الذي ينحو إليه المتأخرون، وتفسير على المعنى، وهو الذي يذكره السلف، وتفسير على الإشارة والقياس، وهو الذي ينحو إليه كثير من الصوفية وغيرهم<sup>(١)</sup>.

#### أولاً: التفسير على اللفظ:

التفسير على اللفظ هو: تفسير الكلمة بعينها؛ أو بما يطابقها في اللغة. وقد اهتم بهذا النوع من كتب في معاني القرآن وغريبه.

ومن أمثله:

قال ابن عطية: ﴿تفكهون﴾ [الواقعة: ٦٥] قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة: معناه: تعجبون.

وقال عكرمة: تلاومون.

وقال الحسن: معناه: تتدمون.

وقال ابن زيد: تتفجعون.

وهذا كله تفسير لا يخص اللفظة، إنما بما يطابقها من معنى، والذي يخص اللفظة هو: تطرحون الفكاهة عن أنفسكم، وهي المسرة.

قال الطبري: فحمل تأويل الكلام على معناه دون البيان عن الكلمة بعينها؛ فإن أهل التأويل ربما فعلوا ذلك لعل كثيرة تدعوهم إليها<sup>(٢)</sup>.

(١) التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم، ص ٥١.

(٢) تفسير الطبري، ح ١ ص ١٥٨.

## ثانياً: التفسير على المعنى:

في التفسير على المعنى لا يعتمد المفسر إلى تفسير اللفظ مباشرة، بل ينتقل إلى ما وراء اللفظ، وهو أنواع:

### ١. التفسير بجزء المعنى:

المقصود به أن المفسر يذكر من المعنى الذي يحتمله اللفظ جزءاً منه، ليدل به على باقي المعنى.

ومنه تفسير ﴿مباركاً﴾ في قوله تعالى: ﴿وجعلني مباركاً أين ما كنت﴾ [مريم: ٣١]، قال ابن القيم: مباركاً: معلماً للخير أينما كنت. وهذا جزء مسمى المبارك: فالمبارك: كثير الخير في نفسه، الذي يحصله لغيره تعليماً أو نصحاً، وإرادة واجتهاداً<sup>(١)</sup>.

### ٢. التفسير بالمثل.

ومن أمثله قوله سبحانه وتعالى: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ [هود: ١١٤]، قيل: الحسنات الصلوات، وقيل: قول الرجل: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

قال ابن عطية: وهذا كله إنما هو على جهة المثل في الحسنات<sup>(٢)</sup>.

### ٣. التفسير باللازم أو النتيجة.

والمراد بها أن المعنى المستفاد لم يدل عليه اللفظ مباشرة، ولكن يلزم منه هذا المعنى المستفاد عقلاً أو عرفاً؛ كالكتابة تستلزم كاتباً.

ومن أمثله:

(١) جلاء الأفهام، ابن القيم، ص ١٦٨.

(٢) المحرر الوجيز، ابن عطية، ح ٧ ص ٤١٧.

تفسير الودود بالمحبيب من أوليائه.

فالودود: أي الواد لأوليائه؛ كالغفور بمعنى: الغافر. فهذا تفسير بالمطابقة . كما مر.  
ويلزم منه محبة أوليائه له، وهذا تفسير باللازم.

### ثالثاً: التفسير على الإشارة والقياس:

**أما القياس:** المراد به أن يدخل المفسر في حكم الآية شيئاً؛ لأنه مشبه للآية في العلة.  
ولهذا النوع شروط ذكرها ابن القيم، وهي:

١. ألا يناقض معنى الآية.
  ٢. أن يكون معنى صحيحاً في نفسه.
  ٣. أن يكون في اللفظ إشعار به.
  ٤. أن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم.
- فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان استنباطاً حسناً<sup>(١)</sup>.

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿ لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى ﴾ [النساء: ٤٣].

فقد روي عن ابن عباس في معنى سكارى: أنه النعاس. وكذلك روي عن الضحاك أنه قال: لم يعن الخمر، وإنما عنى به سكر النوم.

قال ابن تيمية: وهذا إذا قيل: إن الآية دلت عليه بطريق الاعتبار؛ أي: القياس، أو شمول معنى اللفظ العام، وإلا فلا ريب أن سبب نزول الآية كان السكر من الخمر، واللفظ صريح في ذلك، والمعنى الآخر صحيح أيضاً<sup>(٢)</sup>.

**وأما الإشارة:** فهو المستفاد من غير ظاهرها عموماً.

(١) التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم، ص ٥١.

(٢) فصول في أصول التفسير، مساعد الطيار، ص ١١١.

ومن أمثلته: تفسير ابن عباس، وعمر بن الخطاب سورة النصر بأنها قرب أجل رسول الله ﷺ.

قال ابن حجر معلقاً على هذا التفسير: وفيه جواز تأويل القرآن بما يفهم من الإشارات، وإنما يتمكن من ذلك من رسخت قدمه في العلم، ولهذا قال علي رضي الله عنه: أو فهما يؤتیه الله رجلاً بالقرآن<sup>(١)</sup>.

### المبحث الثالث

## منشأ الخطأ في التفسير بالرأي

يعتمد التفسير بالرأي بشكل كبير على أمرين:

**الأول: المفسر نفسه:**

وما يدور في خلد، والأفكار التي يحاول إثباتها من خلال الأدلة، ومن هنا يقع الخطأ عنده، وهنا احتمالين اثنين:

**١. أن يكون المعنى صحيحاً:**

وهنا صورتان:

**الصورة الأولى:** فالمعنى الذي يريد المفسر نفيه أو إثباته صواباً، فمراعاة لهذا المعنى يحمل عليه لفظ القرآن، مع أنه لا يدل عليه ولا يراد منه، وهو مع ذلك لا ينفى المعنى الظاهر المراد، وعلى هذا يكون الخطأ واقعاً في الدليل لا في المدلول، وهذه الصورة تنطبق على كثير من تفاسير الصوفية والوعاظ الذين يفسرون القرآن بمعان صحيحة في ذاتها ولكنها غير مرادة، ومع ذلك فهم يقولون بظاهر المعنى.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر، ح ٨ ص ٦٠٨.

ففي قوله: ﴿ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم﴾ [النساء: ٦٦].  
يوجه المعنى كالتالي: ﴿اقتلوا أنفسكم﴾ بمخالفة هواها، ﴿أو اخرجوا من دياركم﴾، أي  
أخرجوا حب الدنيا من قلوبكم.

فالمعاني صحيحة، لكن ليس هذا دليلها، إنما تؤخذ من أدلة أخرى، فالخطأ في الدليل  
وليس في المدلول.

**الصورة الثانية:** فالمعنى الذي يريد المفسر نفيه أو إثباته صواباً، فمراعاة لهذا المعنى  
يسلب لفظ القرآن ما يدل عليه ويراد به. ويحمله على ما يريده هو، وعلى هذا يكون  
الخطأ واقعاً في الدليل لا في المدلول أيضاً، وهذه الصورة تنطبق على تفاسير بعض  
المتصوفة الذين يفسرون القرآن بمعان إشارية صحيحة في حد ذاتها، ومع ذلك فإنهم  
يقولون: إن المعاني الظاهرة غير مرادة، وتفسير هؤلاء أقرب ما يكون إلى الباطنية.

والفرق عن الصورة التي قبلها أنهم ينفون ظاهر النص، وأنه غير مراد، كمن فسير أن  
الأكل من الشجرة غير مراد من قوله تعالى: ﴿ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من  
الظالمين﴾ [البقرة: ٣٥]، وإنما المراد: معنى مساكنة الهمة لشيء هو غيره.

## ٢. أن يكون المعنى خطأ:

وهنا صورتان أيضاً:

**الصورة الأولى:** فالمعنى الذي يريد المفسر نفيه أو إثباته خطأ، فمراعاة لهذا المعنى  
يحمل عليه لفظ القرآن، مع أنه لا يدل عليه ولا يراد منه، وهو مع ذلك لا ينفى الظاهر  
المراد، وعلى هذا يكون الخطأ واقعاً في الدليل والمدلول معاً.

وهذا ما يقع به كثير من المتصوفة من المعاني الباطلة، كمن فسر ﴿ربك﴾ في قوله  
تعالى: ﴿واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتلاً﴾ [المزمل: ٨]، فقال: اعرف نفسك ولا تنسها  
فينسك الله.

فالمعنى خطأ، والدليل لا يدل عليه، فالخطأ في الدليل والمدلول معاً.

**الصورة الثانية:** فالمعنى الذي يريد المفسر نفيه أو إثباته خطأ، فمراعاة لهذا المعنى يسلب لفظ القرآن ما يدل عليه ويراد به، ويحمله على ذلك الخطأ دون الظاهر المراد، وعلى هذا يكون الخطأ في الدليل والمدلول معاً.

كتفسير غلاة الشيعة (الجبت والطاغوت) في قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت﴾ [النساء: ٥١]، بأبي بكر وعمر، حقداً وبغضاً لا أكثر، فلا اللفظ يدل ولا المعنى صحيح، والخطأ في الدليل والمدلول معاً.

**الثاني: احتمال النص للمعاني التي يمكن أن يحمل عليها:**

وهنا صورتان أيضاً:

**الصورة الأولى:** أن يكون اللفظ محتملاً للمعنى الذي ذكره المفسر لغة، ولكنه غير مراد. كتفسير لفظ (لأمة) في قوله تعالى: ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾ [الزخرف: ٢٢]، بالرجل الجامع لصفات الخير.

فمع أن أحد معاني (الأمة) الرجل الجامع لصفات الخير، إلا أن حمله عليه خطأ هنا، بل المراد المعنى الآخر منه، وهو معنى الطريقة المسلوكة في الدين.

**الصورة الثانية:** أن يكون اللفظ موضوعاً لمعنى بعينه، ولكنه غير مراد في الآية، وإنما المراد معنى آخر غير ما وضع له اللفظ بقريظة السياق مثلاً، أو المجاز.

كتفسير لفظ (مبصرة) في قوله تعالى: ﴿وأتينا ثمود الناقة مبصرة﴾ [الإسراء: ٥٩]، من الإبصار بالعين، على أنها حال من الناقة.

فمع أن هذا المعنى صحيح بمجرد اللغة، إلا أن المراد غير ذلك، وليس المراد وصف الناقة، إنما المراد أن الناقة آية واضحة، وهو مفهوم من سياق النص وقرائنه.

## المبحث الرابع

### أسباب الاختلاف والخطأ عند المفسرين

إن المستعرض لما قاله المفسرون في معظم التفاسير التي بين أيدينا، يجد أن الأقوال والنقول التفسيرية مختلفة تارة، ومتناقضة تارة أخرى، متقاربة أحياناً، ومتباعدة أحياناً أخرى، حتى إن بعضها قد يصل في أحيان كثيرة إلى ما أسميناه الخطأ في التفسير. لا تعزى هذه الاختلافات إلى ما يمكن أن نسميه زلات وقعت من بعضهم، بل ربما كانت اختلافات مقبولة، غير أننا لا ننكر وقوع بعض الزلات دون تعمد، وهذا حال البشر، فلا يخلو عمل من هنة وزلة، إلا ما استثناه الله من أصل كتابه الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

إلا أن الواجب يتحتم على العلماء بيان ما وقع به أهل الفن من اختلاف أو من أخطاء، أدت إلى انحراف كبير في منهج التفسير.

ولذلك سأفصل في هذا المبحث بما يفي بالغرض، والاختصار الملتزم به، لنوعي التباين المقصود هنا:

#### الأول: الاختلاف:

وهو كما مر في تعريفه سابقاً ما يمكن أن يكون مقبولاً من الأقوال التفسيرية، طبقاً للضوابط المعتمدة عند المفسرين.

#### الثاني: الخطأ:

وهو كما مر سابقاً في تعريفه ما يمكن ألا يكون مقبولاً من الأقوال التفسيرية، طبقاً للضوابط المعتمدة عند المفسرين.

في كلا النوعين من التباين يلاحظ جنوح أصحاب الأقوال إلى التديل على صحة كلامهم، بل ويلاحظ في أوقات كثيرة هجوماً لاذعاً على المخالفين، خاصة في المواضع التي تخص المذاهب العقدية أو الفقهية.



ومن هنا يقول ابن تيمية: وفي الجملة من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين من تفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئاً، بل مبتدعاً، وإن كان مجتهداً مغفوراً له خطؤه<sup>(١)</sup>. في هذا المبحث سأحاول بيان ما يمكن بيانه من الأنواع التي من خلالها ظهر الاختلاف في الأقوال التفسيرية، المقبولة وغير المقبولة من خلال الأمثلة المختلفة، مبيناً قبول أي منها أو عدم قبوله، بمعنى أنه من الاختلاف المحمود أم من المذموم المردود؟

### **أهم الأسباب التي أدت إلى اختلاف المفسرين:**

سأتحدث هنا عن أهم الأسباب التي أدت إلى اختلاف المفسرين، وليس كل الأسباب، وقد جعلتها عشرة أسباب، وأتبعها بأهم النتائج المستنبطة من اختلاف المفسرين: السبب الأول: الاختلاف بسبب القراءات.

السبب الثاني: الاختلاف بسبب النسخ أو الإحكام.

السبب الثالث: الاختلاف بسبب الاجتهاد في مورد النص.

السبب الرابع: الأخذ بالضعيف أو الموضوع في إثبات التفسير.

السبب الخامس: الاختلاف بسبب التفسير بالإسرائيليات.

السبب السادس: الاختلاف بسبب الاعتماد على مجرد اللغة.

السبب السابع: الاختلاف بسبب اختلاف مفاهيم القواعد الأصولية.

السبب الثامن: الاختلاف بسبب التعصب المذهبي الفقهي.

السبب التاسع: الاختلاف بسبب التعصب المذهبي العقائدي.

السبب العاشر: الاختلاف بسبب التكلف في التفسير العلمي الحديث.

نتائج مهمة في اختلاف المفسرين.

---

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ح ٧ ص ٣٥٦.

## السبب الأول

### الاختلاف بسبب اختلاف القراءات

من المعروف عند علماء القرآن؛ أنه لا تقبل من القراءات إلا ما صح منها بشروطه  
المعتبرة عند أهل القرآن. وإن هذا الصحيح ليس كله وجهاً واحداً، بل هو مختلف الوجوه،  
فقد نزل القرآن كما هو معلوم على سبعة أحرف متماهياً مع لهجات العرب واختلاف  
لغاتهم، وبالتالي فكل ما صح فهو قرآن متعبد بتلاوته، منزل من عند الله تعالى، وللعبد  
أن يتخير بالوجه الذي يريد.

وعليه فإن اختلاف القراءات تؤدي بالضرورة إلى القول باختلاف التفسير، وهذا وجه  
مقبول من اختلاف التفسير فالكل صحيح مقبول.

وهناك وجه آخر من القراءات، وهو الشاذ، أو الضعيف وهو الذي خالف في شروطه  
شروط القبول، والذي بدوره يؤدي إلى اختلافات في التفسير، فكثيراً ما تكون الشاذة  
مفسرة للمشهورة، مبينة لمعانيها، كقراءة عائشة: والصلاة الوسطى صلاة العصر. وقراءة  
ابن مسعود: فاقطعوا أيما نهما<sup>(١)</sup>.

وبالتالي من المهم الوقوف عند القراءات الشاذة وعدم إهمالها، وفي ذلك يقول الهيثمي:  
والقراءة الشاذة يُحتج بها في الأحكام كخير الواحد على المعتمد<sup>(٢)</sup>.

وهو ما عليه عامة أهل العلم في قبول القراءة الشاذة، لا باعتبارها قرآناً، إنما باعتبارها  
على الأقل أثراً مروياً عن آحاد الصحابة رضي الله عنهم<sup>(٣)</sup>.

إذاً يمكن القول: إن ما يتعلق بالقراءات من حيث التفسير:

(١) مختصر في شواذ القاءات، ابن خالويه، ص ١٥.

(٢) تحفة المحتاج بشرح المنهاج، ابن حجر الهيتمي، ح ٨ ص ٢٨٩.

(٣) غاية الوصول إلى شرح لب الأصول، زكريا الأنصاري، ص ٣٥.

١. اختلاف كله صحيح، وهو اختلاف في القراءات المتواترة والتعارض بينه يرجح كما يرجح التعارض بين القرآن بعضه مع بعض.

٢. الاختلاف الناجم عن الاختلاف في القراءات الشاذة أو الضعيفة، ينظر فيه باعتباره منزل منزلة خير الأحاد، وهو معمول به عند عامة المفسرين تفسيراً وليس قرآناً.

ومن الأمثلة على ذلك:

**أولاً:** في قوله تعالى: ﴿فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيدها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾ [آل عمران: ٣٦].

فقرأ ابن عامر، وأبي بكر الكوفي وعاصم، ويعقوب، بضم التاء في (وضعت)، وقرأ ابن كثير ونافع، وأبي عمرو، والكسائي، وحمزة، بسكون التاء: (وضعت)<sup>(١)</sup>.

فعلى القراءة الأولى: التاء تكون فاعل للمتكلم، والمعنى: والله أعلم بما وضعت أنا. والقراءة الثانية: فالتاء تأنث، والمعنى: والله أعلم بما وضعت هي.

والقراءتان متواترتان ومشهورتان، والقول بهما مقبول.

**ثانياً:** في قوله تعالى: ﴿وما هو على الغيب بضنين﴾ [التكوير: ٢٤].

قراءتان مشهورتان ومتواترتان لقوله: ﴿بضنين﴾:

الأولى: بالضاد، وهي قراءة عاصم.

والثانية: بالظاء، (بظنين)، وهي قراءة ابن كثير، والكسائي<sup>(٢)</sup>.

فعلى الأولى يكون المعنى: وما النبي محمد ﷺ على الغيب ببخيل. وعلى الثانية يكون المعنى: وما النبي محمد ﷺ على الغيب بمتهم. وهذا اختلاف مقبول عند العلماء.

**ثالثاً:** في قوله: ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون﴾ [الزخرف: ٥٧].

(١) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ح ٢ ص ٣٦٤.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع، مكي ابن أبي طالب، ح ٢ ص ٣٦٤.

قراءتان متواترتان في: ﴿يصدون﴾<sup>(١)</sup>.

الأولى: قرأ نافع وابن عامر والكسائي بضم الصاد ﴿يَصُدُونَ﴾.

والثانية: قرأ الباقون بكسر الصاد ﴿يَصِدُونَ﴾.

فاختلاف القراءتين أدى إلى اختلاف المعنيين، فعلى الأولى: أي يصدون غيرهم عن الإيمان، وعلى الثانية يكون صدودهم في أنفسهم. وكلا القراءتين مقبول، ومعناهما حق ومقبول ومراد.

**رابعاً:** في قوله تعالى: ﴿ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون (١٤) لقالوا

إنما سكرت أبصارنا بل نحن مسحورون﴾ [الحجر: ١٤ - ١٥].

قال ابن عباس: ﴿سُكِرْتُ﴾ بالتخفيف: بمعنى أخذت وسحرت بناء على قراءة ابن كثير.

وقال قتادة: ﴿سُكِرْتُ﴾ بالتشديد: أي سدت، وهي قراءة الباقيين<sup>(٢)</sup>.

والاختلاف في التفسير راجع لاختلاف القراءات فيها، وهو مقبول.

**خامساً:** في قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس

وإثمهما أكبر من نفعهما ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم

تتفكرون﴾ [البقرة: ٢١٩].

فقرأ حمزة والكسائي قوله: ﴿فيهما إثم كثير﴾ بالثاء، من الكثرة. وقرأ الباقون: ﴿فيهما

إثم كبير﴾ بالباء، من الكبر والعظم.

فعلى القراءة الأولى: قال أبو حيان: ووصف الإثم بالكثرة إما باعتبار الأثمين، فكأنه

قيل فيه: للناس آثام، أي كل واحد من متعاطيها آثم، أو باعتبار ما يترتب على شربه

مما يصدر من شاربها من الأفعال والأقوال المحرفة، أو باعتبار مَنْ زاولها من لدن

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ح ١ ص ٥٥.

(٢) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع، مكي ابن أبي طالب، ح ٢ ص ٣٠. وتفسير الطبري، ح ١٤

كانت إلى أن بيعت وشربت، فقد لعن رسول الله ﷺ معها عشرة: بائعها، ومبتاعها، والمشتراة له، وعاصرها، ومعتصرها، والمعصورة له، وساقياها، وشاربها، وحاملها، والمحمولة له، وأكل ثمنها، فناسب الإثم بالكثرة بهذا الاعتبار<sup>(١)</sup>.

وعلى القراءة الثانية: يقول الزجاج: فأم الإثم الكبير الذي في الخمر فبيّن، لأنها توقع العداوة والبغضاء، وتحول بين المرء وعقله الذي يميز به، ويعرف ما يجب لخالفه<sup>(٢)</sup>.

ولا تناقض بين المعنيين المختلفين هنا باختلاف القراءتين، فكلاهما مقبول.

**سادساً:** في قوله تعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء

أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون﴾ [الأنعام: ٦١].

فقرأ عامة القراء العشر ﴿لا يفرطون﴾ بتشديد الراء.

وقرأ الأعرج بتخفيف الراء وسكون الفاء (يُفْرَطون)<sup>(٣)</sup>.

فعلى قراءة العشر: أي لا يقصرون فيما يؤمرون به من توفي من تحضره المنية ولا يغفلون ولا يتوانون.

وعلى قراءة الأعرج: فهو من الإفراط أي الزيادة والتجاوز، فهم لا يزيدون ولا يتوفون إلا من أمروا بتوفيه، لا يتجاوزون الحد في ذلك.

وبالرغم أن قراءة الأعرج ليست عشرية، فمعناها صحيح وهي مقبولة عند العلماء، وبها فسروا قولاً آخر، وفي ذلك يقول الزمخشري: ﴿يفرطون﴾ بالتشديد والتخفيف، فالتعريف

التواني، والتأخير عن الحد، والإفراط مجاوزة الحد، أي لا ينقصون مما أمروا به ولا يزيدون فيه<sup>(٤)</sup>.

**سابعاً:** قوله تعالى: ﴿فاليوم ننجيك ببك﴾ [يونس: ٩٢].

(١) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ح ٢ ص ١٥٧.

(٢) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ح ١ ص ٢٩٢.

(٣) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ح ٤ ص ٥٤٠.

(٤) الكشف، الزمخشري، ح ٢ ص ٣٢.

قرأ ابن السَّمِيعِ: (تُنَجِّيك) بالحاء المهملة، من التنحية أي نلقيك بناحية مما يلي البحر، وهي قراءة شاذة وإن وافقت العربية والرسم العثماني إلا أن سندها لم يصح فهي شاذة وضعيفة، غير أن معناها مقبول عند المفسرين، وهو وجه من وجوه تفسيرها<sup>(١)</sup>.

## السبب الثاني

### الاختلاف بسبب النسخ أو الأحكام

**أولاً: القول بنسخ ما يمكن أن يكون محكماً:**

يختلف المفسرون في عدد الآيات المنسوخة، طبقاً لمعنى النسخ الذي يذهب للتخصيص أحياناً عند البعض وليس النسخ، أو ما كان منها لبيان ما سبق، ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ الْغَفْوُ﴾ [البقرة: ٢١٩].

قيل: إنها منسوخة بأية الزكاة، كما قال السدي<sup>(٢)</sup>، بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

والقول الثاني: إنها محكمة وغير منسوخة، وتخص صدقة التطوع، أو أن المراد بالعمفو الزكاة بعينها<sup>(٣)</sup>.

فها هنا قولان معتبران مقبولان، مع أن الأولى عند العلماء ترك النسخ فيما يتعارض فيه، وهو الأولى، وعده البعض من التخصيص لا من النسخ.

**ثانياً: القول بأحكام ما ثبت نسخه:**

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامَ مَسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤].

(١) الإيتقان، السيوطي، ح ١ ص ٢٢٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ح ٣ ص ٤٢.

(٣) نواسخ القرآن، ابن الجوزي، ص ٢٠٠.

قال جمهور المفسرين الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ [البقرة: ١٨٥]. كما قاله الطبري ومكي بن أبي طالب وابن حزم، وابن العربي<sup>(١)</sup>. ومما يثبت النسخ ما روي عن سلمة بن الأكوع قال: لما نزلت ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين﴾ [البقرة: ١٨٤]. كان من أراد أن يفطر ويفتدي حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها<sup>(٢)</sup>.

### السبب الثالث

#### الاختلاف بسبب الاجتهاد في مورد النص

من أهم أسباب الخطأ العدول عن المأثور من كلام النبي ﷺ أو صحابته الكرام، وأحتى التابعين، خاصة في الصحيح منها، إلى القول بما يخالف ما أثر ناهيك عما جاء مفسراً بالقرآن نفسه ومن ذلك:

**أولاً:** قوله تعالى: ﴿كذلك وأورثناها قوما آخرين﴾ [الدخان: ٢٨].

قال جمهور المفسرين: هم بنو إسرائيل، لقوله تعالى: ﴿كذلك وأورثناها بني إسرائيل﴾ [الشعراء: ٥٩].

إلا أننا نجد أن بعضاً من المفسرين من عدل عن هذا القول: بأن القوم الآخرين هم ملك مصر، كما قال ابن عطية، والثعالبي، وابن عاشور، مستدلين بتاريخ بني إسرائيل، ولذلك قال أبو حيان رداً عليهم: ولا اعتبار بالتاريخ فالكذب فيها كثير وكلام الله صدق، قال تعالى: ﴿كذلك وأورثناها بني إسرائيل﴾ [الشعراء: ٥٩]<sup>(٣)</sup>.

**ثانياً:** قوله تعالى: ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ [الفاحة: ٧].

(١) ينظر: تفسير الطبري، ح ٢ ص ١٣٧، والناسخ والمنسوخ، النحاس، ص ٢٢، الإحكام، ابن حزم الأندلسي، ح ٤ ص ٤٦.

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الصوم، باب قوله: ﴿وعلى الذين يطيقونه...﴾.

(٣) المحرر الوجيز، ابن عطية، ح ٥ ص ٧٣، والتحرير والتوير، ابن عاشور، ح ٢٥ ص ٣٠٣.

جاء في الحديث عن عدي بن حاتم قول النبي ﷺ: فإن اليهود مغضوب عليهم، وإن النصرارى ضلال<sup>(١)</sup>.

وهذا ما عليه الصحابة والتابعين، وغيرهم أن السيوطي يقول: رأيت من حكى في تفسير قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] نحو عشرة أقوال، وتفسيرها باليهود والنصارى هو الوارد عن النبي ﷺ وجمع الصحابة والتابعين وأتباعهم، حتى قال ابن أبي حاتم: لا أعلم في ذلك اختلافاً بين المفسرين<sup>(٢)</sup>.

فمن أين جاء من جاء بهذه الأقوال؟ فقد قال المراغي: المغضوب عليهم؛ هم الذين بلغهم الدين الحق الذي شرعه الله لعباده، فرفضوه ونبذوه وراءهم ظهرياً.... والضالون: هم الذين لم يعرفوا الحق، أو لم يعرفوه على الوجه الصحيح.....<sup>(٣)</sup>.

### السبب الرابع

#### الأخذ بالضعيف أو الموضوع في إثبات التفسير

#### أولاً: فضائل سور القرآن الكريم:

قال القرطبي: لا التفات لما وضعه الواضعون، واختلقه المختلقون من الأحاديث الكاذبة، وقال الأخبار الباطلة من فضل سور القرآن، وغير ذلك من فضائل الأعمال...<sup>(٤)</sup>. وقال ابن العربي: وليس في القرآن حديث صحيح في فضل سورة إلا قليل<sup>(٥)</sup>. فمن أين أتى مفسرهم أن لكل سورة حديث في فضلها؟ كما فعل البيضاوي، والزمخشري في تفسيرهما<sup>(٦)</sup>.

(١) أخرجه الترمذي في السنن، كتاب تفسير القرآن، باب في سورة الفاتحة.

(٢) الإتيان، السيوطي، ح ٢ ص ١٩٠، تفسير ابن حاتم، ح ١ ص ٢٣.

(٣) تفسير المراغي، ح ١ ص ٨٣٧.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ح ١ ص ٧٨.

(٥) أحكام القرآن، ابن العربي، ح ١ ص ١٤.

(٦) التفسير والمفسرون، الذهبي، ح ١ ص ٢١٢.



## ثانياً: القراءات الضعيفة والموضوعة:

١. قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

قرأ الجمهور بنصب لفظ الجلالة ورفع كلمة العلماء، وذكرها الزمخشري في كشافه برفع لفظ الجلالة ونصب كلمة العلماء، وحاول تصحيح معناه الذي لا يصح مع هذه القراءة الموضوعية<sup>(١)</sup>.

٢. قراءة من قرأ قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاحة: ٤].

بقراءة ضعيفة (ملك) بلفظ الفعل ونصب (يوم الدين)، فحكاها ابن كثير عن أبي حنيفة بقوله: وهذا شاذ غريب جداً<sup>(٢)</sup>.

## ثالثاً: الاستدلال في أسباب النزول:

من ذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة: ١٤]. أن الآية نزلت في عبد الله بن أبي وأصحابه، ذلك أنهم خرجوا يوماً فاستقبلهم نفر من أصحاب النبي ﷺ، فقال عبد الله بن أبي: انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم، (والحديث طويل، خلاصته أنه امتدح كل واحد منهم) فرجعوا إلى النبي فذكروا له ما قال، فأنزل الله هذه الآية. لكن الرواية من رواية محمد بن مروان \_ السدي الصغير \_ عن محمد بن السائب الكلبى، عن أبي صالح عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>، وهو من أوهن الطرق عن ابن عباس، ناهيك على أن الثلاثة يعرفون عند المحدثين بسلسلة الكذب.

(١) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ح ١ ص ١٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ح ١ ص ٢٦.

(٣) أسباب النزول، الواحدي، ص ٥٨.

## السبب الخامس

### الاختلاف بسبب التفسير بالإسرائيليات

ويكثر ذلك في تفسير القصص القرآني، أو ما يتعلق ببدء الخليقة، وغير ذلك، ومنه: **أولاً:** أغلب القصص الواردة في حق الأنبياء، مما لا يليق بهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وقد أكثر منها الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان، والواحدي في تفاسيره، والخازن في لباب التأويل في معاني التنزيل<sup>(١)</sup>.  
ومن ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤]. فذكر كثير من المفسرين، كالطبري، والثعلبي، والبغوي، والسيوطي، وغيرهم، في تفسيرها قصة إسرائيلية طويلة غالية في الغرابة وهي باختصار: أن نبي الله سليمان تزوج امرأة كانت تعبد صنماً في داره من غير علمه، وكان ملكه في خاتمه، فنزعه مرة عند الخلاء ووضع مع زوجته هذه، فجاء جني بصورة سليمان فأخذ الخاتم، وجلس على كرسي سليمان، وطرده من ملكه، وتسلط على نسائه في الحيض، واستمر على ذلك حتى وجد سليمان خاتمه في بطن السمكة التي أعطاها له<sup>(٢)</sup>.  
وقد نص على بطلان هذه القصة أئمة التفسير كالطبري، والنسفي، وأبو حيان، وابن كثير، والآلوسي، وغيرهم<sup>(٣)</sup>.

قال ابن كثير بعد أن أورد عدة روايات، ومنها رواية ابن عباس: ولكن الظاهر أنه إنما تلقاه ابن عباس إن صح عنه من أهل الكتاب، وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام، فالظاهر أنهم يكذبون عليه، ولهذا كان في هذا السياق منكرات

(١) التفسير والمفسرون، الذهبي، ح ١ ص ٢٢٠.

(٢) تفسير الطبري، ح ٣ ص ١٠١، وابن أبي حاتم في تفسيره، ح ١٠ ص ٣٢٤١، والبغوي في تفسيره، ح ٧ ص ٩٠، والدر المنثور، السيوطي، ح ٥ ص ٣٠٩.

(٣) روح المعاني، الآلوسي، ح ٢٣ ص ١٩٨، والنسفي في تفسيره، ح ٤ ص ٣٢.

من أشدها ذكر النساء، فإن المشهور عن مجاهد وغير واحد من أئمة السلف أن ذلك الجني لم يسלט على نساء سليمان، بل عصمهن الله منه تشريفاً وتكريماً لنبيه ﷺ<sup>(١)</sup>. وكذلك ما جاء في بطون كتب التفسير التي أكثرت من ذكر القصص الإسرائيلي، كقصة يوسف وأخوته وأيوب ومرضه، وأخبار نوح وسفينته، وأخبار أصحاب الكهف وملكهم، وغير ذلك كثير مما لم يصح نقلاً، فضلاً عن عدم صحته عقلاً وشرعاً.

**ثانياً:** عند قوله تعالى: ﴿وَإِذ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧].

فقد جاء في تفسير المنار أن المراد من هذه الآيات بيان نوع من التشريع الموجود عند بني إسرائيل؛ يتوصل به إلى معرفة القاتل المجهول. وهو حسب زعم محمد رشيد رضا مرتبط بما جاء في التوراة المتعلق بذبح البقرة في سفر (التثنية الاشتراع الفصل الحادي والعشرين)، والذي ينص على أنه وجد قتيل قرب بلد ولم يعرف قاتله؛ فلمعرفة القاتل لا بد من أن يأتي كبراء أقرب بلدة إليه فيغسلون أيديهم من دماء (عجلة)، فإن لم يظهر ما يدل على تورطهم برءوا وبرء أهل بلدتهم من دمه، فدل أن تفسير ذبح البقرة هو بيان هذا الحكم الوارد في كتبهم، وهو ما خرج به عن تفسير جمهور المفسرين، وخصوصيتها في تلك الحادثة المشهورة، وأنها معجزة من معجزات نبي الله موسى عليه السلام<sup>(٢)</sup>.

## السبب السادس

### الاختلاف بسبب الاعتماد على مجرد اللغة

من المعلوم أن القرآن نزل بلغة العرب، وهو سائر على أصولها في الأعم الغالب، ومن هنا كان لا بد لمن أراد فهم نصوص التنزيل أن يكون متبحراً في علوم اللغة العربية، فقال مجاهد: لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكـم

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج ٤ ص ٤٠.

(٢) ينظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ج ١ ص ٣٤٣ وما بعدها.

عالمًا بلغات العرب<sup>(١)</sup>. خاصة لازدياد الحاجة إليها مع دخول العجم في الإسلام وتوسع الفتوحات في العصور اللاحقة لعصر الصحابة وتابعيهم. لكن هذا لا يعني أن كل ما تستسيغه لغات العرب يكون تفسيراً للقرآن الكريم، ومجرد التفسير بالرأي اللغوي يكون من التفسير بالرأي المذموم كما مر سابقاً. فاللغة كغيرها من العلوم مساعدة للمفسر في الوصول إلى المعنى المراد من النص، يضاف إليها باقي العلوم المساعدة في التفسير كعلم القراءات وأسباب النزول، بالإضافة إلى النظر في الأثر قبل كل ذلك، فالرواية أصل، وقواعد العربية تتبع لها، لا العكس والقرآن حكم على قواعد اللغة لا العكس<sup>(٢)</sup>.

يقول الحافظ أبو عمرو الداني: وأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفتشى في اللغة والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل، والرواية إذا ثبت عنهم لم يروها قياس عربية ولا فشو لغة؛ لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها<sup>(٣)</sup>.

ومن الأمثلة في ذلك:

**أولاً:** عند قوله تعالى: ﴿مصدقاً بكلمة من الله﴾ [آل عمران: ٣٩].

فسر أبو عبيدة معتمداً على مجرد لسان العرب؛ أن معنى ﴿بكلمة من الله﴾ أي بكتاب من الله، لأن العرب تقول: أنشد في كلمة كذا وكذا، أي قصيدة فلان وإن طال<sup>(٤)</sup>. وقد رد الطبري على قوله هذا وبعد أن نقل كلامه: أن هذا جهلاً منه بتأويل الكلمة، واجتزاء على ترجمة القرآن برأيه<sup>(٥)</sup>، بالإضافة إلى الأثر المنقول عن الصحابة وتابعيهم أن معنى (كلمة) هي: عيسى ابن مريم، كما نقل مجاهد والسدي وغيرهم<sup>(٦)</sup>.

(١) تفسير مجاهد، مجاهد، ح ١ ص ٢٧.

(٢) أسباب الخطأ في التفسير، طاهر يعقوب، ص ٢١٩.

(٣) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ح ١ ص ١٠.

(٤) مجاز القرآن، أبو عبيدة، ح ١ ص ٩١.

(٥) تفسير الطبري، ح ٣ ص ٢٥٤.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ح ١ ص ٣٦٩.

**ثانياً:** في قوله تعالى: ﴿وفيه يعصرون﴾ [يوسف: ٤٩].

قال مفسرهم: أي ينجون به من الكروب والجذب، وهو من العصر، وهي العصرة - أيضاً - وهي من المنجاة والملجأ معتمداً على ما تعرفه العرب من معنى العصر<sup>(١)</sup>. مخالفاً جمهور المفسرين الذين نقلوا معنى العصر بعصر العنب خمراً والزيتون زيتاً والسهمس دهنأ، أو يجلبون الشياه والنعم، والمراد به الخير والنعيم. كما هو مروى عن ابن عباس ومجاهد والضحاك<sup>(٢)</sup>.

**ثالثاً:** الاعتماد على المجاز وعلوم البلاغة العربية:

نرى هذا الخطأ في التفسير جلياً في تفاسير الفرق الضالة، حيث اعتمدوا على المجاز المذموم في إثبات عقائدهم الباطلة، والرد بها على مخالفيهم، والاحتجاج بها عليهم، وقد أكثر الزمخشري في كشفه من ذلك، وكذلك القاضي عبد الجبار المعتزلي، والشيخ محمد عبده، والسيد محمد رشيد رضا، ومن ذلك:

١. قوله تعالى: ﴿يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد﴾ [ق: ٣٠].

فقد فسرها الزمخشري بقوله: وسؤال جهنم وجوابها من باب التخيل الذي يقصد به تصوير المعنى في القلب<sup>(٣)</sup>. وهذا مخالف لما عليه أهل التفسير، فما يمنع أن ينطق الله أياً من خلقه وفي ذلك يقول ابن كثير: سيملؤها من الجنة والناس أجمعين، فهو سبحانه يأمر بمن يأمر به إليها، ويلقى وهي تقول: هل من مزيد، أي هل بقي شيء تزيديني؟ هذا هو الظاهر من سياق الآية، وعليه تدل الأحاديث. ثم أورد حديث البخاري في تفسير هذه الآية. عن أنس ابن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: يلقي في النار، وتقول هل من مزيد، حتى يضع قدمه فيها، فتقول قط قط<sup>(٤)</sup>.

(١) مجاز القرآن، أبو عبيدة، ح ١ ص ٣١٣.

(٢) تفسير البغوي، ح ٤ ص ٢٤٧.

(٣) الكشاف، الزمخشري، ح ٣ ص ٣٨٥.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ح ٧ ص ٤٠٣.

٢. في قوله تعالى: ﴿تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً﴾ [الإسراء: ٤٤].

أنكرت المعتزلة حقيقة التسبيح، وحملوا تأويل النص لمجاز، قال القاضي عبد الجبار: يعني أنها تدل على توحيده وتنزيهه عن الأشباه، فالمراد بتسبيح السموات والأرض ومن فيهن ما ذكرناه، لا أن المراد به القول الذي يسمى تسبيحاً<sup>(١)</sup>. وقال الزمخشري: والمراد أنها تسبح له بلسان الحال، حيث تدل على قدرة الصانع وعلى قرته وحكمته، فكأنها تتطرق بذلك، وكأنها تنزه الله مما لا يجوز عليه من الشركاء وغيرها<sup>(٢)</sup>.

### رابعاً: الاختلاف بسبب حمل الكلام على التقديم والتأخير:

بمعنى جعل اللفظ في رتبة قبل رتبته الأصلية أو بعدها لعارض اختصاص أو أهمية أو ضرورة<sup>(٣)</sup>. وللتقديم والتأخير فوائد جمة لا تخفى على أهل اللغة، كالتشويق للمؤخر، أو الاهتمام بالمقدم، أو مراعاة الترتيب بالأفضلية، وغير ذلك، غير أن الأصل بقاء الكلام على ترتيبه مالم يفيد إفادة ظاهرة بقرينة تقرر ذلك، مع عدم التعارض مع الأثر. من ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة﴾ [البقرة: ٦٧]، مقدم على قوله: ﴿وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها﴾ [البقرة: ٧٢]. فذكر الذبح مقدماً على قصة قتل الرجل، وهو من أعظم أساليب طرق القصة المعروفة حديثاً، وهذا من المبالغة العربية التي لا تؤثر في التفسير.

وأما ما يتعلق في التفسير، فهو كقوله تعالى: ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله﴾ [غافر: ٢٨]. فقوله: ﴿من آل فرعون﴾ صفة للمؤمن، وقيل: كان من بني إسرائيل، فقوله: من آل فرعون على هذا يتعلق بقوله:

(١) تنزيه القرآن عن المطاعن، عبد الجبار المعتزلي، ص ٢٢٩.

(٢) الكشاف، الزمخشري، ح ٢ ص ٣٦٢.

(٣) الإكسير في علم التفسير، سليمان الصرصري، ص ١٥٤.

﴿يكتّم إيمانه﴾، يعني يكتّم إيمانه من آل فرعون. قال ابن الجوزي: والأول أرجح لأنه لا يحتاج فيه إلى تقديم وتأخير، فالمؤمن من آل فرعون وليس من بني إسرائيل لأن الأصل يكون الكلام على ترتيبه ولا يقال بالتقديم والتأخير إلا إذا لم يفهم إلا التقديم والتأخير<sup>(١)</sup>.

#### **خامساً: اختلاف الإعراب حتى وإن لم تختلف القراءات:**

حيث أن اختلاف الإعراب مبني على الاختلاف في المعنى، لكن إذا اختلف الإعراب ألا يختلف المعنى؟ نعم يختلف وإن كان الأصل فهم المعنى ثم إعرابه، لأن الإعراب فرع المعنى، واختلاف الإعراب عندها سبب اختلاف المعنى. وبالتالي فإن اختلاف الإعراب لا يعد اختلافاً في التفسير، فالتفسير أولاً ثم الإعراب.

#### **سادساً: الاختلاف بسبب الاشتراك اللفظي:**

وهو أن يكون اللفظ أكثر من معنى في لغة العرب؛ كلفظ: (عسعس) في قوله تعالى: ﴿والليل إذا عسعس﴾ [التكوير: ١٧]. والعرب تستخدمه من معنيين متضادين، بمعنى أدبر وبمعنى أقبل.

قال ابن كثير: فيه قولان: أحدهم إقباله بظلامه، قال مجاهد: أظلم، وقال الحسن البصري: إذا غشي الناس... وقال ابن عباس: إذا أدبر، وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وزيد بن أسلم... أي ذهب فتولى<sup>(٢)</sup>.

ومثله في قوله تعالى: ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾ [البقرة: ٢٢٨]. ويطلق القراء على الحيض والطهر معا في لغة العرب، وكلاهما محتمل من السياق، إلا أن ترجيح أحدهما يعني إبعاد الآخر.

يقول في أحكام القرآن: وأما اسم الأقرء فيتناول الحيض والطهر جميعاً في كونه حقيقة فيهما، أو مشتركاً لا يظهر رجمان أحد المعنيين على الآخر، ثم يسوق كلاماً طويلاً

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي، ح ١ ص ٤٧١.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ح ٨ ص ٣٨٨.

يناقش أقوال من قال بأن أحدهما حقيقياً والآخر مجازاً ليصل بالنتيجة بالقول: فيستقيم معنى الكلام في دلالاته على الحيض والطهر جميعاً، فيصير الاسم مشتركاً<sup>(١)</sup>.

### سابعاً: الاختلاف بسبب عودة الضمير:

١. قال تعالى: ﴿ورأودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك

قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون﴾ [يوسف: ٢٣].

قال الطبري: ﴿إنه ربي أحسن مثواي﴾، يعني زوج المرأة<sup>(٢)</sup>.

وقال أبو حيان: الضمير الأصح أن يعود لله تعالى<sup>(٣)</sup>.

٢. قوله تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ [فاطر: ١٠].

قال الضحاك: العمل الصالح يرفع الكلام الطيب<sup>(٤)</sup>.

وقال مقاتل: يصعد إلى السماء كلمة التوحيد والعمل الصالح يرفعه يقول: التوحيد يرفع

العمل الصالح إلى الله تعالى في السماء<sup>(٥)</sup>.

وقيل: يرجع إلى الله تعالى، فهو الذي يرفع العمل الصالح، وقيل يرجع إلى الكلم الطيب

فهو الذي يرفع العمل الصالح<sup>(٦)</sup>.

### ثامناً: الاختلاف بسبب العموم والخصوص:

منها قوله تعالى: ﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله﴾ [النساء: ٥٤].

قيل المراد بالناس النبي محمد ﷺ، وقيل المراد من أرسل إليهم، قال ابن عباس: نحن

الناس دون الناس<sup>(٧)</sup>. فيكون على الأول خاصاً وعلى الثاني عاماً.

(١) أحكام القرآن، الكيا الهراسي، ح ١ ص ١٥٥.

(٢) تفسير الطبري، ح ١٢ ص ١٠٨.

(٣) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ح ٥ ص ٢٩٤.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم، ح ١ ص ٣١٧٤.

(٥) بحر العلوم، السمرقندي، ح ٣ ص ١٠٣.

(٦) ينظر: فتح القدير، الشوكاني، ح ٤ ص ٣٣٦.

(٧) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ح ٢ ص ٤٢٢.



### تاسعاً: الاختلاف بسبب المطلق والمقيد:

ومنها قوله تعالى: ﴿فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام﴾ [المائدة: ٨٩]. فقال أبو حنيفة: بالتتابع فيهما مقيداً لها بقراءة ابن مسعود الشاذة: (متتابعات)، وأطلق الشافعي لعدم الاحتجاج بالشاذ، ولأن التتابع صفة لا تجب إلا بنص أو قياس على منصوص، وقد عدما<sup>(١)</sup>.

### عاشراً: الاختلاف بسبب الاستثناء في نوعه وعوده:

١. قوله تعالى: ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون (٤)﴾ إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم﴾ [النور: ٤ - ٥].

وقد اختلف هنا في مرجع الاستثناء، فهل هو عائد على جميع الجمل؟ أم إلى الأخيرة فقط؟ "فقال الجمهور: إن هذا الاستثناء يرجع على الجملتين، فإذا تاب القاذف قبلت شهادته وزال عنه الفسق.... وقال أبو حنيفة: إن هذا الاستثناء يعود إلى جملة الحكم بالفسق، لا إلى جملة عدم قبول الشهادة، فيرتفع بالتوبة عن القاذف وصف الفسق ولا تقبل شهادته أبداً<sup>(٢)</sup>.

٢. وفي قوله تعالى: ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على نصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً فمن اضطر في مخصصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم﴾ [المائدة: ٣].

وقد وقع الخلاف في نوع الاستثناء، وفي عوده معاً على ثلاثة أقوال:

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج ٦ ص ٢٨٣.

(٢) فتح القدير، الشوكاني، ج ٤ ص ١١.

**الأول:** فقد قيل: إن الاستثناء متصل مختص بقوله: ﴿وما أكل السبع﴾، وعلى هذا يكون المعنى: حرمت عليكم المذكورات إلا ما أدركتم زكاته مما أكل السبع فهو حلال لكم. فهو مختص بما أكل السبع فقط.

**الثاني:** وقيل: إن الاستثناء منقطع: أي حرمت عليكم هذه المذكورات لكن ما ذكيتم فهو الذي لا يحرم عليكم، فعلى هذا لا يحل شيء إلا بالتذكية له.

**الثالث:** وقيل: إن الاستثناء متصل راجع على كل ما يمكن عوده إليه مما ذكر، فيعود على كل ما ذكر فيكون حلالاً كل ما أمكنت ذكاته قبل موته مما ذكر<sup>(١)</sup>.

### السبب السابع

#### الاختلاف بسبب اختلاف مفاهيم القواعد الأصولية

##### ١. الاختلاف في مفهوم المحكم والمتشابه:

ومن الأمثلة الواضحة هنا، ما ذهب إليه المعتزلة عند قوله تعالى: ﴿ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتهم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل﴾ [الفرقان: ١٧].

يقول الزمخشري: وفي هذه الآية كفر بين لقول من يزعم أن الله يضل عباده عن الحقيقة، حيث يقول للمعبودين من دونه: أأنتم أضلتموهم، أم هم ضلوا بأنفسهم؟ فيتبرؤون من إضلالهم، ويستعيذون به أن يكونوا مضلين، ويقولون بل أنت تفضلت من غير سابقة على هؤلاء وأبائهم تفضل جواد كريم<sup>(٢)</sup>.

ويستدل الزمخشري بهذه الآية، وهذا القول على مذهبه الاعتزالي (العبد يخلق أفعال نفسه وأن الله لا يخلق الشرور)، على أن الله لا يخلق الضلال والشر، وإنما هو من خلق العبد، مخالفاً به جمهور علماء المسلمين؛ الذين يقولون: إن الله خالق كل شيء

(١) أحكام القرآن، ابن العربي، ح ٢ ص ١١.

(٢) الكشاف، الزمخشري، ح ٣ ص ٢٦٩.

مستدلين بقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]. وقوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

## ٢. الاختلاف بسبب دلالة المعاني:

تبين القاعدة التفسيرية الآتية، كما سبق في قواعد التفسير: إنصوص القرآن من حيث دلالتها على المعاني ثلاثة أنواع: إما نصوص لا تحتل إلا معنى واحد، وإما نصوص تحتل غير معانيها الظاهرة منها، لكن ترد إلى التي لا تحتل إلا معنى واحداً لاطرادها في استعماله، وإما نصوص مجملة: أن نصوص القرآن الكريم تنقسم إلى ثلاثة أقسام: **القسم الأول:** ما يعرف عند الأصوليين بالنص، وهي النصوص التي لا تحتل إلا معنى واحداً، وهي مفيدة للعلم قطعاً، وهو المقصود أصالة من سياق الكلام<sup>(١)</sup>.

**القسم الثاني:** وهي النص الذي يحتل غير معناه الظاهر منه، ولكن اعتياد الاستعمال على معنى واحد جعلها تجري مجرى النص الذي لا يحتل إلا معناه، وهو ما يعرف عند الأصوليين بالظاهر الذي يدل على معناه من غير قرينة، كلفظ (الصلاة)، و(الزكاة)<sup>(٢)</sup>.

**القسم الثالث:** هو المجمل، وهي ضد المفسر، وهو لفظ لا يفهم المراد منه إلا بالاستفسار من المجمل، وبيان من جهته يعرف به المراد<sup>(٣)</sup>، ولا يحكم على المجمل حتى يرد التفسير فيه، في موضعه، أو غير موضعه، أو في السنة النبوية، أو الاجتهاد. فالأموال الربوية في القرآن نكرت بشكل مجمل بقوله تعالى: ﴿وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥]، وفسرت في السنة النبوية تفسيراً لا يشتمل جميع الأموال الربوية في العصور اللاحقة، فالاجتهاد كفيل ببيانها قياساً على ما جاءت به السنة.

## ٣. الاختلاف بسبب مفهوم التأويل:

(١) الوجيز في أصول الفقه، عبد الكريم زيدان، ص ٣٣٨.

(٢) أصول السرخسي، السرخسي، ح ١ ص ١٦٣.

(٣) أصول السرخسي، السرخسي، ح، ص ١٦٨.

سبق وبيننا أن التأويل ثلاثة أنواع:

**النوع الأول: التأويل الفاسد:** وهو صرف اللفظ عن ظاهره بدليل يظن الصارف أنه دليل، وما هو بدليل، أو الدلالة عليه بعيدة جداً. ومثاله التطبيقي: قوله تعالى: ﴿فإطعام ستين مسكيناً﴾ [المجادلة: ٤]. جعل بعض المفسرين إطعام الواحد بقدر إطعام الستين، كإطعام الستين، وقالوا: إن المقصود هو دفع الحاجة، ودفع حاجة ستين مسكيناً في يوم واحد كدفع حاجة الواحد ستين يوماً. يقول الشيخ الشنقيطي: أظهر قولي أهل العلم عندي: أنه لا يجزئ في الإطعام أقل من ستين مسكيناً... خلافاً لأبي حنيفة القائل: بأنه لو أطمع مسكيناً واحداً ستين يوماً أجزاءه<sup>(١)</sup>، ولأن قوله: ﴿مسكيناً﴾ وهو تمييز العدد المذكور، فحملة على مسكين واحد خروج بالقرآن عن ظاهره المتبادر منه بغير دليل يجب الرجوع إليه، وهو لا يصح. وحمل المسكين في هذه الآية على مقدار الطعام (المد)، ليصبح إطعام ستين مداً لمسكين واحد تأويل بعيد أو فاسد.

**النوع الثاني: التأويل الباطل:** وهو صرف اللفظ عن ظاهرة بلا دليل أصلاً، كما يؤول أصحاب البدع والزيغ والضلالات من أهل التفاسير الباطنية، والعقدية المنحرفة، الذين يقولون بظاهر القرآن وباطنه، وأن الله جعل ظاهر القرآن في الدعوة والتوحيد والنبوة والرسالة، وجعل باطنه في الدعوة إلى الإمامة والولاية وما يتعلق بهما<sup>(٢)</sup>. وبذلك أخذوا يتصرفون في القرآن كما يحبون وعلى أي وجه يشتهون، فليس هناك ضابط لتأويلاتهم، ولا تدل عليها ألفاظ القرآن الكريم بأي نوع من الدلالة، بل هو مبني على ما تمليه عليهم عقيدتهم وأذواقهم ومشاربهم، ومثل هذه التأويلات لظاهر ألفاظ القرآن مردودة عليهم بهذه القاعدة.

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد المختار الشنقيطي، ح ٦ ص ٥٦١. ينظر أقوال الفقهاء في المسألة في مظانها من كتب الفقه على اختلاف مذاهبهم.

(٢) وممن قال بذلك الإمامية الإثنا عشرية، وهم فرقة من غلاة الشيعة يعتقدون بعصمة الأئمة الإثني عشر، ويطعنون في كبار الصحابة والخلفاء: أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم.

ومن أمثلة هذا النوع وهي كثيرة في: قول مفسرهم: ﴿رب المشرقين ورب المغربين﴾ [الرحمن: ١٧]: المشرقين: رسول الله ﷺ وعلي، والمغربين الحسن والحسين عليهما السلام<sup>(١)</sup>.

النوع الثالث: المقبول: وهو المقبول منهم، وهو ما إذا صرف اللفظ عن ظاهره بدليل يدل على ذلك، ويشمل هذا جميع التأويلات المدللة المقبولة.

#### ٤. الاختلاف بسبب العموم والخصوص:

إذا كان ظاهر النص دالاً على العموم فإنه يتعين حمله عليه، ولا يجوز أن يكون معناه أضيق من لفظه الدال عليه إلا بدليل معتبر، فالقاعدة: [كل عام يبقى على عمومته حتى يأتي ما يخصه]:

وهنا لا بد من الإشارة إلى مسألتين:

#### المسألة الأولى: دخول الإناث في خطاب الذكور:

إن ألفاظ الجموع منها ما يختص به الذكور دون الإناث كلفظ (الرجال) ومنها ما يختص به الإناث دون الذكور كلفظ (النساء)، فلا ينصرف أحدها إلى الآخر إلا بدليل خارج عنه. ومنها ما يشمل الرجال والنساء، كالناس، والإنس، والبشر. ومنها ما يختص به جمع الذكور مثل (مسلمون)، ومنها ما يختص به جمع الإناث مثل (مسلمات)، ومنها ما هو مقترن بواو الجماعة مثل (فعلوا)، أو مقترن بنون النسوة مثل (فعلن)، فالجمهور على اختصاص كل جمع بما تدل عليه علامته، إلا أنه في بعض الحالات تدل القرائن على عموم الجمع فتحمل عليها<sup>(٢)</sup>.

#### المسألة الثانية: دخول النبي ﷺ في عموم خطاب أمته:

فهل يدخل النبي ﷺ في عموم خطاب الله عز وجل لأمة المسلمين؟ مثل قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾، أو قوله: ﴿يا أيها الناس﴾، فالجمهور على دخوله ﷺ في هذه الصيغ؛ لأنه سيد المؤمنين وسيد الناس، فلا يخرج منها إلا بدليل.

(١) المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي، ج ٦ ص ٣.

(٢) الإحكام في أصول الأحكام، الأمدي، ج ٢ ص ٣٨٦.

لكن الإشكال في ورود ما لا يدل على التعميم أو الاختصاص، كما في قوله: ﴿ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين﴾ [الزمر: ٦٥]، وقوله تعالى: ﴿يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾ [الأحزاب: ١]. **فهل هو عام في النبي ﷺ وأمته؟ أم مختص بالنبي ﷺ وحده؟**

والقول المختار في ذلك: أن كل خطاب للنبي ﷺ ما لم يرد دليل في التخصيص يبقى على عمومته، إذ إن النبي ﷺ هو من المؤمنين فالخطاب شامل لجميع المؤمنين. إذاً: العام يبقى دالاً على العموم، إلا بدليل يخصه.

#### **٥. الاختلاف بسبب مفهوم الشرط والصفة والغاية والاستثناء والإشارة بذلك:**

قد يقوم الدليل على العام؛ أن مراد الشارع منه ليس العموم، أو ثبوت الحكم لجميع أفرادها، بل ثبوت الحكم للبعض وسقوطه عن البعض، وهذا هو معنى تخصيص العام. كما مر في شرح القاعدة التفسيرية: إذا ورد الشرط أو الاستثناء أو الصفة أو الغاية أو الإشارة بـ "ذلك" بعد مفردات، عاد إلى جميعها، إلا بقرينة. فيمكن الرجوع إلى أمثلتها هناك.

### **السبب الثامن**

#### **الاختلاف بسبب التعصب المذهبي الفقهي**

الفقه كما التفسير، فالأصل واحد، والمصدر واحد، فكثير من نصوص التنزيل، ونصوص السنة تشتمل على الأحكام الشرعية.

ففي حياة النبي ﷺ رجع الصحابة رضي الله عنهم إلى النبي ﷺ في استبيان ما أشكل عليهم من أحكام. ثم عمد الصحابة رضي الله عنهم إلى الاجتهاد فيما لا نص فيه، بعد وفاة النبي ﷺ، مبتغين الحق فيما ذهبوا إليه.

إلا أن الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا على رأي واحد فيما ذهبوا إليه من أحكام، وذلك لاختلاف أفهامهم ونظراتهم للنصوص، وأفضل ما يمكن أن نمثل به؛ الاختلاف

الذي وقع بين ابن عباس وزيد بن ثابت رضي الله عنهم في مسألة ميراث من مات عن زوج وأبوين<sup>(١)</sup>:

فحكم ابن عباس للزوج فرضه، وللأم الثلث فرضها، وللأب الباقي تعصيباً. ومستنده قواه تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمُ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١١]، وقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلِكُمُ الرِّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيْنَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرِّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورِثُ كِلَاءَهُ أَوْ امْرَأَةٌ وَهِيَ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍ وَصِيَّةٍ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٢].

وحكم زيد وجمهور الصحابة أن للأم ثلث ما بقي بعد فرض الزوج، وللأب الثلث. لأنه لو أعطى الأم الثلث، والزوج النصف، والسدس الباقي للأب، فحينئذ تكون الأم قد ورثت ضعف الأب، وهذا مخالف لما عليه قواعد الميراث، بأن الأنثى لا ترث أكثر من الرجل وهما في جهة واحدة، كالأب والأم هنا.

مع ذلك لم يكن الصحابة إلا طلاب حق، فيما اختلفوا فيه، غير أن ما طرأ على المسلمين من مستجدات بعد ذلك، لم يسبق أن كانت في عهد الصحابة رضي الله عنهم، كان لابد لفقهاء العصر أن ينظروا فيها، فاختلفوا تبعاً لاختلاف فهمهم للنصوص وتفسيرها، خاصة مع ظهور أئمة المذاهب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وغيرهم.

(١) وهذه إحدى مسألتين العمريتين كما هو معروف عند علماء المواريث.

الحق أن الفقهاء اختلفوا كثيراً فيما اجتهدوا فيه من أحكام، غير أننا لم نلاحظ عند الرعيّل الأول تعصباً لما جنحوا إليه من أقوال، بل كان اختلافاً طبيعياً سببه اختلاف أفهام الناس، وهذا أمر طبيعي لا إشكال فيه.

لكن مع تعصب أتباع المذاهب؛ الذين كانوا ينظرون إلى أئمتهم كأنهم معصومين، بل وزادوا على هذا بأن طوعوا النصوص لتوافق ما ذهبوا إليه.

ومنه قول متعصبهم أبي الحسن الكرخي شيخ الجصاص: كل آية تخالف ما عليه أصحابنا فهي مؤولة أو منسوخة، وكل حديث كذلك فهو مؤول أو منسوخ<sup>(١)</sup>. ومن أمثلة ذلك:

١. عند قوله تعالى: ﴿ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾ [البقرة: ١٨٧].

نجد الجصاص يحاول إثبات أن من دخل في صوم التطوع لزمه إتمام صيامه ليوافق ما عليه أبي حنيفة، خلافاً للشافعية الذين قالوا الصائم أمير نفسه، إن شاء أتم وإن شاء أفطر<sup>(٢)</sup>.

٢. وهذا الكيالهراسي الشافعي يرد على الجصاص الحنفي في مسألة زواج الزاني ممن زنى بها، عندما فسر قوله تعالى: ﴿حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان غفوراً رحيماً﴾ [النساء: ٢٣].

فاستدل بها على أن للزاني أن يتزوج ممن زنا بها، خلافاً للحنفية؛ الذين يقولون بتحريم الزاني على المزني بها بما في ذلك أصولها وفروعها<sup>(٣)</sup>.

(١) ما لا يجوز فيه الخلاف بين المسلمين، عبد الجليل عيسى، ص ٩٥.

(٢) أحكام القرآن، الجصاص، ج ١ ص ٢٧٤.

(٣) أحكام القرآن، الكيالهراسي، ج ١ ص ٢١٤.



٣. وعند قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون﴾ [المائدة: ٦].

يذكر ابن العربي المالكي أن العلماء اختلفوا في مسح الرأس على أحد عشر قولاً، ثم بيّنها جميعاً، ثم يقول بعد ذلك: وليس يخفى على أحد عند اطلاعه على هذه الأقوال والأنحاء والمطالعات أن القوم لم يخرج اجتهادهم سبيل الدلالات في مقصود الشريعة، ولا جاوز طرفيها إلى الإفراط، فإن الشريعة طرفين، أحدهما عن طرف التخفيف في التكليف، والآخر طرف الاحتياط في العبادات فمن احتاط استوفى الكل، ومن خفف أخذ بالبعض<sup>(١)</sup>.

٤. وفي قوله تعالى: ﴿وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها إن الله كان على كل شيء حسيباً﴾ [النساء: ٨٦]، نجد ابن العربي المالكي يستدل بها على وجوب الثواب في الهبة للعين، فكما يلزمه رد التحية يلزمه رد الهبة بمثلاً أو أحسن منها. وقال: هذا خلافاً للشافعي الذي قال: ليس في هبة الأجنبي ثواب، قال: وهذا فاسد؛ لأن المرء ما أعطى إلا ليعطى، وهذا هو الأصل فيها، وإننا لا نعمل عملاً لمولانا إلا ليعطينا، فكيف بعضنا لبعض<sup>(٢)</sup>؟

٥. ومن الأمثلة أيضاً: قوله تعالى: ﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن﴾ [البقرة: ٢٣٢].

وقوله تعالى: ﴿فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله﴾ [البقرة: ٢٣٠].

(١) أحكام القرآن، ابن العربي، ج ١ ص ٢٣٥.

(٢) أحكام القرآن، ابن العربي، ج ١ ص ١٩٤.

من هاتين الآيتين استدل أبو حنيفة على جواز نكاح المرأة بدون إذن وليها. ولها أن تزوج نفسها ولا اعتراض للولي عليها إذا كان الذي اختارته كفؤاً<sup>(١)</sup>.

وخالف الحنفية جمهور العلماء، الذين استدلوا على قولهم بأدلة كثيرة من الكتاب والسنة منها: قول الله تعالى: ﴿وَأَنْكَحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢].

من السنة كثير، منه ما ورد عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فإن دخل بها فلها المهر بما استحل من فرجها، فإن اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له<sup>(٢)</sup>. وقال ابن المنذر: إنه لا يعرف عن أحد من الصحابة خلاف ذلك<sup>(٣)</sup>. وقال أيضاً: وأما ما قاله النعمان فمخالف للسنة، خارج عن قول أكثر أهل العلم. وبالخبر عن رسول الله ﷺ نقول<sup>(٤)</sup>.

ولذلك قال الطبري، وهو ما رجحه عامة أهل التفسير: وفي هذه الآية الدلالة الواضحة على صحة قول من قال: لا نكاح إلا بولي من العصبية<sup>(٥)</sup>.

٦. ومن أمثلة ذلك: في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَقْسُطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْنَى وَثَلَاثَ وَرِبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعْوِلُوا﴾ [النساء: ٣].

قال ابن العربي: اختلف الناس في تأوله على ثلاثة أقوال:

(١) أحكام القرآن، الجصاص، ح ١ ص ٤٠١.

(٢) أخرجه الترمذي في السنن، كتاب النكاح، باب ما جاء لا نكاح إلا بولي، ح ٣ ص ٤٠٧.

(٣) فتح الباري، ابن حجر، ح ٩ ص ٩٤.

(٤) الإقناع، ابن المنذر، باب إبطال النكاح بغير ولي، ح ١ ص ٢٩٩. وينظر تمام المسألة في: الجامع لأحكام

القرآن، القرطبي، ح ٣ ص ٥٠.

(٥) تفسير الطبري، ح ٢ ص ٥٠١.

الأول: ألا يكثر عيالهم، وهو قول الشافعي.

الثاني: ألا تضلوا، وهو قول مجاهد.

الثالث: ألا تميلوا، وهو قول ابن عباس ومالك وغيرهم.

لكننا نجد ابن العربي يتهم على الشافعي وأتباعه، تعصباً لمذهبه، حتى أنه قال كلاماً لم يعهد عند العلماء مثله، حيث قال: كل ما قال الشافعي أو قيل عنه أو وصف به، فهو كله جزء من مالك ونُغْبَة (جرعة) من بحره، ومالك أوعى سمعاً، وأثقب فهماً، وأفصح لساناً، وأبرع وصفاً، ويدلك على ذلك مقابلة قول بقول في كل مسألة. والذي يكشف لك ذلك في هذه المسألة البحث في معاني قولك (عال) لغة، حتى إذا عرفته ركبت عليه معنى الآية، وحكمت بما يصح به لفظاً ومعنى، ثم ساق الأقوال في معنى (عال)، ثم قال: فإذا ثبت هذا فقد شهد لك اللفظ والمعنى بما قاله مالك<sup>(١)</sup>.

وهكذا وجدنا أن مفسري القرآن الكريم عندما يتناولون النصوص الفقهية، يقومون باستخراج الأحكام منها، ويستطردون في أدلتهم وبيان دلالاتها على الأحكام، ويردون على من خالفهم من العلماء، وبإنصاف أحياناً، وبقسوة أحياناً أخرى، ملتزمون بقواعد مذاهبهم وبأقوال أئمتهم، وهذا كله أدى إلى اختلاف كبير في تفسير النصوص القرآنية، غير أن غالبها ما يمكن الجمع معه، بما يجعلنا نقول: إن هذا الاختلاف سائغ، وليس هناك من دليل يحرم هذا الخلاف، وهو كثير جداً كما رأيت في ما سبق من أمثلة، وغيرها كثير في مصنفات الفقهاء رحمهم الله جميعاً.

## السبب التاسع

### الاختلاف بسبب التعصب المذهبي العقائدي

إن من أخطر أسباب اختلاف الناس في التفسير، التفسير وفق النظرة المذهبية العقدية، ذلك أن مفسرهم ينظر في النصوص وفي ذهنه مجمل العقائد والتصورات التي يؤمن

(١) ينظر: أحكام القرآن، ابن العربي، ح ١ ص ٣١٤. والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ح ٥ ص ٢٢.

بها؛ والتي ليس له دليل عليها، بل يبحث من خلال النصوص عما يؤيد ما ذهب إليه، ويخضعها للهوى والتعصب المذهبي المقيت، والتي من المفترض أن يجعلها خاضعة وتابعة لما تقيده نصوص التنزيل، اتباعاً لما عليه عامة أهل التفسير؛ الذين تلقوا عن سلفهم من التابعين والصحابة، ومن قبلهم من نزل عليه التنزيل نبينا محمد ﷺ.

ومن هنا نجد أن أثبات العلماء يذمون مثل هذا التعصب للمذهب، فقهيّاً كان أم اعتقادياً، فيقول العز بن عبد السلام: من العجب العجائب أن الفقهاء المقلدين يقف أحدهم على ضَعْف مأخذ إمامه، بحيث لا يجد لضعفه مدفعاً، ومع هذا يقلده فيه، ويترك الكتاب والسنة والأقيسة الصحيحة لمذهبه، جموداً على تقليد إمامه، بل يتحلل لدفع ظهور الكتاب والسنة، ويتأولها بالتأويلات البعيدة الباطلة نضالاً عن مقلده... حتى ظن أن الحق منحصر في مذهب إمامه<sup>(١)</sup>.

ويقول الإمام الشافعي: أجمع الناس على أن من استبانته له سنة عن رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس<sup>(٢)</sup>.

ويقول الإمام أحمد: لا تكتبوا عني شيئاً، ولا تقلدوني، ولا تقلدوا فلاناً وفلاناً وخذوا من حيث أخذوا<sup>(٣)</sup>.

وغالب الاختلاف في هذا الباب مردود وغير مقبول، فالكلام يخص العقائد، الإيمان بالله تعالى وصفاته، واليوم الآخر والجنة والنار... .  
ومن أمثلة ذلك:

### ١ . مرتكب الكبيرة عند المعتزلة:

من المعلوم عند جمهور أهل السنة أن مرتكب الكبيرة مؤمن، إلا أن إيمانه ناقص، وفعله للكبيرة يجعله فاسقاً في الدنيا، مستحقاً للعذاب في الآخرة، داخلاً في مشيئة الله تعالى، إن شاء غفر له وإن شاء عذبه بقدر ذنبه، ثم يدخله الجنة ولا يجعله مخلداً في النار.

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، العز بن عبد السلام، ح ٢ ص ١٣٥.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزي، ح ٢ ص ٢٦٣.

(٣) الدهلوي، الإنصاف، ص ١٠٥.

قال الطحاوي: ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب مالم يستحله، ولا نقول: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله، وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار لا يخلدون، إذا ماتوا وهم موحدون، وإن لم يكونوا تائبين، بعد أن لقوا الله عارفين، وهم في مشيئته وحكمه، إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله... وإن شاء عذبهم في النار بعدله، ثم يخرجهم برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ثم يبعثهم إلى جنته<sup>(١)</sup>. ويستدل جمهور العلماء على قولهم بجملة من النصوص، أذكر منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]. وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]. وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥].

بالإضافة إلى عدد كبير من نصوص السنة، أتركها هنا اختصاراً. لكننا بالمقابل نجد مفسري بعض الفرق الضالة يذهبون غير هذا المذهب، فعند قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]. وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٦٩].

يحاول مفسرو المعتزلة إثبات خلود صاحب الكبيرة، كما فعل الزمخشري في الكشاف، والقاضي عبد الجبار المعتزلي في شرح الأصول الخمسة، حيث يقول: والذي يدل على أن الفاسق يخلد في النار، ويعذب فيها أبداً ما ذكرناه من عموميات الوعيد، فإنها تدل على أن الفاسق يفعل به ما يستحقه من العقوبة، وتدل على أنه يخلد، إذ ما من آية من هذه الآيات التي مرت إلا وفيها ذكر الخلود والتأبيد أو ما يجري مجراها<sup>(٢)</sup>.

(١) العقيدة الطحاوية، ص ١٦، وشرحها لابن أبي العز الدمشقي ح ٢ ص ٤٣٢.

(٢) شرح الأصول الخمسة، عبد الجبار المعتزلي، ص ٦٦٦. والكشاف، الزمخشري، ح ١ ص ٧٨.

بالطبع فإن علماء السنة يردون على فهمهم السقيم في تفسير هذه النصوص، أتركه هنا اختصاراً إذ ليس المراد إلا بيان الخلاف.

## ٢. نكاح المتعة عند الإمامية الإثنا عشرية:

فعند قوله تعالى: ﴿والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فاتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة إن الله كان عليماً حكيماً﴾ [النساء: ٢٤].

يقول مفسرهم: والمراد به نكاح المتعة بإجماع أهل البيت، ويدل عليه قراءة أبي وابن عباس وابن مسعود (فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى)...، و(ولا جناح عليكم فيما تراضيتن من بعد الفريضة) من استئناف عقد آخر بعد انقضاء المدة بزيادة في الأجر والمدة<sup>(١)</sup>.

## ٣. الغنائم عند الإمامية الإثنا عشرية:

فعند قوله تعالى: ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير﴾ [الأنفال: ٤١].

يقول مفسرهم: اختلف العلماء في كيفية قسمته الخمس ومن يستحقه على أقوال:

**أحدها:** ما ذهب إليه أصحابنا، وهو أن الخمس يقسم على ستة أسهم: فسهم لله، وسهم للرسول، وهذان السهمان مع سهم ذي القربى للإمام القائم مقام الرسول، وسهم ليتامى آل محمد، وسهم لمساكينهم، وسهم لأبناء سبيلهم، ولا يشاركونهم في ذلك غيرهم.

**الثاني:** أن الخمس يقسم على خمسة أسهم، وأن سهم الله ورسوله واحد، ويصرف هذا السهم إلى الكراع والسلاح، وهو مروى عن ابن عباس وقتادة وعطاء.

(١) تفسير القرآن، عبد الله العلووي، ص ١٢٢.

**الثالث:** أن يقسم على أربعة أسهم: سهم لذي القربى، والأسهم الثلاثة لمن ذكروا بعد ذلك من سائر المسلمين وهو مذهب الشافعي.

**الرابع:** أنه يقسم على ثلاثة أسهم، لأن سهم الرسول قد سقط بوفاته، لأن الأنبياء لا تورث فيما يزعمون، وسهم ذي القربى سقط، لأن أبا بكر وعمر لم يعطيا سهم ذي القربى ولم ينكر ذلك أحد من الصحابة عليهما، وهو مذهب أبي حنيفة، ثم يقول: وقال أصحابنا: إن الخمس واجب في كل فائدة تحصل للإنسان من المكاسب، وأرباح التجارات، وفي الكنوز والمعادن، والغوص، وغير ذلك، ويمكن أن يستدل على ذلك بهذه الآية، فإن عرف اللغة يُطْلَق على جميع ذلك اسم الغنم والغنيمة<sup>(١)</sup>.

وقل مثل ذلك من أقوال تخالف ما عليه جماهير مفسرينا في: التقية، والوضوء، وعصمة الأنبياء، والإجماع، وميراث الأنبياء، والرجعة، وغيرها.

#### ٤. طعن بعضهم بالصحابة رضي الله عنهم:

يستغل الكاشي من مفسري الإمامية الإثنا عشرية، قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَتَصَوَّرُوهُ فَقَدِ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنِينَ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠]. ليطعن على أبي بكر رضي الله عنه: ويجعل من صحبته للنبي ﷺ عبئاً عليه، لا مكرمة كما يقول أهل التفسير، فيقول: " وفي الكافي عن الباقر: " إن رسول الله ﷺ أقبل يقول لأبي بكر في الغار: اسكن فإن الله معنا، وقد أخذته الرعدة وهو لا يسكن، فلما رأى رسول الله ﷺ حاله قال له: أتريد أن أريك أصحابي من الأنصار في مجالسهم يتحدثون؟ وأريك جعفر وأصحابه في البحر يغوصون؟ قال نعم، فمسح رسول الله ﷺ بيده على وجهه فنظر إلى الأنصار يتحدثون، وإلى جعفر وأصحابه في البحر يغوصون، فأضمر تلك الساعة أنه ساحر.

(١) مجمع البيان لعلوم القرآن، الطبرسي، ح ١ ص ٤٩٧.

ثم ينقل قول العياشي عنه: إنهم يحتجون علينا بقوله: (فأنزل سكينته على رسوله) وما ذكره فيها بخبر، قيل هكذا تقرؤونها؟ قال: هكذا قراءتها<sup>(١)</sup>.  
وأيضاً تراه يطعن في عمر، وعثمان، وعائشة، وحفصة وكثير من الصحابة<sup>(٢)</sup>.

### ٥. رؤية الله تعالى عند الخوارج (الإباضية):

من المعروف أن جمهور أهل السنة يقولون بجواز رؤية الله تعالى في اليوم الآخر، مستدلين بأدلة كثيرة من أهمها: قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة (٢٢) إلى ربها ناظرة﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣].

وأدلة أخرى من السنة والمعقول، أتركها اختصاراً.  
غير أن مفسرهم يرى أن رؤية الله تعالى غير جائزة، ولا واقعة لأحد مطلقاً، ويستدل بقوله تعالى: ﴿وإذ قلت يا موسى لن تؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون﴾ [البقرة: ٥٥]. وقوله تعالى لموسى: ﴿لن تراني﴾ [الأعراف: ١٤٣].  
وقوله تعالى: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾ [الأنعام: ١٠٣].  
ولذلك يقول: وهو خلاف ظاهر الآية، مع أن الرؤية توجب التحيز والجهات، والتركيب، والحلول، واللون، وغير ذلك من صفات الخلق، ويدل لما قلته قوله تعالى: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾ [الأنعام: ١٠٣]. والأشعرية لما أفتحوا قالوا: بلا كيف، وحديث الرؤية \_ إن صح \_ فمعناه يزدادون يقيناً بحضور ما وعد الله في الآخرة، فلا يشكون في وجود الله وكمال صدقه وقدرته، كما لا يشكون في البدر<sup>(٣)</sup>.

### ٦. وحدة الوجود عند الباطنية:

فعند قوله تعالى: ﴿نحن خلقناكم فلولا تصدقون﴾ [الواقعة: ٥٧]. يقول ابن عربي: نحن خلقناكم بإظهاركم بوجودنا وظهورنا في صدوركم. وفي سورة الحديد عند قوله تعالى:

(١) الصافي في تفسير القرآن، ملا محسن الكاشي، ح ١ ص ٢٥٧.

(٢) الصافي في تفسير القرآن، ملا محسن الكاشي، ح ١ ص ٤٢، ح ٢ ص ٣٢٠.

(٣) هميان الزاد إلى دار المعاد، محمد يوسف أطفيش، ح ٥ ص ١٧٣.



﴿وهو معكم أين ما كنتم﴾ [الحديد: ٤]، يقول: وهو معكم أينما كنتم بوجودكم به، وظهره في مظاهركم، وعند قوله: ﴿واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً﴾ (٨) رب المشرق والمغرب﴾ [المزمل: ٨ - ٩]، يقول: اذكر اسم ربك الذي هو أنت - أي اعرف نفسك - واذكرها، ولا تنسها، فينسك الله، واجتهد لتحصيل كمالها بعد معرفة حقيقتها، ﴿رب المشرق والمغرب﴾: أي الذي ظهر عليك، فطلع من أفق وجودك بإيجادك، أو المغرب الذي اختفى بوجودك، وغرب نوره فيك، واحتجب بك<sup>(١)</sup>. وهذا كله معلوم خلفه لجمهور المفسرين المعتمدين كما هو ظاهر.

#### ٧. من تفاسير الفلاسفة:

فسر ابن سينا معنى العرش والملائكة عند قوله تعالى: ﴿والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾ [الحاقة: ١٧]، بأنه الفلك التاسع الذي هو فلك الأفلاك، وفسر الملائكة الثمانية التي تحمل العرش؛ بأنها الأفلاك الثمانية التي تحت الفلك التاسع.

وكذلك يفسر الجنة والنار فلسفياً، مخالفاً لما عليه أهل التفسير، فالعالم ثلاثة: العالم العقلي وهو الجنة، والعالم الخيالي وهو النار، والعالم الحسي وهو عالم القبور<sup>(٢)</sup>. ومن ذلك أيضاً ما قاله الفارابي في تفسير قوله: ﴿والظاهر والباطن﴾ [الحديد: ٣]. فيقول: لا وجود أكمل من وجوده، فلا خفاء به من نقص الوجود، فهو في ذاته ظاهر، ولشدة ظهوره باطن، وبه يظهر كل ظاهر، كما الشمس تظهر كل خفي وتستبطن لا عن خفاء<sup>(٣)</sup>.

وهو ظاهر المخالفة لما عليه أهل التفسير والتأويل.

(١) تفسير منسوب لابن عربي، وبعضهم نسبه لعبد الرزاق القاشاني، كما يرى ذلك كثير من المفسرين، ح ١ص ٥٧، ص ١٤١، ص ٢١٥، ص ٢٩١، ح ٢ ص ٣٠٠.

(٢) رسائل ابن سينا، ابن سينا، ص ١٢٨-١٣٢.

(٣) فصوص الحكم، الفارابي، ص ١٧٠.

## السبب الهاش

### الاختلاف بسبب التكلف في التفسير العلمي الحديث

درج كثير من دارسي التفسير الحديث في دراستهم القرآنية على انتهاج لون من ألوان التفسير المعاصر؛ وهو ما يعرف بالتفسير العلمي<sup>(١)</sup>. ويعرف أيضاً: بالتفسير الذي يحكم الإصطلاحات العلمية في عبارة القرآن، ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها<sup>(٢)</sup>.

وعرفه غيره فقال: هو اجتهاد المفسرين في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم الكونية، ومكتشفات العالم التجريبي، على وجه يظهر به إعجاز القرآن يدل على مصدره، وصلاحيته لكل زمان ومكان<sup>(٣)</sup>.

في الحقيقة لا يمكن إنكار هذا اللون من التفسير، لمزاعم من أنكره، ودرأ للمفاسد التي افترضوها، من تعارض مع النصوص الصحيحة، أو مخالفتها لما هو معروف شرعاً، أو لمخالفتها منهج القرآن الكريم.

ولذلك يمكن أن يكون من هذا اللون ما هو جائز بشروطه؛ التي وضعها العلماء لضبط منهج التفسير العلمي الحديث، والتي من أهمها<sup>(٤)</sup>:

١. أن يكون التفسير للآيات الكونية مطابقاً لمعنى النظم القرآني.
٢. ألا يخرج حد التفسير إلى عرض النظريات العلمية المتضاربة.
٣. أن يتثبت المفسر من النظريات العلمية التي يفسر بها الإشارات القرآنية.
٤. ألا يطبق إلا ما ثبت من النظريات ثبوتاً قطعياً.
٥. ألا يخالف مضموناً شرعياً في تفسيره.

(١) ينظر: أسباب الخطأ في التفسير، طاهر يعقوب، ص ٨٥١ وما بعدها.

(٢) التفسير معالم حياته منهجه اليوم، أمين الخولي، ص ١٩.

(٣) اتجاهات التفسير في القرآن الرابع عشر، فهد الرومي، ح ٢ ص ٢٤٩.

(٤) ينظر: أسباب الخطأ في التفسير، طاهر يعقوب، ص ٨٥٣. وأصول التفسير وقواعده، خالد العك، ص ٢٢٤.

٦. ألا يحمل الآيات القرآنية على النظرية العلمية حملاً، فإن طابقتها فيها ونعمت وإلا فلا.

٧. ألا تغطي تلك المباحث العلمية على المقصود الأول من القرآن، وهو الهداية والإعجاز.

٨. أن يدفع هذا التفسير المسلمين إلى النهضة.

٩. ألا تذكر هذه الأبحاث على أنها هي التفسير الذي يدل النص على سواه.

١٠. ألا يتعارض هذا التفسير مع أقوال السلف.

ومن أمثلة هذه الدراسات العلمية الحديثة:

### ١. تفسير الطير الأبايل بالميكروبات:

فعند قوله تعالى في سورة الفيل: ﴿وَأرسل عليهم طيرا أبابيل (٣) ترميهم بحجارة من سجيل﴾ [الفيل: ٣ - ٤]، يقول الشيخ محمد عبدو: فيجوز لك أن تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض، أو الذباب، الذي يحمل الجراثيم بعض الأمراض، وأن تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس الذي تحمله الرياح فيعلق بأرجل هذه الحيوانات، فإذا اتصل بجسد دخل مسامه فأثار فيه تلك القروح التي تنتهي بإفساد الجسم وتساقط لحمه، وأن كثيراً من هذه الطيور الضعيفة يعد من أعظم جنود الله في إهلاك من يريد إهلاكه من البشر، وأن هذا الحيوان الصغير الذي يسمونه الآن بالميكروب لا يخرج عنها، وهو فرق وجماعات لا يحصي عددها إلا بارئها<sup>(١)</sup>.

وهذا الكلام في الحقيقة مردود، ومخالف لما هو مشهور من حادثة الفيل، بالإضافة لمخالفة عرف اللغة التي نزل بها القرآن، وغير ذلك مما يروبه هذا الكلام لا حاجة للإطالة في شرحه، ولا طائل من الكلام فيه.

(١) تفسير جزء عم، محمد عبده، ص ١٥٦.

## ٢. تفسير الأعمدة بالجاذبية:

فعند قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: ٢]. يبين الأستاذ محمود مهدي أن الأعمدة ما هي إلا الجاذبية، فقال: وأن الذي يمسك هذه العوالم الضخمة كلها، ويتحكم فيها قبضاً وبسطاً، بإرادة الله طبعاً، هو قانون الجاذبية... وما كانت تلك العمود أو الأعمدة إلا الجاذبية التي تجذب الثقل إلى الثقل، والكبير إلى الأكبر<sup>(١)</sup>.

مع تقديرنا لما قاله الأستاذ محمود مهدي، إلا أن الكلام بعيد جداً، ومخالف لما عليه عامة المفسرين، ولما هو معهود من اللغة في معنى السماء والأرض، وبطلان مثل هذا الكلام ظاهر لا يحتاج إلى براهين.

## ٣. إثبات النظريات الطبية:

فعند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعَ لَنَا رَبِّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسُهَا وَبَصَلَهَا قَالَ أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبُطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بَأْسُهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بآياتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١].

نرى الشيخ طنطاوي جوهرى يذكر الفوائد الطبية من هذه الآية، ثم يذكر ما أثبتته الطب من نظريات طبية ويذكر منهج أطباء أوربا، فيقول: أو ليست هذه المناهج التي نحا نحوها القرآن؟ أوليس قوله: ﴿أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١]، رمزاً لذلك؟ كأنه يقول: العيشة البدوية على المن والسلوى، وهما الطعامان الخفيفان اللذان لا مرض يتبعهما، مع الهواء النقي والحياة الحرة أفضل من حياة شقية في المدن بأكل التوابل واللحم، والإكثار من ألوان الطعام، مع الذلّة، وجور الحكام، والجبن وطمع

(١) البرهان من القرآن، محمود المهدي، ص ٧٥.

الجيران، من الممالك، فتخطفكم في حين غفلة وأنتم لا تشعرون بمثل هذا التفسير هذه الآيات، وبمثل هذا فليفهم المسلمون كتاب الله<sup>(١)</sup>.  
ومثل هذا الكلام أرى أنه لا يحتاج إلى تعليق لإثبات بطلانه.

#### ٤. تفسير المارج بالأضواء المركبة من الألوان السبعة:

فعند قوله تعالى: ﴿وخلق الجان من مارج من نار﴾ [الرحمن: ١٥]، يقول الشيخ طنطاوي جوهري: والمارج المختلط بعبءه ببعض، فيكون اللهب الأحمر والأصفر والأخضر مختلطات، وكما أن الإنسان من عناصر مختلفات، هكذا الجان من أنواع من اللهب مختلطات، ولقد ظهر في الكشف الحديث أن الضوء مركب من ألوان سبعة، غير ما لم يعلموه. فلفظ المارج يشير إلى تركيب الأضواء من ألوانها السبعة، وإلى أن اللهب مضطرب دائماً، وإنما خلق الجن من ذلك المارج المضطرب، إشارة إلى أن نفوس الجان لا تزال في حاجة إلى التهذيب والتكميل. تأمل في مقال علماء الأرواح الذين استحضروها إذ أفادتهم أن الروح الكاملة تكون عند استحضارها ساكنة هادئة، أما الروح الناقصة فإنها تكون قلقة مضطربة. ثم يتابع عند قوله تعالى: ﴿يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران﴾ [الرحمن: ٣٥]، فيقول أيضاً: إنه عبر هنا بـ ﴿شواظ من نار﴾، وفيما تقدم بقوله: ﴿من مارج من نار﴾، والشواظ والمارج كلاهما اللهب الخالص، فلماذا جعل الحال مخلوقاً من مارج ولم يقل من شواظ؟ فاعلم أن المارج فيه معنى الاضطراب كما تقدم<sup>(٢)</sup>.

والحقيقة ربما يقبل مثل هذا الكلام من باب التوجيه والإرشاد، والتنبيه وغير ذلك من الوعظ، غير أنه لم يشر من قريب ولا بعيد للمعاني الظاهرة من النص، والتي عليها عامة أهل التفسير، فأنى يقبل مثل هذا الكلام على أنه تفسير؟

(١) الجواهر في تفسير القرآن، طنطاوي جوهري، ح ١ ص ٦٦.

(٢) الجواهر في تفسير القرآن، طنطاوي جوهري، ح ٢٥ ص ١٧.

## ٥. تفسير النفس الواحدة بالإلكترونات والبروتونات:

فعند قوله تعالى: ﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملاً خفيفاً فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين ﴾ [الأعراف: ١٨٩]، فإن عامة المفسرين على أن النفس الواحدة هي آدم، وزوجها هي حواء، التي خلقها من ضلعه، إلا أننا نجد من خرج عن هذا التفسير، ليفسر قوله ﴿ نفس واحدة ﴾ و ﴿ زوجها ﴾ بالإلكترونات والبروتونات، فيقول عبد الرزاق نوفل: اعتبر اكتشاف الإلكترون أكبر نصر علمي أمكن العقل البشري أن يصل إليه، حتى أنهم يطلقون على هذا العصر الذي نعيش فيه الآن العصر الإلكتروني...، إذ أمكن الوصول إلى الجوهر الفرد وحدة الخلق التي منها خلق كل شيء في الوجود: الإنسان والحيوان والماء والهواء...، وهذه الحقيقة العلمية التي يتبها العصر الحديث قد جاء القرآن الكريم منذ ١٤٠٠ سنة في صراحة ووضوح. إذ تقرر الآية أن كل ما خلق الله إنما خلقه من نفس واحدة وجعل منها زوجها، أليست هذه هي البروتونات والإلكترونات؟ الكهارب الواحدة موجبة وسالبة، أي النفس الواحدة... الزوجية الجنس بين موجب وسالب<sup>(١)</sup>.

وهذا التفسير كما ترون ظاهر المخالفة لما عليه علماء التفسير، وهو ظن خاطئ ليس له من الحق شيء.

## نتائج مهمة في اختلاف المفسرين:

من خلال ما سبق يمكن للباحث في اختلاف التفسير أن يصل إلى النتائج الآتية:

١. جواز الاختلاف في التفسير كجواز الاختلاف في سائر العلوم.
٢. ليس كل خلاف في التفسير غير معتبر.
٣. اختلاف المفسرين أظهر أن النبي ﷺ لم يفسر القرآن كاملاً.

(١) القرآن والعلم الحديث، عبد الرزاق نوفل، ص ١٥٦.

٤. العصور الأولى أقل اختلافاً ابتداءً من عصر النبي ﷺ إلى الآن وكلما امتد الزمن كثر الخلاف.
٥. الخلاف العقائدي أخطر أنواع الاختلاف عند المفسرين.
٦. اختلاف الصحابة غالبه اختلاف تنوع وليس اختلاف تضاد.
٧. لك أن تأخذ بأي الأقوال المختلفة عند الصحابة أما من بعدهم فلا.
٨. تخصص العلماء فرض نوعاً من الاختلاف خاصة في اللغة والفقه.
٩. الاختلاف أدى إلى الثراء العلمي في التفسير وإظهار يسر الشريعة.
١٠. اختلاف القراءات أدى إلى تنوع التفسير مما أثر على اختلاف الأحكام الفقهية.
١١. اختلاف الأفهام أدى إلى اختلاف التفسير ابتداءً من عصر الصحابة، مروراً بعصر التابعين، وإلى عصرنا هذا.
١٢. لا يمكن جعل الأقوال قولاً واحداً مهما بذلنا من جهد فلا بد من الاختلاف.
١٣. خالف بعض المفسرين الأقوال بناءً على أهوائهم من غير دليل معتبر كما في تقاسير أهل الزيغ والضلال.
١٤. إن اعتماد المفسر على مجرد اللغة، وما يمكن أن يصح على مذاهبها، نحا بتفسيره إلى الاختلاف المردود (الخطأ في التفسير).
١٥. إن إهمال المفسر لأسباب النزول، والوقائع والحوادث التي تحف بالنص، نحا بتفسيره إلى الاختلاف المردود (الخطأ في التفسير).
١٦. إن إهمال المفسر للسياق القرآني، السابق واللاحق، وسياق السورة، والسياق العام للقرآن ومقاصده، نحا بتفسيره إلى الاختلاف المردود (الخطأ في التفسير).
١٧. إن اعتماد المفسر على الضعيف والموضوع من النقول التفسيرية، نحا بتفسيره إلى الاختلاف المردود (الخطأ في التفسير).
١٨. أخذ المفسر بالإسرائيليات من غير تحقيق ونظر في شروط الأخذ بالإسرائيليات، نحا بتفسيره إلى الاختلاف المردود (الخطأ في التفسير).

١٩. إن اعتماد المفسر على مجرد العقل وعد ضبطه بالشريعة، نحا بتفسيره إلى الاختلاف المردود (الخطأ في التفسير).
٢٠. إن اختلاف العلماء في بعض العلوم المساعدة في التفسير (النسخ، أسباب النزول، القراءات، قواعد الأصول والترجيح، ...) من أهم أسباب الاختلاف.
٢١. ليس كل من عمل في التفسير وخالف علماء التفسير كان محقاً، بل منهم من كان متعصباً لمذهبه الفقهي والعقائدي.
٢٢. اعتماد المفسر في العصور الحديثة على النظريات العلمية في التفسير، أدى إلى اختلاف شاسع في التفسير بينه وبين تفسير المتقدمين من المفسرين.



# الخاتمة



## الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تتجزر الأعمال، وبهدايته تسدد الطرقات،  
وبعد:

فهذا بين أيديكم مدخل كاف لطالب العلم في مراحل الطلب الأولى، فيما يتعلق بعلوم القرآن وأصول تفسيره، يتعرف من خلاله عما يتعلق في هذا الدستور القويم، والمنهج المستقيم، من خلال المرور على بيان مفهوم الوحي وكيفيته، ونزوله على الأحرف السبعة، ومكيه ومدنيه، وجمعه وحفظه وترتيبه، ثم المرور على أهم المباحث المتعلقة فيه؛ كالناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، والمنطوق والمفهوم، وإعرابه، وتاريخ تفسيره، ومراحل تطوره ونشأته، وأنواعه وأقسامه واتجاهاته، ومدارسه التي قام عليها، ثم التوقف مع أهم ضوابط العمل به عند المفسرين، ثم الوقوف على أهم القواعد التفسيرية التي تعين المفسر في فهم طريقة التفسير الصحيح، كما يتعلم طالب العلم أهم الأسباب التي أدت إلى اختلاف أهل التفسير من السلف والخلف بشكل مختصر.

فالله أسأل أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم، ويكتب فيه النفع لعموم المسلمين.  
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



## المصادر والمراجع

- اتجاهات التفسير في القرآن الرابع عشر، فهد الرومي، المملكة العربية السعودية، إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد، ط ١، ١٤٠٧ هـ.
- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤ م.
- الاجتهاد المقاصدي، نور الدين الخادمي، بيروت دار ابن حزم، ط ١، ٢٠١٠ م.
- الاجتهاد في الشريعة الإسلامية، يوسف القرضاوي، الكويت، دار القلم للنشر، ط ١، ١٩٩٦ م.
- الأحرف السبعة للقرآن، أبو عمرو الداني، المحقق: د. عبد المهيم طحان، مكة المكرمة، مكتبة المنارة، ط ١، ١٤٠٨ هـ.
- أحكام القرآن، ابن العربي محمد بن عبد الله، تحقيق محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٣ هـ.
- أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي، المحقق: عبد السلام محمد علي شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥ هـ.
- أحكام القرآن، الكيا الهراسي، المحقق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٠٥ هـ.
- الإحكام في أصول الأحكام، الأمدي، المحقق: عبد الرزاق عفيفي، بيروت، المكتب الإسلامي.
- إحياء علوم الدين، الغزالي: أبو حامد، بيروت، دار صادر، ط ١، ٢٠٠٠ م.
- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، الشوكاني، المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية، بيروت، دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤١٩ هـ.

- أساس البلاغة، الزمخشري، محمود بن عمر، بيروت، دار المعرفة، د. ط، د.ت.
- أسباب الخطأ في التفسير، طاهر محمد يعقوب، الدمام، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٥هـ.
- أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، المحقق: كمال بسيوني زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ.
- أسرار العربية، كمال الدين الأنباري عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط١، ١٩٩٩م.
- الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، العز بن عبد السلام، تحقيق رمزي دمشقية، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤٠٨هـ.
- الأشباه والنظائر، السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ.
- أصول التفسير وقواعده، خالد عبد الرحمن العك، بيروت، دار النفائس، ط٢، ١٤٠٦هـ.
- أصول السرخسي، السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل، تحقيق أبو الوفا الأفغاني، بيروت، دار المعرفة، د.ط، د.ت.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد المختار الشنقيطي، عالم الكتب، ط١، د.ت.
- إعجاز القرآن، مصطفى صادق الرافعي، مصر، دار الاستقامة، د.ط، ١٩٤٠م.
- إعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش، دمشق، دار اليمامة، ط٤، ١٤١٥هـ.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، بيروت، دار الجيل، د.ط، ١٩٧٣م.

- الإكسير في علم التفسير، سليمان الصرصري.
- الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف، أحمد بن عبد الرحيم بن الشهيد وجيه الدين بن معظم بن منصور المعروف بـ الشاه ولي الله الدهلوي، المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، بيروت، دار النفائس، ط ٢، ١٤٠٤ هـ.
- بحر العلوم، أبو الليث السمرقندي.
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، المحقق: صدقي محمد جميل، بيروت، دار الفكر، ١٤٢٠ هـ.
- البرهان في تفسير القرآن، هاشم البحراني، بيروت، دار الهادي، ط ١، د.ت.
- البرهان في تناسب سور القرآن، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، تحقيق سعيد جمعة الفلاح، الدمام، دار بن الجوزي، ط ١، ١٤٢٨ هـ.
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط ١، ١٣٧٦ هـ.
- تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم المرزوي، شرح أحمد صقر، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ٣، ١٤٠١ هـ.
- تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي، المحقق: د. مجدي باسلوم، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠٥ م.
- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، المحقق: علي محمد البجاوي، مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- التبيان في أقسام القرآن، ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد شريف سكر، الرياض، دار إحياء العلوم، ط ١، ١٤٠٢ هـ.
- التحرير والتتوير، تحرير المعنى السديد وتتوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن عاشور، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤ م.

- تحفة المحتاج بشرح المنهاج، ابن حجر الهيتمي، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٨٣م.
- التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي الغرناطي، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، بيروت، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط١، ١٤١٦هـ.
- تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دمشق، دار القلم، ط٤، ٢٠١٠م.
- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ.
- تفسير الراغب الأصفهاني، الرياض، دار الوطن، ط١، ١٤٢٤هـ.
- تفسير القرآن الحكيم المعروف بتفسير المنار، محمد رشيد رضا، بيروت، دار المعرفة، ط٢، د.ت.
- تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم الرازي، المحقق: أسعد محمد الطيب، المملكة العربية السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط٣، ١٤١٩هـ.
- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، اسماعيل بن كثير، تحقيق عبد العزيز غنيم وآخرون، القاهرة، مطبعة الشعب، ط١، د.ت.
- تفسير القرآن العظيم، التستري: سهل بن عبد الله، مصر، دار الكتب العربية الكبرى.
- تفسير القرآن، عبد الله العلوي.
- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط١، ١٣٦٥هـ.
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، دمشق، دار الفكر المعاصر، ط٢، ١٤١٨هـ.



- التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، عبد الفتاح صلاح الخالدي، عمان، دار النفائس، ط٢، ٢٠٠٨م.
- التفسير الواضح، محمد محمود حجازي، بيروت، دار الجيل الجديد، ط١٠، ١٤١٣هـ.
- تفسير جزء عم، محمد عبده.
- تفسير مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي، المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، مصر دار الفكر الإسلامي الحديثة، ط١، ١٤١٠هـ.
- التفسير معالم حياته منهجه اليوم، أمين الخولي.
- تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، المحقق: عبد الله محمود شحاته، بيروت، دار إحياء التراث، ط١، ١٤٢٣هـ.
- التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، القاهرة، مكتبة وهبة.
- تقريب الوصول إلي علم الأصول، ابن جزى الكلبي، المحقق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٣م.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، تحقيق مصطفى العلوي، المغرب، مطبعة فضالة، د.ط، د.ت.
- تناسق الدرر في تناسب السور، السيوطي. جلال الدين، تحقيق عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٦م.
- تنزيله القرآن عن المطاعن، عبد الجبار المعتزلي.
- جامع البيان في تأويل القرآن، تفسير الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.

- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ.
- جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، ابن قيم الجوزية، المحقق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، الكويت، دار العروبة، ط ٢، ١٩٨٧م.
- جمع الجوامع، السيوطي، جلال الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠٠م.
- جواهر الإكليل شرح مختصر خليل، الأزهرى.
- الجواهر في تفسير القرآن، طنطاوي جوهري.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، محمد شهاب الدين الحلبي المعروف بالسمين الحلبي، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دمشق، دار القلم.
- درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط ١، ١٣٩٩هـ.
- الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع، شهاب الدين الكوراني، المحقق: سعيد بن غالب كامل المجيدي، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، ٢٠٠٨م.
- رسائل ابن سينا، ابن سينا.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي، المحقق: علي عبد الباري عطية، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ.
- الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان، في علوم القرآن، بيروت، دار الفكر، ط ١، ١٩٩٦م.
- السبعة في القراءات، أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي، المحقق: شوقي ضيف، مصر، دار المعارف، ط ٢، ١٤٠٠هـ.
- سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، المحقق: شعيب الأرنؤوط، دار الرسالة العالمية، ط ١، ١٤٣٠هـ.

- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية.
- سنن الترمذي، الجامع الكبير، أبو عيسى الترمذي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨م.
- السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ.
- سنن النسائي، المجتبى من السنن، السنن الصغرى للنسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط٢، ١٤٠٦هـ.
- شرح الأصول الخمسة، عبد الجبار المعتزلي.
- شرح الكوكب المنير، ابن النجار، تحقيق محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكة، جامعة أم القرى، ط١، ١٤٠٠هـ.
- شرح مختصر الروضة، سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي، المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٧هـ.
- شعب الإيمان، البيهقي، المحقق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، الرياض، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٣.
- الصافي في تفسير القرآن، ملا محسن الكاشي.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط٤، ١٤٠٧هـ.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ابن حبان، محمد بن حبان البستي، تحقيق شعيب أرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٨٨م.
- صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، مصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

- صحيح مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- الصواعق المرسله في الرد على الجهمية والمعتلة، ابن تيمية، المحقق: علي بن محمد الدخيل الله، الرياض، دار العاصمة، ط ١، ١٤٠٨ هـ.
- طبقات المفسرين، الداودي، بيروت، دار الكتب العلمية.
- العجائب في بيان الأسباب، بن حجر العسقلاني، المحقق: عبد الحكيم محمد الأنيس، الدمام، دار ابن الجوزي.
- علم إعراب القرآن، العيساوي.
- غريب القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المحقق: أحمد صقر، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت، ١٣٩٨ هـ.
- الغيث الهامع شرح جمع الجوامع، أبو زرعة، المحقق: محمد تامر حجازي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠٤ م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ.
- فتح القدير، الشوكاني، بيروت، دار ابن كثير، ط ١، ١٤١٤ هـ.
- فتح القدير، الكمال بن الهمام، بيروت، دار الفكر.
- فصوص الحكم، الفارابي.
- فصول في أصول التفسير، مساعد الطيار، دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢٣ هـ.
- فضائل القرآن ومعالمه وآدبه، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، مكة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، د.ط، ١٣٩٣ هـ.
- في ظلال القرآن، سيد قطب، القاهرة، دار الشروق، ط ٢٧، ١٩٩٨ م.
- القرآن والعلم الحديث، عبد الرزاق نوفل.

- القرآنيون وشبهاتهم حول السنة، خادم حسين إلهي بخش، الطائف، مطبعة الصديق، ط١، ١٤٠٩هـ.
- قضايا اللغة في كتب التفسير، عبد الهادي الجطلاوي، صفاقس، دار محمد علي الحامي، ط١، ١٩٩٨م
- قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين الحربي، الرياض، دار القاسم، ط١، ١٤١٧هـ.
- قواعد التفسير، خالد السبت، مصر، دار ابن عفان، ط١، ١٤٢١هـ.
- القواعد الحسان لتفسير القرآن، عبد الرحمن السعدي، الرياض، دار الصميعة، ط١، ١٤٢٠هـ.
- القواعد الكبرى، العز بن عبد السلام، الموسوم بـ قواعد الأحكام في إصلاح الأنام، تحقيق نزيه كمال حماد وعثمان جمعة ضميرية، دمشق، دار القلم، ط٢، ٢٠٠٧م.
- الكتاب: المنثور في القواعد الفقهية، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، وزارة الأوقاف الكويتية، ط٢، ١٩٨٥م.
- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٧هـ.
- كشف الظنون، حاجي خليفة، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ط، ١٤١٣ هـ.
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء العكبري، المحقق: عدنان درويش ومحمد المصري، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- كيف نتعامل مع السنة، يوسف القرضاوي، مصر، دار الوفاء، ط٦، ١٩٩٣م.
- كيف نتعامل مع القرآن العظيم، يوسف القرضاوي، القاهرة، دار الشروق، ط٣، ١٤٢١هـ.
- لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين السيوطي، بيروت، دار الكتب العلمية.

- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، بيروت، دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ.
- ما لا يجوز فيه الخلاف بين المسلمين، عبد الجليل عيسى.
- مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، دمشق، دار القلم، ط٧، ٢٠٠٩م.
- مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، بيروت، دار العلم، ط٤، د.ت.
- مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٣هـ.
- المبسوط في القراءات العشر، الأصبهاني، أحمد بن الحسين بن مهران، تحقيق سبيع حمزة حاكمي، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط١، د.ت.
- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري، المحقق: محمد فواد سزكين، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٣٨١هـ.
- مجمع البيان لعلوم القرآن، الطبرسي.
- مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط١، ١٩٩٥م.
- المجموع شرح المذهب، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، بيروت، دار الفكر.
- المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعودي، عبد الرحمن السعدي، المملكة العربية السعودية، مركز صالح بن صالح الثقافي، ط١، ١٤١١هـ.
- محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، المحقق: محمد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ.

- المحصول، الرازي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٨ هـ.
- مختصر في شواذ القراءات، ابن خالويه.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات النسفي، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، بيروت، دار الكلم الطيب، ط١، ١٤١٩ هـ.
- المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد أبو شهبة، القاهرة، مكتبة السنة، ط٢، ٢٠٠٣ م.
- مذكرة في أصول الفقه، محمد الأمين الشنقيطي، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ط٥، ٢٠٠١ م.
- المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١ هـ.
- المستصفي من علم الأصول الغزالي، أو حامد، محمد بن محمد الغزالي، بيروت، دار إحياء التراث العربي ط١، د.ت.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق: أحمد محمد شاكر، القاهرة، دار الحديث، ط١، ١٤١٦ هـ.
- مشكل إعراب القرآن الكريم، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق حاتم الصالح الضامن، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٥ هـ.
- المصالح المرسله، محمد الأمين الشنقيطي، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ط١، ٢٠٠٣ م.
- المصباح المنير، المقرئ الفيومي، أحمد بن محمد، بيروت، المكتبة العلمية، ط١.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٠ هـ.
- معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، بيروت، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٨ هـ.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٨ م.

- المعجم الكبير، أبو القاسم الطبراني، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الرياض، دار الصميعة، ط١، ١٤١٥هـ.
- مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام، المحقق: د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله دمشق، دار الفكر، ط١، ١٩٨٥م.
- مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، الفخر الدين الرازي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤٢٠هـ.
- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دمشق، دار القلم، ط١، ١٤١٢هـ.
- مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، القاهرة، دار السلام، ط٢، ٢٠٠٧م.
- مقاييس اللغة، أحمد ابن فارس، المحقق: عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٩م.
- المقدمات الأساسية في علوم القرآن، عبد الله يوسف الجديع العنزي، بريطانيا، مركز البحوث الإسلامية ليدز، ط١، ٢٠٠١م.
- مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، أحمد عبد الحلیم، الرياض، دار ابن حزم، ط١، ١٩٩٧م.
- الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، أو اسحق، إبراهيم بن موسى اللخمي، تحقيق محمد عبدا لقادر الفاضلي، بيروت، المكتبة العصرية، د.ط، ٢٠٠٧م.
- الناسخ والمنسوخ، أبو القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي البغدادي المقرئ، المحقق: زهير الشاويش ومحمد كنعان، بيروت، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٤هـ.
- الناسخ والمنسوخ، أبو القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي البغدادي المقرئ، المحقق: زهير الشاويش ومحمد كنعان، بيروت، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٤هـ.



- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والأشباه والنظائر ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، أبو الفرج، تحقيق عبد الكريم كاظم الراضي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٨٤م.
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ابن الأنباري، أبي البركات عبد الرحمن بن محمد، عمان، مكتبة المنار، ط٣، ١٤٠٥هـ.
- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت.
- النكت في القرآن الكريم، القيرواني، تحقيق: عبد الله عبد القادر الطويل، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٨هـ.
- نوارد الأصول في معرفة أحاديث الرسول، محمد بن علي بن الحسين الحكيم الترمذي، بيروت، دار صادر، ط١، د.ت.
- نواسخ القرآن، ابن الجوزي.
- هيمان الزاد إلى دار المعاد، محمد يوسف أطفيش، سلطنة عُمان، ط٢، ١٤٠٩هـ.
- الوجوه والنظائر، الدامغاني، الحسين بن محمد، دمشق، مكتبة الفارابي، ط١، ١٩٨٨م.
- الوجيز في أصول الفقه، عبد الكريم زيدان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٤م.
- الوجيز في أصول الفقه، وهبة الزحيلي، بيروت، دار الفكر، ط٢، ١٩٩٥م.
- الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا، بيروت، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ط٣، ١٤٠٦هـ.

## المحتوى

الصفحة	العنوان
٥	<b>المقدمة</b>
٩	<b>الفصل الأول: القرآن الكريم نزوله وجمعه وأهم مباحثه</b>
١١	<b>المبحث الأول: تعريف القرآن الكريم</b>
١٣	<b>المبحث الثاني: الوحي مفهومه وكيفيته</b>
١٤	مفهوم الوحي
١٥	أقسام الوحي وكيفياته
١٥	أولاً: الوحي بواسطة الملك
١٧	ثانياً: الوحي بغير واسطة
١٨	<b>المبحث الثالث: نزول القرآن والأحرف السبعة</b>
١٩	القسم الأول: نزوله جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا
٢٠	القسم الثاني: نزوله منجماً من السماء الدنيا على النبي ﷺ
٢٢	حكمة نزول القرآن منجماً
٢٣	أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن
٢٣	أولاً: أول ما نزل من القرآن
٢٥	أوائل مخصوصة
٢٦	ثانياً: آخر ما نزل من القرآن
٢٨	<b>المكي والمدني</b>
٢٩	ضابط مصطلح المكي والمدني عند العلماء
٣٠	خصائص المكي والمدني

٣٠	أولاً: خصائص المكي
٣١	ثانياً: خصائص المدني
٣١	الضوابط القياسية التي يعرف بها المكي والمدني
٣٢	الضوابط القياسية للمكي
٣٢	الضوابط القياسية للمدني
٣٢	فوائد معرفة المكي والمدني
٣٣	الأحرف السبعة
٣٣	أولاً: نزول القرآن على سبعة أحرف
٣٤	ثانياً: الاختلاف في معنى الأحرف السبعة عند العلماء
٣٦	القول المختار في الأحرف السبعة
٣٩	القراءات والقراء
٤٠	ضوابط القراءة وأنواعها
٤٢	القراء السبعة
٤٥	<b>المبحث الرابع: أسباب النزول</b>
٤٥	تعريف أسباب النزول
٤٦	فوائد العلم بأسباب النزول
٤٧	طريق معرفة أسباب النزول
٤٨	العموم والخصوص في السبب والنازل
٥٠	التعدد في روايات أسباب النزول
٥١	<b>المبحث الخامس: جمع القرآن وحفظه وترتيبه</b>
٥١	مراحل جمع القرآن الكريم وحفظه
٥١	المرحلة الأولى: الجمع في عهد النبي ﷺ
٥٣	المرحلة الثانية: الجمع في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه

٥٥	المرحلة الثالثة: الجمع في عهد عثمان رضي الله عنه
٥٨	ترتيب الآيات والسور
٥٨	حكم ترتيب آيات القرآن
٦٠	ترتيب السور
٦٠	حكم ترتيب سور القرآن
٦١	المذهب المختار
٦٣	علم المناسبات القرآنية
٦٤	المؤلفات في علم المناسبات
٦٥	أنواع المناسبات القرآنية
٦٥	أولاً: المناسبات في السورة الواحدة
٦٨	ثانياً: المناسبات بين السور المختلفة
٦٩	<b>المبحث السادس: مباحث أصولية ولغوية مشتركة مع علوم القرآن</b>
٦٩	الناسخ والمنسوخ
٧٢	طرق معرفة الناسخ والمنسوخ
٧٤	أقسام النسخ
٧٥	نسخ القرآن بالسنة المطهرة
٧٧	أنواع النسخ في القرآن
٧٨	مسائل متعلقة بالنسخ
٨١	المحكم والمتشابه
٨١	أولاً: المعنى اللغوي
٨١	المعنى الاصطلاحي
٨٣	الاختلاف في معنى المتشابه
٨٥	العام والخاص

٨٥	أولاً: العام
٨٦	أقسام العام
٨٧	ثانياً: الخاص
٨٩	المطلق والمقيد
٨٩	أولاً: المطلق
٨٩	حكم المطلق
٩٠	ثانياً: المقيد
٩٠	حكم المقيد
٩٠	حمل المطلق على المقيد
٩٢	المنطوق والمفهوم
٩٢	أولاً: المنطوق
٩٣	ثانياً: المفهوم
٩٤	الاحتجاج بمفهوم الموافقة المخالفة
٩٥	إعراب القرآن الكريم
٩٥	التعريف اللغوي للإعراب
٩٦	التعريف الاصطلاحي للإعراب
٩٦	أهمية علم إعراب القرآن الكريم
٩٨	أهم ضوابط التي يجب مراعاتها عند معرب القرآن الكريم
١٠٣	<b>الفصل الثاني: علم التفسير وأصوله</b>
١٠٥	<b>المبحث الأول: التفسير والتأويل</b>
١٠٥	التعريف اللغوي للتفسير
١٠٥	التعريف الاصطلاحي للتفسير
١٠٧	التعريف اللغوي للتأويل

١٠٧	التعريف الاصطلاحي للتأويل
١٠٨	الفرق بين التفسير والتأويل
١١٠	حكم التفسير وأهميته
١١١	مصادر علم التفسير
١١٢	<b>المبحث الثاني: أقسام التفسير وأنواعه</b>
١١٣	أولاً: التفسير بالمأثور
١١٤	مصادر التفسير بالمأثور
١١٥	ثانياً: التفسير بالرأي معناه وموقف العلماء منه
١١٧	مصادر التفسير بالرأي
١١٨	التعارض بين التفسير بالرأي والتفسير بالمأثور
١٢٠	أساليب تناول العلماء للتفسير
١٢٠	الأسس العامة لمناهج التفسير
١٢٣	<b>المبحث الثالث: أصول التفسير</b>
١٢٣	تعريف أصول التفسير
١٢٣	أهمية علم أصول التفسير
١٢٤	المصنفات في أصول التفسير
١٢٥	<b>المبحث الرابع: تاريخ التفسير ونشأته ومراحله</b>
١٢٦	المرحلة الأولى: التفسير في زمن نزوله في عهد النبي وأصحابه
١٢٦	القدر الذي فسره النبي ﷺ لأصحابه
١٢٦	تفاوت فهم الصحابة للقرآن الكريم
١٢٨	مصادر تفسير الصحابة
١٢٩	مميزات التفسير في عهد الصحابة
١٣١	حكم تفسير الصحابة

١٣٢	المرحلة الثانية: التفسير في عهد التابعين
١٣٢	مدارس تفسير الصحابة في عهد التابعين
١٣٣	مميزات التفسير في عهد التابعين
١٣٣	حكم تفسير التابعين
١٣٤	المرحلة الثالثة: التفسير في عهد التدوين والتصنيف
١٣٨	المرحلة الرابعة: التفسير في العهد الحديث والمعاصر
١٤١	<b>الفصل الثالث: ضوابط العمل في التفسير عند المفسرين</b>
١٤٣	<b>المبحث الأول: المعرفة التامة بعلوم القرآن</b>
١٤٣	تعريف علوم القرآن باعتباره علماً من العلوم
١٤٥	نشأة هذا العلم وتطوره
١٥٤	<b>المبحث الثاني: مراعاة تفسير السنة للنصوص القرآنية</b>
١٥٤	مفهوم السنة وأنواعها وحجيتها
١٥٧	مبادئ التعامل مع السنة النبوية
١٥٨	دعوى تعارض السنة الصحيحة للقرآن الكريم
١٦٠	شبهة استقلال القرآن عن السنة والرد عليها
١٦٣	<b>المبحث الثالث: الإلمام التام بلغة العرب</b>
١٦٣	عربية القرآن الكريم والتفسير
١٦٧	معرفة إعراب القرآن الكريم
١٦٨	معرفة الوجوه والأشباه والنظائر
١٧٠	معرفة غريب القرآن
١٧٣	<b>المبحث الرابع: معرفة مقاصد الشريعة ومقاصد القرآن</b>
١٧٣	مفهوم مقاصد الشريعة وعلاقتها بمقاصد القرآن
١٧٣	تعريف مصطلح "مقاصد القرآن"

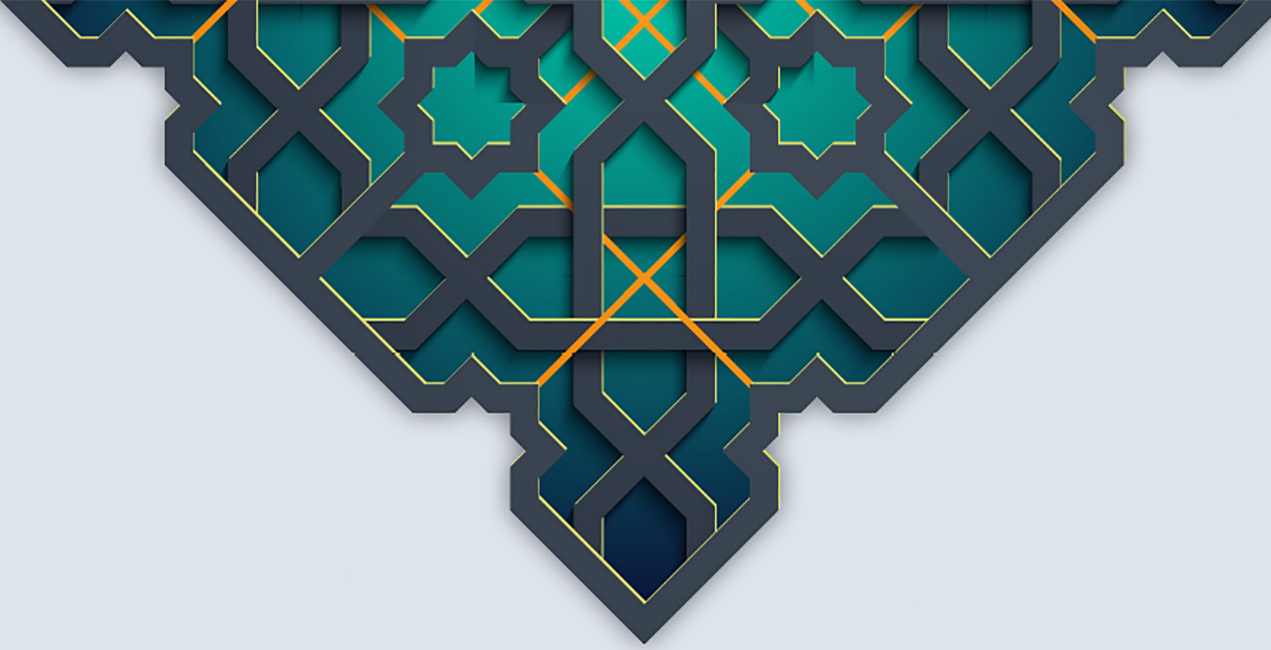
١٧٦	أبرز المؤلفين في مقاصد القرآن
١٧٧	مقاصد الشريعة وعلاقتها بمقاصد القرآن
١٧٩	أهمية مقاصد القرآن عند مفسر القرآن
١٨٠	المقاصد الكلية للقرآن الكريم
١٨١	تقسيمات مقاصد القرآن الكلية عند العلماء المعاصرين
١٨١	أولاً: تقسيم الإمام محمد رشيد رضا
١٨٢	ثانياً: تقسيم الإمام محمد الطاهر بن عاشور
١٨٤	التقسيم المعتمد لمقاصد القرآن الكلية
١٨٦	<b>المبحث الخامس: معرفة مناهج المفسرين المعاصرة</b>
١٨٦	أولاً: المنهج الحديث للتفسير بالمأثور
١٨٨	ثانياً: المنهج العقلي الحديث
١٨٨	ثالثاً: المنهج العلمي الحديث
١٨٩	رابعاً: المنهج الاجتماعي الحديث
١٨٩	خامساً: المنهج اللغوي والبياني الحديث
١٩٠	سادساً: المنهج الدعوي التفسيري الحديث
١٩١	سابعاً: المناهج المنحرفة في التفسير في العصر الحديث
١٩٥	<b>الفصل الرابع: قواعد التفسير والترجيح</b>
١٩٧	<b>المبحث الأول: قواعد التفسير</b>
١٩٧	تعريفها ومصادرها ونشأتها وأهميتها
١٩٧	تعريف القواعد لغةً واصطلاحاً
١٩٨	تعريف قواعد التفسير
١٩٩	علم قواعد التفسير غايته ونشأته
١٩٩	استمداد قواعد التفسير



٢٠٠	نشأة علم قواعد التفسير
٢٠١	أهمية معرفة قواعد التفسير
٢٠٢	<b>المبحث الثاني: قواعد الترجيح</b>
٢٠٢	مفهومها وأهميتها عند المفسرين
٢٠٢	مفهوم قواعد الترجيح
٢٠٣	أهمية معرفة قواعد التفسير الترجيحية
٢٠٥	<b>المبحث الثالث: القواعد المتعلقة بالقراءات وتطبيقاتها</b>
٢٠٩	<b>المبحث الرابع: القواعد المتعلقة بالنص القرآني وتطبيقاتها</b>
٢١٧	<b>المبحث الخامس: القواعد المتعلقة بالسنة النبوية والآثار وتطبيقاتها</b>
٢٢٢	<b>المبحث السادس: القواعد المتعلقة باللغة وتطبيقاتها</b>
٢٣١	<b>المبحث السابع: القواعد المتعلقة بأصول الفقه وتطبيقاتها</b>
٢٣٥	<b>الفصل الخامس: اختلاف المفسرين وأسبابه</b>
٢٣٧	<b>المبحث الأول: مفهوم الاختلاف والخطأ في التفسير</b>
٢٣٧	مفهوم الاختلاف في التفسير
٢٣٩	التعامل مع اختلاف المفسرين والتزام المنهج الصحيح في التفسير
٢٤٠	<b>المبحث الثاني: الأصول التي يدور عليها التفسير</b>
٢٤٣	<b>المبحث الثالث: منشأ الخطأ في التفسير بالرأي</b>
٢٤٦	<b>المبحث الرابع: أسباب الاختلاف والخطأ عند المفسرين</b>
٢٤٨	السبب الأول: الاختلاف بسبب اختلاف القراءات
٢٥٢	السبب الثاني: الاختلاف بسبب النسخ أو الإحكام
٢٥٣	السبب الثالث: الاختلاف بسبب الاجتهاد في مورد النص
٢٥٤	السبب الرابع: الأخذ بالضعيف أو الموضوع في إثبات التفسير
٢٥٦	السبب الخامس: الاختلاف بسبب التفسير بالإسرائيليات

٢٥٧	السبب السادس: الاختلاف بسبب الاعتماد على مجرد اللغة
٢٦٤	السبب السابع: الاختلاف بسبب اختلاف مفاهيم القواعد الأصولية
٢٦٨	السبب الثامن: الاختلاف بسبب التعصب المذهبي الفقهي
٢٧٣	السبب التاسع: الاختلاف بسبب التعصب المذهبي العقائدي
٢٨٠	السبب العاشر: الاختلاف بسبب التكلف في التفسير العلمي الحديث
٢٨٤	نتائج مهمة في اختلاف المفسرين
٢٨٧	<b>الخاتمة</b>
٢٩١	<b>المصادر والمراجع</b>
٣٠٤	<b>المحتوى</b>





+ 90 537 863 0643

+ 90 555 087 8555



دار المعالم  
للطباعة والنشر

مركز المعالم  
للخدمات الجامعية

# المدخل إلى علوم القرآن وأصول التفسير

د. حسام سكايف

أستاذ التفسير وعلوم القرآن  
في جامعة غازي عنتاب - كلية العلوم الإسلامية

المدخل إلى علوم القرآن وأصول التفسير

د. حسام سكايف



+90 537 863 0643

+90 555 087 8555



دار المعالم  
للطباعة والنشر  
مركز المعالم  
للخدمات الجامعية